



السِر جيمز جينز  
زعيم من زعماء علم الفلك الرياضي المعاصرين



# المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثاني من المجلد التاسع والسبعين

١ أكتوبر سنة ١٩٣١ — ١٩ جماد أول سنة ١٣٥٠

## المذاهب الكونية الجديدة

للسر جيمز جينز

من خطبة القاها في نيويورك على اعضاء الجمعيات العلمية المحففة به

لقد طلب اليّ أن أتكلّم في موضوع ارتقاء العلم في السنوات الاخيرة . فكان لا مندوحة لي عن ان افكر في المقابلة بين العلم اليوم ، وما كان عليه من خمس وعشرين سنة إذ كنت ادرس في بلادكم . فلنوجه افكارنا الى ما قبل ذلك قليلاً . لنترجع خمسين سنة الى اواسط العهد المادي في حكم الملكة فكتوريا . فنجد ان العلم حينئذ لم يشغله تأمل الكون قَط . ويمكن تشبيه العلم حينئذ بطرق تنسحب في جهات مختلفة — فعمل الطبيعة في جهة ، والكيمياء في جهة ، وعلم الفلك في جهة ثالثة ، وهكذا . كانت تنطلق كلها من مركز واحد هو ذواتنا النبيلة !

فكنا نحسب البشر المركز الذي يبدأ به كل علم . فعمل الفلك كان يبعد قليلاً — وقليلاً جداً بحسب مقاييس الفلك الآن — عن مقرنا في الارض لزيارة ما يجاور سيارنا . وكان



علم الطبيعة يحاول أن يكشف ما يستطيع كشفه عن الطبيعة والمادة ، ولكنه لم يستطع قط أن يصل الى بناء الكون الاساسي . فالدقائق التي كانت تحسب أساساً لبناء المادة ، كانت أصغر من أن يتناولها البحث في تلك الايام ، ولم يكن في استطاعة احد ان يتناول إلا الذرات التي تراها العين البشرية او الآلات المكبرة التي صنعها الانسان . وعلى هذا كانت سائر العلوم فتبعت من ذلك نتيجة محتومة ، هي النظر الى الكون كشيء يشبه الآلة المادية التي نفحصه بها . ففي حوادث الحياة اليومية ، كما كانت تدرس حينئذ ، كنا نتعلم ان الاجسام تتحرك اذا دُفِعت أو جُيرت . وأبسط التجارب الطبيعية كانت تجربة نقوم بها بعضلاتنا — كرفع ثقل — فكنا نعلم أن كل الاجسام حولنا تتصرف كأن قوة — شبيهة بقوة عضلاتنا — تجرّها او تدفعها . وهكذا تصور العالم الطبيعي كونا ، لا نجد فيه أنى اتجهت إلا اجساماً ومواد ، تتصرف بحسب قوى الدفع والجذب التي تفعل بها . وبكلمة اخرى كان يتصور الكون ، بناءً ميكانيكياً لا غير

وتلت ذلك عشر سنوات عجيبة . خمس سنوات في آخر القرن الماضي وخمس في مطلع هذا القرن من ١٨٩٦ — ١٩٠٥ . فاذا حان الوقت لكتابة تاريخ العلم كتابه قائمة على أساس من الاتزان والمشاركة ، وجد المؤرخ المحقق ان هذه السنوات العشر لها من المقام العالي ما لا يفوقها فيها أي سنوات عشر أخرى في تاريخ العالم كله . ان المكتشفات التي تمت فيها تضاهي المكتشفات التي بدأت سنة ١٦٠٩ لما صنع غليليو تلسكوبه وكشف به عن بناء جديد للسموات ، ومكتشفات تلك السنوات العجيبة التي اولها مباحث نيوتن في كمبريدج وذروتها اخراج ناموس الجاذبية ، المعلن ان الكون خاضع لنواميس كونية هذه السنوات العشر الاخيرة كانت في نظر الرجل العامي، عهداً أصبح فيه علم الطبيعة من وراء قوة الفهم . فالصور التي كان قد رسمها في ذهنه للكون قد زالت وحلت محلها المعادلات الرياضية القاسية الباردة . ولكنها في نظر العلماء كانت شيئاً أعظم من ذلك . انها تمثل العهد الذي اتخذ فيه العلم مظهراً جديداً أخذاً ، إذ اتيج لنا فيه ، ان تأمل الكون على أنه وحدة ، وبدلاً من ان نحسب العلم طرقاً متشعبة من دائرتنا الضيقة ، بدأنا نحسبه طرقاً متجهة الى نقطة مركزية تفضي بنا الى فهم الكون فهماً شاملاً فاستحووا لي ان اذكركم بالمكتشفات العظيمة التي تمت في هذه السنوات ولم تدرك كل مقتضياتها ومغازيها بعد في مطلع هذه الحقبة استفرد الالكترتون فينج عن ذلك اكتشافاً ان له بناءً معيناً . وصرنا ننظر اليه كأنه كون في نفسه ، لا مجرد ذرة صلبة ورثناها من عهد ديمقريطس ولقريطوس . وفي تلك السنوات نفسها كشف عن فعل الاشعاع ، وهذا الاكتشاف مكنتنا



من النفوذ الى أسرار الذرة وبناء المادة الكونية الاساسي اكثر من أي اكتشاف آخر. ثم لما حلَّ القرن العشرون ، أبدعت عبقرية الاستاذ بلانك نظرية المقدار ( الكوتم ) وحتى الآن لم نصل الى المعاني الفلسفية التي تتضمنها ظاهرة الاشعاع ونظرية المقدار هذه . ولكن الثانية ، قضت الى حين ، على الاقل ، على الجبرية في علم الطبيعة . ولا نستطيع أن نعلم الآن هل الجبرية تعود الى مقامها السابق أم لا ، ولكنها قد رسمت لنا ، على الاقل ، صورة للكون تسيطر عليها قوى غير القوى الميكانيكية الجامدة التي كان يتصورها أسلافنا ثم في ختام السنوات العشر ، جاء اينشتاين بنظرية النسبية . فازالت الركن المادي الذي مضت قرون وهو اساس كل مباحثنا ، وهنا اصبح درس الطبيعة من وراء قوى الفهم في الرجل العالمي — ولكنه في الوقت نفسه اضحى ذا لذة آخذة خاصة للعالم والفياسوف

وفي أثناء هذه السنوات ، كانت ثمة ظاهرة جديدة آخذة في الظهور ، أعني الاشعاع الكوني الذي لم نصل الى قرارته بعد . فالأشعة الكونية تأتينا رسلاً من أعماق الفضاء ، ويظهر أن الرسالة التي تحملها ، على ما نستطيع أن نفهمها الآن ، هي أن علمي الطبيعة والكيمياء اللذين ندرسهما على الارض ، إنما هما حواشي فقط لموضوعات أوسع نطاقاً في الفضاء ، وهذه الاشعة الكونية تهيئنا منبئةً بالاحوال السائدة هناك

كل هذه المباحث التي أشرت اليها لمأماً ، قائمة على البحث العلمي الذي تناولته طائفة من العلماء الدائنين في عقد واحد . ونحن لم نبدأ في إدراك المغازي التي تتضمنها إلا الآن . ورغم ضالة ما نعرفه ، يصح أن نقول بأن العلم قد تناول الكون من أقصاه الى أقصاه ، من اكبر الاجرام المعروفة بالسدم اللولبية ، الى أصغر الاجسام وأدقها وهي الالكترونات والبروتونات . فنحن نعتقد أنه لا يوجد جرم كوني أكبر من السدم اللولبية إلا الكون نفسه ، وليست ثمة ما هو أصغر من الالكترون ، على ما نعلم

في أية جهة تطالعنا لا نجد إلا مظاهر عجبية . فنحن نرى أننا لا نستطيع أن نفسر الكون ، في أدق ظواهره أو أعظمها ، على أنه شيء ميكانيكي ، كما كان أسلافنا يفعلون في العهد الفكتوري . تنظر في الطرف الواحد فترى أدق الاجسام — الالكترون — ونجد أننا لا نكتفي بأن نحسب ذرة صلبة ، أو شحنة كهربائية ، بل حزمة من الامواج ، على ما يقول الطبيعيون . فإذا شئنا أن نشبه شيء ، وجب ألا نشبهه بجسم مادي ، بل بشيء من قبيل أمواج في البحر ، كمجموعة أمواج تتحرك في طرق خاصة ، وبطريقة حركتها تعين مظاهر المادة كما تبدو لنا . فيسأل المادي في الحال — ولكنها أمواج في ماذا ؟ والجواب الذي نجيب به عن هذا السؤال هو قولنا انها أمواج في لا شيء ، لأنه لم يبق في العلم شيء



يصح أن يكون وسطاً للتموج. أما وقد زال الاثير بفعل النظرية النسبية فقد زال كل شيء له قدرة على التموج. والامواج يجب ان تحسب مجرد امواج رياضية. فهي امواج وصفية اكثر منها ظاهرة مادية. ونحن نستطيع ان نعبر عنها بالمعادلات الرياضية، فاذا حاولنا ان نتجاوز المعادلات لتحديد الامواج بأنها امواج في شيء مادي، افضت بنا المحاولة الى مجموعة من المفارقات والمتناقضات وما يصح على الامواج يصح على الكهرباء. فعلمنا ان تفكيرنا بالكهربائية عن سبيل المعادلات الرياضية فقط. قرأت في عدد الاحد الماضي من جريدة نيو يورك تيمس نص الخطبة التي ألقاها الاستاذ اينشتين في اكسفورد موضحاً فيها آراءه في طبيعة الكهرباء وهو افضل وصف لهذه الآراء كما نتظر. ولكنني سألت نفسي وأنا اقرأ « ترى كم قارئ يستطيع ان يفهم هذا الكلام » ؟ لا اجور على احد اذا قلت ان احداً لم يتعلم الرياضيات العالية لا يستطيع ان يفهمه. او على الاقل لا يستطيع ان يتابع افكار اينشتين كما يجب وكما تستحق. كنا نحسب كل الظواهر الطبيعية نتيجة لتفاعل القوى. فجاء اينشتين القوة من الطبيعة. فاصبحتنا لا نعتقد الا بوجود ما يدعى قوة. فالذرات الدقيقة، والاجسام الكبيرة، تسير في مسالك، يعينها لها شيء آخر غير القوى المتفاعلة. وما يحدث هذه المسالك هو تحذب الفضاء فاذا سألت ما معنى « تحذب الفضاء » لم يستطع احد غير الرياضي ان يجيب ومتى اجاب لم يفهم مغزى جوابه الا رياضي مثله. واذا نظرنا الى الطرف الآخر من الكون، رأينا ان علماء الفلك في السنوات الاخيرة قد كشفوا ان الفضاء اوسع جداً مما كانوا يتصورون. فكنا نحسب المكان في الماضي هو الفضاء الذي يشغله النظام الشمسي وما يجاوره. ولكننا نعلم الآن ان النظام الشمسي ليس الا كذرة رمل ازاء كل الرمال على كل شواطئ العالم. وما يصح على الفضاء يصح على الزمان. فكنا نحسب الزمان ممتداً طول التاريخ الانساني و قليلاً وراءه. ولكننا نعلم الآن من امتداد الزمان ما يجعل كل التاريخ البشري لمحة عين. فاذا اخذنا طابع بريدي ومثلنا بساعة تاريخ الانسان المدون، ولصقنا هذا الطابع على ذروة برج كرسار (وهو اعلى من ألف قدم) لم يكف علو هذا البرج لتمثيل الزمن الفلكي بالنسبة الى التاريخ البشري ومع ذلك فأبعث المكتشفات على الدهشة لم يكن سعة المكان العظيمة وامتداد الزمان الطويل، بل ان الزمان والمكان نهائيان من كل جهاتهما. فأنت لا تستطيع ان تمضي في المكان الى الابد. ولا بد ان تعود الى حيث بدأنا السير. ولا نستطيع ان نمضي في الزمان الى الابد كذلك. فاذا مضينا في جهة معينة وصلنا الى شيء اسمه « البداية » مع اننا لا نعلم ماهو. واذا ذهبنا في الجهة المقابلة فقد نصل الى شيء اسمه « النهاية » وان كنا لا نعلم ماهو ثم ان الرجل الذي لم يتعلم علم الرياضيين لا يستطيع ان يحقق ولا ان يتصور ما يقصد



بالمكان النهائي والزمان النهائي . انهما يبدوان منسجمين في معادلات الرياضي ولكن اذا حاولنا ان نرسم صورة لاحدهما عدنا بخفي حنين . فانهما ليسا شيئا نستطيع تمثيلهما تمثيلاً مادياً في اي شكل من الاشكال

وكل من حاضر في هذه الموضوعات او نشر فيها مقالات يعرف عدد الرسائل التي ترد اليه وخلاصتها ان محصل كلامه قول هراء . يقول الناس ان المكان لا يمكن ان يكون نهائياً وما وراء الفضاء الا فضاء كذلك . والجواب ان كل هؤلاء يحاولون ان يضعوا مثالا مادياً لامتداد المكان ، وطبيعة المكان لا توافي ذلك . فاذا حسبنا المكان صورة رياضية ، او صورة ذهنية على الاقل من غير استعمال الرياضيات ، امكن ان تفهم ما المقصود بالمكان النهائي ثم ان المكان ، كفكر ، او كصورة ذهنية ، بالطريقة التي يعالجها اينشتين ، مصدر تنبثق منه ظاهرات الجاذبية والكهربائية والقوة . ولكن اذا حاولنا ان نتصور المكان كشيء مادي محسوس ، لم تتمكن من الرد على اعتراضات الناس الذين يتهموننا بالغموض والاضطراب

والصعوبة نفسها تعرض سبيل التفكير اذ نعرض لظاهرة جديدة تعرف « باتساع الكون » . ذلك ان السدم الكبيرة تبدو كأنها آخذة في الابتعاد عنا بسرعات عظيمة مختلفة في كل الجهات . وبسط تعليل لذلك ، وهو تعليل مؤيد تأييداً رياضياً ، هو ان المكان او الفضاء ليس نهائياً فحسب ولكنه في اتساع دائم . فمن يحاول ان يتصور هذا القول تصوراً حسيّاً يعترف فوراً بأن الفضاء لا يمكن ان يتسع الا على حساب فضاء وراءه . وما زلنا نفكر بطريقة حسية فهذا الاعتراض لا يرد . والرد الوحيد هو بدم التفكير في الفضاء تفكيراً مادياً حسيّاً بل يجب حسبانه صورة رياضية ، او صورة ذهنية كالصور التي يتناولها العالم الرياضي في كل يوم

وهذه هي الحال في كل مسائل الفلك الكوني . بل وفي فروع علم الطبيعة التي تتناول أدق أجزاء المادة . اننا لا نستطيع ان نرسم الافكار العلمية الجذرية التي تدور حولها في صور مادية ، لانها في الواقع صور توافيها الرموز الرياضية وتقضي عليها مبادئ المهندس وطرق تعبيره . فاذا فكرنا في الكون باسباب من الرياضة العالية ، والفكر المجرد ، والصور الذهنية ، امكننا فهمه ، ولكن اذا تصورناه آله من الآلات او مجموعة من الآلات المنتشرة حولنا في كل جهة في الاثير ، تفعل بتناوب الدفع والجذب ، تعذر فهمه ، بل وافضى بنا السير ، اذ نتناوله بالبحث والتحليل ، الى مستنقع نرطم فيه ، بالمناقضات والمفارقات

هذا موجز للتغير الذي اصاب علم الطبيعة في السنوات الاخيرة . اما مغايريه الفلسفية فواسعة النطاق بعيدة الاثر ، وهي مازالت في حاجة الى الاستخراج والايضاح . ولا بد ان ينقضي وقت طويل قبلما تقال الكلمة الاخيرة



# مبدأ قوة الحياة

في فلسفة برنارد شو

من كهوف التشاؤم الى رحاب التفاؤل في مصير الانسان

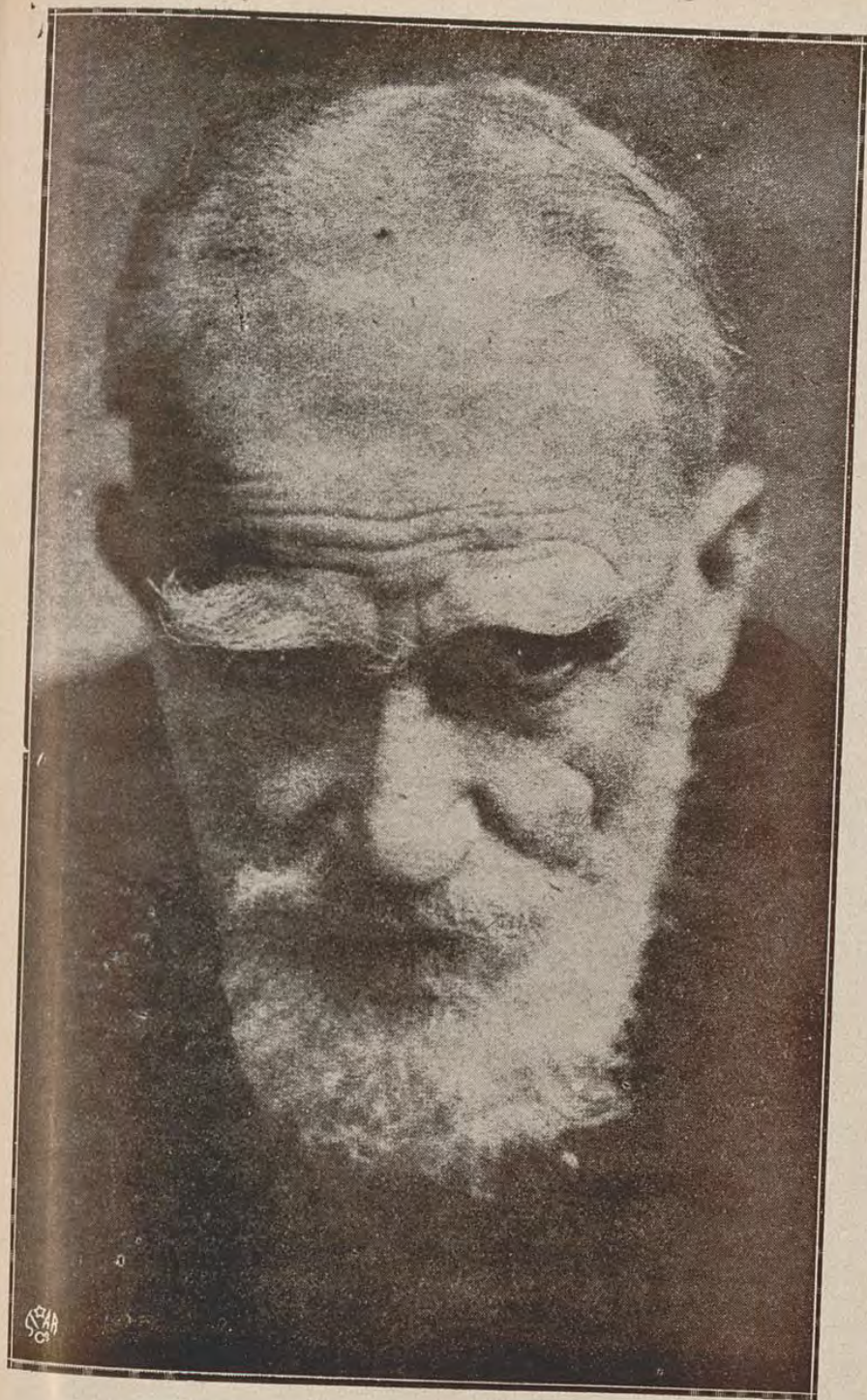


« يجب ان تعيشوا حتى اذا ممت كانت  
الحياة بل قوة الحياة مدينة لكم »

يبدو لكل من يتبع أقوال برنارد شو وكتاباتِه انه لا يقتنع بان يكون مؤلفاً مسرحياً . ومن الخطأ الفاضح في فهم الرجل أن نحسبه كاتب روايات تمثيلية لا غير . فقد كان برنارد شو من نشأته مصلحاً متحمساً . وهذا لا يقتضي عنايته بالفلسفة فقط بل ينطوي على محاولته أن يكون فيلسوفاً . والمرجح ان الذين يحصرون معنى الفلسفة في حدود ضيقة ، ينكرون علينا وضع برنارد شو في مصاف الفلاسفة . وهؤلاء على صواب ان اقتنعنا معهم بان الفلسفة المدرسية هي الفلسفة كلها . ولكن اذا توسعنا في فهم معنى « الفلسفة » على انها كل محاولة لوضع طريقة عملية غرضها ترقية وسائل الحياة فبرنارد شو فيلسوف قح

ولا نعلم طريقة لفهم الفلسفة الشاوية (نسبة الى شو) أبلغ من درس مبدأ «قوة الحياة» . ويجدر بنا أن نفهم نشأة هذه الفلسفة قبل تحليل عناصرها . ولقد يكون من أغرب غرائب الاتفاق في الحياة أن تكون فلسفة شو هذه قد بلغت ذروتها في الدراما التي اجمع النقاد على انها اجلى صورة لفنون عبقريته . ونقصد تلك الدراما العظيمة — بل احدى الدرامات العظيمة النادرة التي انجبها القرن العشرون — « مان وسوبرمان » أي « الانسان وما فوق الانسان » . فالروايات التي تقدم «مان وسوبرمان» ليست الا سلسلة من المحاولات والتجارب . فكأنه يحاول بها أن يتعرف الارض التي يسير فيها ويتخير الطريق . لقد مر في طور قلد فيه ايسن ، وخرج منه واقعاً ان في فلسفة ايسن — القائلة باننا لا نعرف طريقاً تفضي بنا الى السعادة ، بل ان كل الطرق تبعدنا عنها — شيئاً كثيراً مما يستحق العناية والدرس . على ان شو لم يقنع في حياته قط بموقف متشائم كهذا . وعليه لا بد من ان تتصور تصوراً سلسلة افكاره التي حدث به الى كتابة « مان وسوبرمان » . قال : اذا كان الانسان لا يستطيع ان يجد طريقاً تفضي به الى السعادة او ان يجتنب طريقاً توصله الى الشقاء ، فليس أمامه الا الاعتصام بجبل الشجاعة . ولا بد له من ان يجد طريقاً اخرى . فشوا لا يسلم





جورج برنارد شو في احدث صورة له

امام الصفحة ١٣٥

مقتطف اكتوبر ١٩٣١







فدن جوان يسلم من البدء بان الحياة كفاح ولكنه لا يسلم بان الكفاح مجرد من الامل بالنصر. فهي كفاح الغرض منه الاتجاه الى فوق. يبدأ قوله بان الانسان كبر أملاً في فهم اغراض الحياة ومرادها، من الوحوش، لانه أذكر منها. خذ مثلاً الاحياء التي كانت في عصرها اضخم من الانسان — المجائير يوم والا كتيوثورس — وثانيهما كان يستطيع ان يجتاز سبعة فراسخ في قفزة واحدة — ما كان مصيرها؟ انها ليست اكثر من آثار متحجرة في المتحفات. هذه الحيوانات الضخمة الجيابة — بقوتها الجسدية العظيمة — وشهوتها الملحة للحياة — ورغبتها في عمل عمل تكتسب به رضا الحياة — قد بادت كلها ولم يبق منها الا آثارا وما السبب في ذلك؟ ان دن جوان يرد على مسأله هذه رداً بسيطاً يتصف به عادة المفكر السطحي فيقول: لقد بادت كلها لانها لم تملك ادمغة كافية لتعلمها كيف تعيش. وهكذا قضت هذه الحيوانات على نفسها، سواء شاءت ذلك ام لم تشاء.

هكذا يبدأ الحوار في موضوع « قوة الحياة ». وإلى هنا، يستطيع الانسان، بفضل دماغه الكبير وعقله، ان يفهم المغزى ويطبقه. ولكننا هنا فقط نجد سر الموقف الذي يفتحه شو. لنسلم بأن للانسان ذكاء امضى من ذكاء الحيوانات. ولنسلم بأن الحيوانات التي كانت قوتها الجسدية اعظم جداً من قوة الانسان قد انقرضت. ولنسلم كذلك بأن قوة الحياة تستعمل الانسان لتجربة تجاربها به، لعله يتعلم في المستقبل، غاية « قوة الحياة » وهدفها — فاذا سلمنا بكل ذلك قلنا الى هنا تنتهي فلسفة شو!

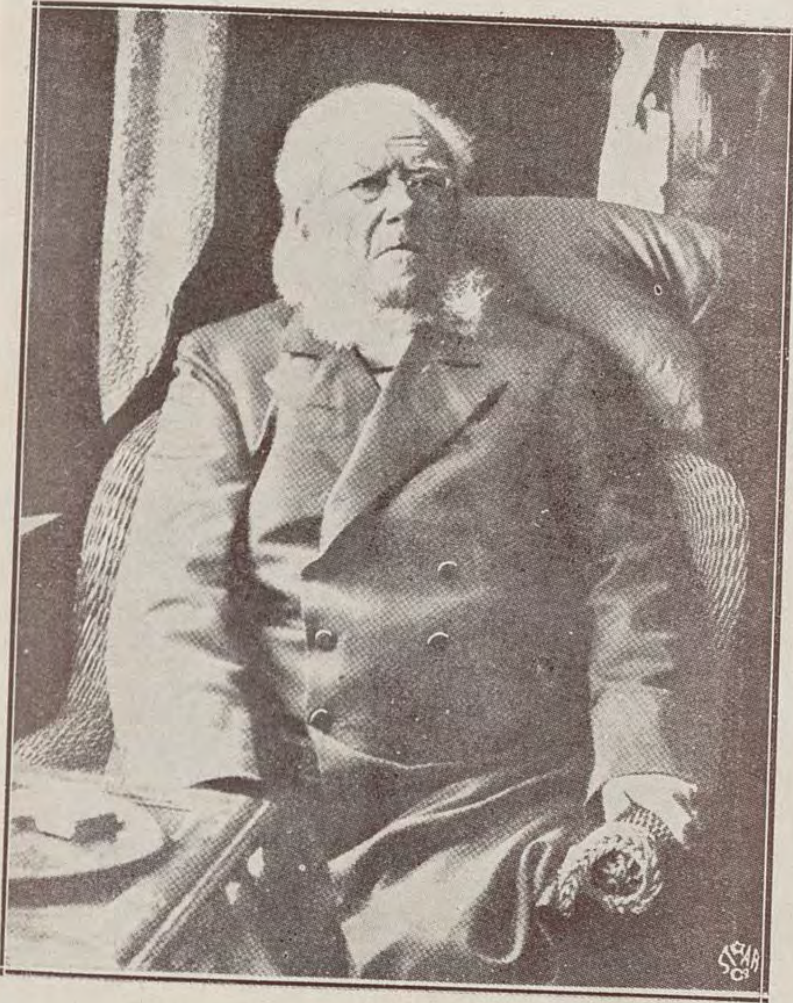
كلاً، هنا تبدى فلسفته

ويرد الشيطان على دعوى « دن جوان » بأن الانسان أصلح لفهم اغراض الحياة، بسبب دماغه فيقول: إذا صح ان للانسان دماغاً، كما تقول يا دن جوان، فهل هذا الدماغ يعصمه من إبادة نوعه، كما فعل فقد الدماغ في الحيوانات النديية التي أبادت نفسها. تعال معي فأخبرك بما رأيت في رحلتي حديثة الى الارض

هنا نصل الى التهمة التي يوجهها شو الى الطريقة التي يجري عليها الانسان في استخدام عقله، فيشوه اغراض قوة الحياة تشويهاً

والتهمة الاولى الموجهة الى الانسان لا تقوم على انه لا يستعمل عقله، بل تقوم على انه يستعمله في فن التدمير. في فن الحياة لا يخترع الانسان شيئاً وأما في فن الموت فيخترع كل شيء. انه يستخدم نبوغه للفن في إثارة الحروب. ولكنه يمتنع عن استخدامه للارتقاء في تصوير الصور وكتابة الكتب وإبداع الموسيقى. انه لم يرتق الا في ميدان التخريب. انه لم يتقدم في وسائل التغذية بل هو يأكل ويشرب ما كان يأكله أسلافه ويشربونه من ألف





هنريڪ ايسن

۱۸۲۸ — ۱۹۰۶

شاعر ۽ مؤلف مسرحي نروجي تائڙ به شو في مطلع حياتہ ڪمؤلف مسرحي

امام الصفحة ۱۳۷

مقتطف اڪتوبر ۱۹۳۱



سنة . ثم يقول شو، وعلى القول مسحة من السخرية، يأكل الانسان ويؤلف ويطرب كما كان اسلافه يأكلون ويشربون ويطربون من الف سنة ، ولكنه اذا خرج ليحارب اعداءه، لن يستطيع احد أن يتبع سرعة ابداعه وارتقائه في بناء ادوات التدمير

وهكذا تنسج رعدة التهمة بأن الانسان يسي استعمال عقله . ففي المصانع آلات في استطاعة كلب بارع ان يستنبطها . آلاته الطابعة ، ودرجاته ، وماكناته — ادوات تنطوي على براعة وإبداع . ولكنهما لا يذكران ازاء الابداع والبراعة، المتجولين في مدفع مكسب ، وطريد الغواصة ، والقنبلة الشديدة الانفجار ، والبندقية السريعة الانطلاق

هنا نصل الى المازق في الدراما ! وإذ يتوقف الشيطان قليلاً في توجيه التهمة يلتفت الى دُنْ جوان ويقول : ان قوة الحياة التي تفاخر بها — وهذا النشاط العجيب الذي يبدو في اعمال الانسان ، وتلك المنبثقات من دماغه ، ما كانت نتيجهما ؟ ليست قوة الحياة الا قوة الموت ، لا اكثر ولا اقل . ان الانسان يقيس قوته بمقياس غريب ، ولا يحسبها قوة الا اذا كانت مدعرة . هنا يتحول التنديد بالآلات الانسان المدمرة ، الى بحث نفسي عميق . فيبرهن شو بلسان شيطانه ان كل الوسائل التي يقصد بها تحسين النوع ، ليست الا قناعاً لاعمال التدمير . ثم يتأدى في تنديده بالانسان الكثير الاخطاء — بريائه ، وسعيه وراء اغراضه الخاصة ، وامتناعه عن الاصغاء الى الدعوة التي توجهها « قوة الحياة » وإصراره على التقدم في دائرة ، وعناده في تجاهل الورطة التي يخلقها بيده

ولكن وتر التفاؤل، في الحوار ، ابدأ وتر حساس . فالانسان لايزال في طور التجربة لنعد الآن الى بعض التهم الاخرى الموجهة الى الانسان ! ما ديانة الانسان — يقول الشيطان هي ليست شيئاً قائماً على التسليم بقوة عليا . ولا علاقة لها قط ، برعاية الانسان للانسان . إن هي الا عذرٌ يعتذر به الانسان عن بغضه للشيطان . وهكذا يحجب الشيطان نفسه في الحوار فيقول : « ليست ديانة الانسان الا عذراً لكرهي »

وما شرائع الانسان ؟ انها ليست قائمة على الرغبة في العدل . ولا على رغبة في الاصلاح . إن هي الا عذر يمهّد للانسان ، التآدي في شهوته للتدمير . فالانسان يعلق الانسان ثم يأتي بالشرائع لتسويغ ما فعل . وهكذا يمضي الشيطان في توجيه التهم . فلم يبق للانسان شيئاً يرتكز عليه . ما آدابه ؟ نظام من القواعد غرضها المحافظة على اللياقة الاجتماعية . وما فنه ؟ عذرٌ للتمتع بالتحديق الى صور الذبح !

الى هنا ، يبدو لنا ان شو راسخ الاعتقاد بأن الانسان قد احلَّ قوة الموت محلَّ قوة الحياة ، وانه يرى الانسان منفقاً كل قواه في عبادة الموت ، مريقاً قوى الحياة ، لا دمة ولا



حسرة عاينها . وفي خطاب الشيطان فقررة بسيطة ، ولكنها بايعة في وصف هذا الميل ، ثقلمها فيها يلي ، لا لما تنطوي عليها من المشكلة الاجتماعية ، ولكن لأن الحادثة في نظر شو ، هي منتهى ما ينتظر من عبادتنا للموت ، بدلاً من عبادتنا للحياة ، يقول الشيطان : —

رأيت رجلاً يموت . كان بناءً طوب لندنياً ذاسبعة اولاد . فترك سبعة عشر جنبها موفرة في ناديه . فأنفقت زوجته كلها في مائمه ، ثم ذهبت مع اولادها الى ملجأ . ما كانت تنفق سبع بنسات على تعليم اطفالها . فحكم عليها ان تعلمهم تعليماً مجانياً . ولكنها انفقت كل ما ملك على الموت . ان خيال — هؤلاء الناس ، ليلتهب ، وقواهم لتنشط عند التفكير بالموت — انهم يحبونه . وما هو اشد فظاعة من ذلك ، انهم يسرون به

فكيف التفت الى حياة الانسان وجدت ممجيداً للموت والتدمير . خذ مثلاً الآداب . فأكل الاساليب الفنية في آداب الامم هي المأساة ، الرواية التي يقتل كل شخص في نهايتها . وقد بلغ من شدة تهافتنا على تقدير عظمة الانسان اننا اصبحنا في خطر من حسابان قدرته على التدمير مثال العظمة المجيد . ماذا نقرأ في الاسفار القديمة ؟ نقرأ عن زلازل وأعاصير ووابئة ، ومنها نخرج بقوة الله وعظمته ، وضعف الانسان وحقارته . اما الآن فانا نقف على نقيص هذا . نرى جماعة من الناس تفتك بغيرها وتدمر بلادها . فنستنتج ان الفالحين المنتصرين عظام ، وان المغلوبين المقهورين حقيرون

الى حدّ هنا قدمنا امثلة من البراهين والتهم التي انهال بها الشيطان على دن جوان ، مبيناً ان القوة المسيطرة على الارض ليست قوة الحياة بل قوة الموت . وهكذا نصل الى ذروة الاتهام ، اذ يقول انه لما عجزت الطبيعة عن استنباط وسائل وادوات كافية للتدمير ، استعملت الانسان حليفاً لها ، وجعلته يستببط هذه الادوات

هذا هي دعوى الشيطان . وهي مزعزة للانسانية ، ولكنها ليست حكماً نهائياً . فان شو ، بالبراعة التي يتصف بها كل محاور ماهر ، يصور الصورة بأقلم الالوان ، حتى اذا بدا طيف التفاؤل بدا لامعاً براقاً . فانا اذا سلمنا ان الانسان قد اساء فهم اغراض الحياة افطع اساءة ، فليس ثمة سبب للقنوط . إذ لانهاية للتجارب التي تجربها الحياة بالانسان

وإذ ينتهي الشيطان من كلامه يتقدم «دن جوان» للدفاع فيقول : لا يعيا الانسان بكل ضروب الهجوم التي تنال عليه ، مادام لا يدعى «جياناً» . وبالتغلب على «الحين» يبدأ الانسان يرى قبساً من غرض الحياة الصحيح . والانسان لن يتغلب على الخوف ، الاّ إذ تصوّر انه يكافح في سبيل غرض كوني — اي متى تحقق ان شخصه ليس غرض الحياة النهائي بنفسه ، وانه ليس سوى مفسّر لرغبات الحياة . فاذا قلل من التفكير بنفسه ، اصبح اقدر على



استجلاء ما تريده « قوة الحياة » ان يفعل

وفلسفة قوة الحياة ، التي يقول برنارد شو ، تفضي بنا ، الى الصورة التي يرسمها السوبرمان . ان شو لا يحدد لنا اوصاف السوبرمان . فقد يكون شبيهاً بسوبرمان الفيلسوف نيتشه . ولكن لما كان رجل نيتشه ، غير روحي في صميمه ، فالراجح انه مختلف كل الاختلاف عن رجل شو ، على ما يبدو لنا من صفاته ، في خلال الاحاديث التي تفضي الى خلقه

وللخص الآن مبدأ قوة الحياة في فلسفة برنارد شو . ان ميدان الانسان فهم رغبات « قوة الحياة » التي تسيطر عليه وتحكمه . وقوة الحياة تجرب التجارب بالانسان ، لانها تريده ان يتعلم بالاختبار ، فهي لا تستعمل استعمال دمية او بوق . ولقوة الحياة مثل عليا تحاول ان تحققها ، ولكن الانسان يفشل في تحقيقها مرة واخرى . وبعد تجارب عديده متوالية يتعلم الحكمة ، فيدرك رغبات قوة الحياة ، ويخضع لها ، وهكذا يصبح انساناً اعلى في سلم الارتقاء من سلفه — اي انه يصبح سوبرمان . وهكذا يصح ان نضع برنارد شو في مصاف الفلاسفة المتفائلين رغم ما يبدو في نقده الاذع للاجتماع ، لانه يعتقد ان الانسان يملك القوة الكافية ، التي تستطيع ان تنشئ منه الرجل المتعم لارادة قوة الحياة على الوجه الاكمل

وقد خصت لدائرة المعارف البريطانية في طبعتها الاخيرى عقيدة برنارد شو المتقدمة فيما ترجمته :  
الاله او قوة الحياة قوة غير كاملة تسعى الى الكمال . فلو انها كانت عالة بكل شيء وقادرة على كل شيء لما سمحت بوجود نقائص في خلائقها . كما لا يسمح والد باصابة ابنائه بالامراض اذا كان يستطيع ان يمنع ذلك — وقد شغلت هذه القوة ما مضى من الزمن في محاولتها خلق ادوات تساعد في سعيها لبلوغ الكمال . فلما وجدت ان هذه الادوات لا يمكنها من تحقيق الغرض بنبتها . بهذا نستطيع ان نعلل اندثار جبابرة العصور الغابرة من الحيوانات . ذلك ان قوة الحياة وجدتها غير قادرة على ادراك غرضها ، وعلى الانفلات من قيود يدها وبنائها الجسماني . تخلقت اداة جديدة اسمها الانسان — وهذه الاداة لا تزال في دور التجربة . وعليه يحذر شو الانسان بانه اذا خاب في تحقيق غرض قوة الحياة ضاقت ذرعاً به ونبذته كما نبذت « المموت » من قبله . ويخلص هذه العقيدة في قوله « يجب ان تمشوا حتى اذا ممت كانت الحياة ، بل كانت قوة الحياة مدينة لكم »

وقد ولد جورج برنارد شو في دبلن عاصمة ايرلندا في ٢٦ يوليو سنة ١٨٥٦ . فبلغ الخامسة والسبعين في الصيف الماضي ومنح جائزة نوبل سنة ١٩٢٦ فوهب قيمة الجائزة فوراً — وهي نحو ٧٠٠٠ جنيه — الى المؤسسة الانكليزية السويدية لتنفقها في اذاعة الادب السويدي — والسويد وطن نوبل صاحب الجوائز المعروفة باسمه — في البلدان الناطقة بالانكليزية





# التجربة التي قضت على الاثير

تجربة ميكلسن — مورلي

وزيدة نسبية اينشتين

١

الاثير بالمعنى العلمي القديم هو ذاك العنصر الذي يملأ الفضاء بكمله فيتخلل دقائق المادة وينتشر انتشاراً متواصلاً بين الاجرام السماوية ولا يدع فراغاً في هذا الكون الا ويملاه. فبافتراض وجود هذا العنصر ينتفي وجود الفراغ المطلق من هذا الكون ويصبح الكون بأجمعه كتلة متلاحمة الاجزاء متراسة البنيان. وهذه الكتلة يملأها نوطان من الموجودات — المادة والاثير — كيفما سرت في هذا الكون فامّا ان تصادف مادة أو أن يكتنفك اثير ولا محل لفراغ ولا لذات ثالثة فيه

والاثير هو مادة في نهاية تركيبه. اي انه يتمتع بجميع خواص المادة بالرغم من اننا لا نشعر به ولا نختبره مباشرة. فله ثقله وكثافته ودقائقه وصلابته ومناعته ومرونته الى آخر ما للمادة العادية من الصفات. وقد اخذ العلماء القدماء يحسبون جميع هذه الخواص من الحقائق العلمية التي تتصل بالاثير فعينوا له كثافته ومرونته وغيرها. وهكذا توحدت النظرة العلمية لهذا الكون في المذهب المادي القائل ان الكون في نهاية تركيبه مادي وان السنن والصفات المادية هي السائدة في جميع نواحي هذا الكون

وقد ظن العلماء القدماء الذين ابتدعوا الاثير انهم مضطرون الى افتراض وجوده اضطراراً، ذلك لعدم امكانهم تحليل ظاهرتين طبيعيتين هامتين الا بافتراضه. وهاتان الظاهرتان هما انتقال النور في هذا الفضاء وفعل الجاذبية بين الاجرام المادية. هاك الشمس تشع نورها فيصلنا بثاني دقائق وهاكها تجذب الارض اليها فتضطرها الى الدوران حولها بدلاً من ان تتراجع عنها في اعماق الفضاء. كيف جاب النور هذه المسافة الهائلة وكيف تمكنت الشمس من جذب الارض لها على هذا البعد الشاسع؟ اذن لا بد من افتراض وجود وسط خاص تستطيع الشمس ان تبعث فيه قوة نورها وان تجذب الارض بواسطته. ومن هنا نشأ الاثير في التراث العلمي وترعرع

فلاثير اذن ذات علمية ابتدعت للاستجابة الى داعي انتقال النور وامكان فعل الجاذبية،







ولولا هاتان الظاهرتان لما كان خطر الاثير بذهن العلماء . وعلى هذا الافتراض يصبح النور مجرد تموجات ذرات الاثير وتصبح الجاذبية ظاهرة اثيرية كذلك . فالنور ينشأ بحركة دورية خاصة في ذرات المادة، ولكن لما كانت هذه الذرات يحيط بها الاثير احاطة تامة فكل حركة فيها لابد منتقلة الى هذا الاثير الذي يكتنفها وهكذا تصبح حركة الذرات الدورية تموجاً اثيرياً يشع في الفضاء الاثيري تبعاً لقاعدة رياضية مألوقة لا تتوقف الاً على مجرد الضغط الداخلي الحاصل في بحر الاثير وعلى كثافة هذا الاثير

هذه هي الصورة الموجزة التي تمخض عنها النظام النيوتوني عن كيفية انتقال النور في هذا الفضاء . النور تموج اثيري ينشأ في المادة ويشع في الاثير بسرعة تتوقف على خواص هذا الاثير فقط . فبعد أن يفصل عن المادة وبصبح في الاثير لا يعود للمادة تأثير فيه على الإطلاق ، بل هو ينتشر في هذا الفضاء تبعاً لخواص الاثير الخاصة . وهذه الصورة الذهنية لا تختلف في شيء جوهري عن تموجات الهواء او تموجات سطح مائي ، بل قد استعارها العلماء وركبوها من اختبارهم للتموج في الهواء وفي الماء . فأنت اذا رميت حصاة في بركة ماء أخذت تموجات سطحية تنتشر من المركز الذي سقطت فيه الحصاة الى حدود البركة ، وهذه التموجات المائية تتوقف سرعتها وخواصها ، بعد أن تنفصل عن حركة الحصاة ، على خواص سطح الجسم المائي الذي تحدث فيه

## ٢

وتستطيع الآن بسهولة ان تتصور كيف يمكننا ان نختبر هذا الاثير اختباراً غير مباشر من مجرد درسنا كيفية انتقال النور فيه . تصور أنك في زورق في النيل ويديك قصبة تستطيع ان تلمس بها سطح الماء فتحدث بذلك تموجات سطحية . فاذا لمست نقطة على سطح هذا الماء أصبحت هذه النقطة مركزاً تنبعث منه التموجات المائية السطحية في شكل دوائر متعاقبة وبعد أن تلمس الماء تنفصل التموجات عنك وتستقل في سيرها مهما طرأ عليك من تغير . لأن الماء يكون قد تلقاها وجعلها ظاهرة مائية فقط . وقد ينبسط امامنا هذا الامر اذا اوضحناه في رسم بسيط ندع هذه الصفحة تمثل سطح الماء وزمزم الى الزورق<sup>(١)</sup> الذي انت فيه بالشكل ز فالنقطة التي تراها في وسط هذا الزورق تملك انت والخط الخارج منك الى النقطة م على سطح الماء يمثل القصبة التي في يدك . ونفرض ان الزورق يسير في الاتجاه ا . والآن اذا لمست م بقصبتك أصبحت م مركزاً مستقلاً عنك تنبعث منه التموجات الدائرية المرسومة في أعلى ، وبديهي ان سرعة هذه التموجات بالنسبة لسطح الماء واحدة في جميع جهاته لانا مفترضون ان سطح الماء متجانس التركيب . فتكون السرعة ج في الاتجاه ج معادلة للسرعة ب

(١) انظر الشكل الاول في صفحة الرسوم التي تصحب هذه المقالة



في الاتجاه ب ومعادلة كذلك للسرعة د في الاتجاه د ، هذا اذا قيست هذه السرعة الثلاث بالنسبة لسطح الماء . وتستمر هذه السرعة ثابتة من حيث مقدارها الكمي بصرف النظر عما قد يطرؤ على الزورق بعد توليدها ، فقد تعكس حركة زورقك بعد توليد هذه الموجات فتسيره في الاتجاه د أو قد تسيره في الاتجاه ج او قد توقفه او قد تسرع في تسيره او قد يفرق بك ، ولكن في جميع هذه الحالات فان الموج الذي أحدثته بتعكيرك صفو الماء يسير بسرعه ثابتة بالنسبة لسطح الماء في جميع اتجاهات حركته مستقلاً عنك تمام الاستقلال ولكن الامر عكس ذلك اذا قست سرعة هذه الموجات بالنسبة اليك . فان مقدار هذه السرعة يتوقف على نسبية حركتي الزورق والموجات وعلى اتجاه كل من هاتين الحركتين أي انك اذا سرت في الاتجاه ا فانك تجد السرعة د اكبر من السرعة ج وهذه بدورها اكبر من السرعة ب . واذا ادخلت تغييراً على اتجاه سيرك او على مقدار سرعتك فان سرعة الموجات المائية بالنسبة اليك تتغير وفقاً لهذه التغيرات التي ادخلتها . وجميع ذلك مضبوط في علم الرياضيات ضبطاً كاملاً بحيث تستطيع ان تحسب اي سرعة نسبية بينك وبين الموجات المائية اذا عرفت مقدار سرعة هذه الموجات بالنسبة للماء ايضاً واتجاه كل من هاتين السرعتين اذا أنعم القاري النظر قليلاً في العبارة الاخيرة في أعلى نجد اننا اسندنا السرعتين اللتين نتناولهما ، اي سرعة الزورق وسرعة الموجات ، الى نظام ثالث مستقل عنهما ، اعني سطح الماء . فوجود هذا النظام ضروري لاتمام معنى كلمة « سرعة » بحذاتها . اي انه اذا زال الزورق ومن فيه من الوجود تظل للموجات سرعة خصوصية ويظل لعبارة « سرعة الموجات » معنى علمي معيّن لا يداخله اي ابهام . وكذلك اذا لم تكن موجات اصلاً فان الزورق يتمتع بسرعة كاملة لها تميزها العلمي الكامل . وكل ذلك لا مكان اسناد كلتا السرعتين الى نظام ثالث هو سطح الماء كما قلنا

فيكون لدينا إذن ثلاث سرع — سرعة الموجات بالنسبة للماء وسرعة الزورق بالنسبة للماء وسرعة الزورق بالنسبة للموجات . والسرعة الثالثة هي مركّب رياضي للسرعتين الآخرين ولم تكن هذه السرعة ممكنة الا لأن السرعتين المركبتين لها مسندتان الى نفس النظام الثالث اي ان توحيد هاتين السرعتين في سرعة واحدة قائم على وجود النظام الثالث الذي تتفرعان منه كلتاها ، ويكون هذا النظام لذلك نظاماً توحيدياً

في هذه الحال ، اي في حال وجود نظام توحيد يتفرّع عنه سرعتان مستقلتان ، تغير السرعة الثالثة الموحدة اذا طرأ اي تغيير على احدي السرعتين المركبتين لها . وكذلك تكون قد تغيرت احدي هاتين السرعتين او كلتاها اذا شاهدنا تغيراً في السرعة النسبية بينهما



وكما ان وجود هذا النظام المستقل يحتم هذه النتائج فان وجود هذه النتائج ينبثق بوجود هذا النظام . اي اننا في حالة عدم تأكدنا من وجود هذا النظام نستطيع ان نجزم بوجوده اذا حصلت معنا هذه النتائج . وبعبارة مختصرة ، إن وجود النظام يحتم وجود هذه النتائج وكذلك وجود هذه النتائج يحتم وجود النظام

في المثل الذي ضربناه عن الزورق في النيل ترى بسهولة كيف ان وجود الماء يحتم تغيرات السرعة التي وصفناها في اعلى . ولايضاح القضية العكسية ، اي قضية كيف ان وجود هذه التغيرات يحتم وجود الماء ، تصور انك لا تستطيع ان تختبر الماء مباشرة اي انك لا تراه ولا تلمسه ولا تستطيع ان تشربه ولكنك تستطيع ان تشاهد تموجاته . فالماء بالنسبة لجهازك الاحساسى معدوم ، اما تموجاته فتستطيع ان تشاهدها بحاسة خاصة . انت تسير في هذا الفضاء وهذه التموجات المائية تسير ايضا ، فاذا غيرت احدى هاتين سرعتين واكتشفت ان السرعة النسبية بينهما قد تغيرت لذلك فقد حصلت على دلالة قاطعة بان كلتا هاتين سرعتين مسندتان الى وسط مادي ثالث مستقل عنهما وموحد لحركتهما . ويكون اختبارك هذا التغير في السرعة النسبية بمثابة اختبار غير مباشر للماء الذي لا يستطيع اختباره مباشرة فتبرهن بذلك على وجود الماء من مجرد دراستك حركة التموجات المائية

هذا ما رمينا اليه عند ما قلنا في اعلى اننا نستطيع بسهولة « ان نختبر هذا الاثير اختباراً غير مباشر من مجرد درسنا كيفية انتقال النور فيه » والا ننتقل من مثلنا الايضاحي الى معالجة الموضوع نفسه ، وهو كيف يمكننا اثبات وجود الاثير من دراستنا النور . هذا ما نستطيعه بسهولة فائقة اذا اثبتنا ان السرعة النسبية بين النور وجسم مادي تتغير اذا تغيرت سرعة النور في هذا الفضاء او سرعة الجسم المادي او كلتاها

٣

هذا بالضبط ما اعترزم ميكلفن ومورلى في تجربتهما المشهورة ان يثبتاه . فسنشرح اذن هذه التجربة باسهاب لنرى قيمتها العلمية والنتائج الهامة التي تتركب عليها

١ هي شعاعة نور<sup>(٢)</sup> تقع على مرآة م نصف عاكسة فتنشق الى شعاعتين احدهما هي الشعاعة المعكوسة ش ، والاخرى هي الشعاعة المكسورة ش . وقد وضعت م بالنسبة لاتجاه ا بحيث تجعل الشعاعتين ش ، و ش متعامدين احدهما على الاخرى البعض . وقد وضعت في سير هاتين الشعاعتين وعلى بعد واحد من م مرآتان اخريان ، هاب ، ج ، تردان الشعاعتين الى م ، وهنا عند التقائهما ثمانية انعكاسات عكساً نصفياً فيتحد الجزء المعكوس من ش مع الجزء المكسور من ش في الشعاعة الاخيرة ش . فاذا سارت كلتا الشعاعتين مسافة واحدة من



نقطة افتراقهما الى نقطة التقائهما ثانية ، اي اذا كانت المسافة م ب تعادل المسافة م ج تعادلاً تاماً ، فانك اذا وضعت عينيك في الوضع ع شاهدت الشعاعة ش م وهي شعاعة كاملة لا اثر للنقص فيها . اما اذا كانت المسافة م ب تنقص عن ، المسافة م ج ، او زيد عليها ، بما يعادل نصف موجة النور ، او اي حاصل صحيح لنصف موجة النور ، فان الشعاعتين تكونان قد سارتا منذ انفراجهما الى اتحادهما ثانية مسافتين غير متعادلتين ، فينجم عن ذلك تداخل نوري بين حركة الموجتين يشف عنه نظام تداخلي تراه في شكل حلقات متعاقبة من النور والظلمة كما ترى في الشكل الثالث في صفحة الرسوم

ولا مجال هنا لشرح كيفية حصول هذا النظام من تداخل الشعاعتين ، فنكتفي بالقول ان نظاماً كهذا هو ما يشاهده المرء فعلاً

والآن اذا ازحنا ب اوج قليلاً أي اذا غيرنا المسافة م ب او م ج ، تتحرك هذه الحلقات بأن تنقل شيئاً فشيئاً الى ان تختفي في الوسط المشترك بينها جميعاً وتظهر حلقات جديدة من خارج النظام ، وعدد ما تختفي يعادل عدد من يظهر من الحلقات ومن مقدار تغير م ب او م ج نستطيع ان نحسب عدد الحلقات التي يجب ان تختفي على هذا المنوال . كذلك اذا كنت مشاهداً هذا النظام وطفقت حلقاته تنقل بغتة فيمكنك ان تكون على يقين ان م ب او م ج شرعت بتغير ، واذا حسبت عدد الحلقات المختفية استطعت ان تتنبأ عن مقدار تغير مدى هاتين المسافتين

في التجربة التي اجراها ميكلسن ومورلي في سنة ١٨٨٧ جعلت الشعاعة ش م موازية لحركة الارض س حول محورها ، اي وضعت ب بحيث تكون المسافة م ب ممتدة شرقاً غرباً فتكون لذلك الشعاعة ش م متعامدة على اتجاه حركة الارض حول محورها ، اي تكون ممتدة شمالاً جنوباً في الاتجاه ز

دعنا الآن نحلل كيفية سير الشعاعتين في الاثير مستضيئين بمثل الزورق وسير التموجات المائية في الماء . عندما تنفصل الشعاعتان ش م و ش م عن النقطة م تسيران كلتاها بسرعة واحدة بالنسبة للاثير لانهما تموج اثيري وكفى . والاختلاف في سرعتيهما لا يكون الا باسنادهما الى آلة ميكلسن ، اي ان سرعة ش م بالنسبة لآلة ميكلسن ( اي بالنسبة للزورق في مثلنا ) هي غير سرعة ش م بالنسبة لهذه الآلة ، لان هذه الآلة تسير مع الارض في دورانها حول محورها والشعاعة ش م متعامدة على هذا السير بينما ش م موازية له . ومن هذا الاعتبار ينتج معنا ان سرعة ش م بالنسبة لآلة ميكلسن عندما تكون ش م سائرة نحو ب هي



حيث تمثل سرعة النور المطلقة في الأثير ومن سرعة الأرض حول محورها. وعند ما تنعكس ش<sub>٢</sub> عن ب وتعود الى م تصبح سرعتها بالنسبة للآلة

ث + س ..... (٢)

أما ش<sub>١</sub> فلها نفس السرعة في حالة سيرها نحو ج ورجوعها منها لأنها في كلتا الحالتين متعامدة على اتجاه سير الآلة. ومقدار هذه السرعة هو

ث<sup>٢</sup> + س<sup>٢</sup> ..... (٣)

لأنه مركب من سرعتين متعامدتين

رتب ميكلسن أجزاء الآلة في الأوضاع المرسومة في الشكل الثاني واخذ يشاهد ش<sub>٢</sub> من الوضع ع فارتسم امامه نظام تداخلي ناجم عن تداخل الشعاعتين احدهما في الأخرى. وعندها ادار الآلة بكامل اجزائها حول المحور م بحيث أصبحت م ب متعامدة على اتجاه حركة الأرض بعد ان كانت موازية لها، واتخذت م ج وضعاً موازياً لحركة الأرض بعد ان كان متعامداً عليها وبهذا التغير في وضع الآلة تغيرت سرعة كل من الشعاعتين بالنسبة للآلة ولعني ميكلسن، فأصبحت سرعة الواحدة في الوضع السابق هي سرعة الأخرى في الوضع الحالي

وبترتب على هذا التغير في سرعة كل من الشعاعتين بالنسبة للآلة تغير في الزمن الذي تستغرقه كل من الشعاعتين في سيرها من م الى المرآة العاكسة ورجوعها الى م ثانية. ومن السهل ان نبرهن رياضياً ان الزمن الذي تستغرقه ش<sub>٢</sub> في وضعها الجديد اصغر من الزمن الذي تستغرقه ش<sub>١</sub> في وضعها الجديد ولذلك فهو أصغر من الزمن الذي استغرقته ش<sub>٢</sub> في وضعها القديم. اي ان شعاعة من النور في سيرها في اتجاه متعامد على اتجاه حركة الأرض تستغرق زمناً اقل مما تستغرق شعاعة أخرى تقطع نفس المسافة في جهة موازية لحركة الأرض بشرط ان تعكس الشعاعتان وتردان الى مصدرها. هذا هو نفس ما يحدث لسابحين يتسابقان في السباحة من نفس النقطة في النهر. فاذا سار الواحد مع التيار ورجع الى نقطة البداية فانه يجد زميله الذي قطع نفس المسافة عرضاً ورجع الى مركزه الأصلي، قد سبقه الى هذه النقطة

واذن، إن لإدارة آلة ميكلسن حول محورها مسافة تسعين درجة، نتيجة حتمية، هي تأخير الشعاعة الواحدة في رجوعها الى م وتعجيل الشعاعة الأخرى في هذا الرجوع. وهذا التأخير والتعجيل يؤثر في النظام التداخلي الذي يشاهده ميكلسن، بان يستلزم نقص بعض حلقاته واختفاءها في الوسط، وظهور حلقات جديدة تسرب الى النظام



من طرفه الخارجي . هذا لأن تباطوء الموجة الواحدة في رجوعها يفضي الى تداخل جديد مع حركة الموجة الثانية التي لم تتباطأ بل بالعكس اسرعت في هذا الرجوع ولما كنا نعرف مقدار سرعة الارض حول محورها وكذلك نعرف مقدار سرعة النور في الاثير ، ولما كنا نستطيع ان نقيس م ب و م ج قياساً مضبوطاً ونستطيع كذلك ان نقيس طول موجة النور ، فاننا بوضع قيم هذه المقادير في المعادلات الرياضية المناسبة نستطيع ان نحسب كمية التأخير والتعجيل في رجوع الشعاعين وبالتالي مقدار التغير الذي يجب ان يظهر في النظام التداخلي ، اي عدد الحلقات التي يجب ان تنقص وتحتفي

٤

هذا التعليل ليس بمقدور احد ان يعيب عليه في شيء، فهو من الوجهة المنطقية كامل بحيث اذا افترضت النظرة التي تمخض عنها النظام النيوتوني فانك مسوق الى الوصول الى هذه النتيجة السالفة . اذا كانت اثير واذا كان النور موجاً اثيرياً شبيهاً بالموج المائي فانه يُحتم على الحلقات التداخلية في تجربة ميكلسن ان تتحرك اذا اديرت الآلة على محورها تسعين درجة وقد اجري ميكلسن هذه التجربة وادار الآلة وحملق جيداً لمشاهدة التغير الذي يجب ان يظهر في الحلقات التداخلية ، ولكنها ظلت ثابتة في مركزها لم تتغير عنه قيد شعرة . واعاد ميكلسن التجربة مئتي وثلاث وربع ، واعادها غيره ، وفي جميع هذه المحاولات لم يحظ العلم الا بنتيجة سلبية بحتة ، تستثنى من ذلك تجارب ميلر الاميريكي التي اسفرت عن بعض النتائج الاليجابية والتي استفزت لذلك ميكلسن لاعادة التجربة من جديد ، فاعادها بضبط ودقة يفوقان ما كان ممكناً في آليته الاولى ، فحصل في هذه المرة أيضاً على نتيجة محض سلبية . ولذلك فالعلم الآن يعتبر هذه النتيجة السلبية حقيقة لا شك فيها

قلنا في مثلنا عن الزورق في النيل ان تغير احدى السرعتين بالنسبة لسطح الماء يفضي بتغير في السرعة النسبية بين السرعتين ، واننا نستطيع ان نحتم بوجود نظام ثالث موحد اذا شاهدنا هذا التغير في السرعة النسبية . وهذا القول ينطبق تمام الانطباق على تجربة ميكلسن . فتحزن لا نشاهد الاثير ولا نختبره مباشرة ، ولكن اذا اثبتنا ان السرعة النسبية بين موجاته ( اي النور ) والارض ( او آلة ميكلسن ) تتغير بتغير سرعة الارض فيه فنستطيع عندئذ ان نحزم بوجوده . وفي تجربة ميكلسن اثبتنا نظرياً ان ادارة الآلة تسعين درجة حول محورها يؤدي حتماً الى تغير في السرعة النسبية بين الآلة وكل من الشعاعين ، وان هذا التغير يعلن عن نفسه بتغير نستطيع ان نشاهده في النظام التداخلي لشعاعي النور . واذن ، بالرغم من اننا لا نستطيع ان نختبر الاثير مباشرة فانه بإمكاننا ان



نجذبته الى نطاق خبرتنا بشيء من الحيلة ، وذلك بان تجري تجربة ميكلمن ونشاهد بأعيننا هذه التغيرات التداخلية ، فهي الرمز الحتمي لوجود الاثير  
اما التجربة فقد اجريت كما قلنا واعيدت عدة مرات ولم تفجح في كل مرة باثبات وجود اي أثر للتغير في النظام التداخلي المشاهد . فحيلتنا اذن لاجتذاب الاثير الى حيز خبرتنا قد سقطت ، وبذلك لم يعد الاثير ذاتاً علميةً مثبتاً وجودها بالتجربة والامتحان بل فرضاً مجرداً . وهو لذلك يختلف جداً الاختلاف من الوجهة العلمية عن الكهرّب مثلاً ، لأن الكهرّب ، وان كنا لانستطيع ان نختبره مباشرةً ، فانه يمكن ان تجري تجارب لا تعلل نتائجها الا بافتراض وجوده . امّا الاثير فقد اجرينا التجربة الوحيدة التي لو نجحت لكنا اثبتنا وجوده ، ولكنها مع الاسف فشلت فشلاً مطبقاً  
فماذا يتبقى لنا ان نفعل ؟

هناك احد احتمالين : امّا ان يكون تعليلنا النظري للتجربة قبل اجرائها ولنتائجها الحتمية ، خطأ ، او ان يكون الاساس الطبيعي الذي شيدنا عليه هذا التعليل اساساً لا وجود واقعي له . اما التعليل النظري فيستطيع اي امرء له الملم بسيط بعلمي الرياضيات والطبيعات ان يرى لنفسه ان لا غبار عليه البتة . واذن فالاساس الطبيعي الذي نشأ منه هذا التعليل هو الذي يجب ان نحوطه بالنقد والتشكيك . واذا فعلنا ذلك بهدوء وورزانة واستقلال عن النظرة النيوتونية ، وجدنا ان لا مسوغ البتة لافتراض وجود الاثير بالمعنى العلمي العتيق ، بل ان ثمة اجماعاً تاماً لنكران وجوده . وباقصاء الاثير عن الوجود العلمي نجد انفسنا مسوقين الى ترميم البناء النيوتوني باكملة بنية اشادة هيكل جديد فخم يستقيم والنتائج التجريبية الحديثة

وعمد هذا الهيكل هو ان سرعة الضوء ثابتة طبيعية مطلقة وان وحدات هذا الكون النهائية ليست المادة ولا الاثير بل هي الحوادث الفضائية — الزمنية التي يتداخل بعضها ببعض وتناسب وتعاقب . وان الاطلاق في هذا الكون لا يقوم على الفضاء بحد ذاته ولا على الزمن بحد ذاته ، بل على اندماج الفضاء والزمن في نظام واحد هو الفضاء — الزمن . وان الغاية المثلى للتعليل العلمي في انسجام المعادلات الرياضية المعللة بحيث تنطبق بانسجامها على الحقيقة الواقعية . وان هذا التعليل الحديث ينزع الى توحيد جميع مظاهر الطبيعة في قالب رياضي واحد . فتكون نبضات فؤادك امام من هي موضع حبك ، وانفجار بركان على الجانب الاخر من القمر ، أثرن مختلفين لنفس المعادلة الرياضية



# فلسفة السعادة في الحضارة الحديثة

خلاصة كتاب برتراند رسل

بقلم يوسف حنا

لا يكاد ينجو عصر من عصور الانسانية من الاعتقاد بأنه ينفرد بأكبر قسط من أسباب الشقاء في الحياة ، وبحث اليوم يتناول هذه الاسباب تحليلاً علمياً ، تتبعه بأخر في أسباب السعادة ، وكلا البحثين يمثلان خلاصة ما استطعت اقتباسه من آراء « برتراند رسل »  
الفيلسوف الانكليزي في كتابه Conquest of Happiness

— القسم الاول — أسباب الشقاء —

١ — **الاشتغال بالنفس** : الاشتغال بالنفس وحصر الانسان إياها ضمن دائرة ذاتيته الفردية يفسد جو الحياة ، كالصباح حين تضعه في غرفة ثم تقفل نوافذها ، فانه يفسد الهواء . والانسان المشتغل عن الحياة وما فيها ، بنفسه ، يجد في أقل صدمة يصطدم بها في حياته ، طعنة مقصودة يوجهها اليه القدر المعاند ، المشتغل هو الآخر عن العالم كله بمحاربة هذا الفرد الواهم ، وفي هذا الاعتقاد المغلوط كثير من أسباب شقاء المرء وأول خطوة في سبيل سعادة المرء هي خروجه من سجن ذاتيته واهتمامه بالحياة الخارجية عنه — صحيح ان الاهتمام بالعالم الخارجي لا يعني خلو سبيل نفس الفرد من العثرات. ولكن صحيح أيضاً ان أثر العثرات التي يحسها المرء خارج نفسه لا تفسد عليه حركة تلك النفس في صميمها كما يفسدها أثر أقل صدمة يصطدم بها المرء حين يكون حبيس نفسه ، مشغولاً بها عن العالم كله وما فيه — واكبر حرب عالية مثلاً لا تعرقل حركة حياتك الداخلية كما يعرقلها فكر بسيط يطرأ عليك باحياء من سلطان أنانيتك واشتغالك بنفسك عن العالم

٢ — **التنافس** : سل الناس اليوم في اوربا وفي امريكا على الاخص ، عما يشغلهم في الحياة ، يحميوك فوراً « يشغلنا فيها الكفاح للرزق » والحق ان هذا الجواب غير صحيح — ذلك ان حقيقة ما يسعى اليه الناس هناك هو النجاح لا الرزق — وما كثر الناس الذين يعيشون

حياة يفضلها الموت الف مرة ، بسبب التنافس والتطاحن في سبيل النجاح والنجاح عند أولئك الناس هو شيء مادي لا يكاد يعدو المال ، فالمال عندهم هو كل شيء في الحياة ، وقد بلغت شهوة الاندفاع وراء النجاح المادي مبلغاً خطيراً حقاً حتى ان



المرء يندفع اليوم في الوان من المضاربات والمغامرات تجعل حياة اصحابها قلقاً مستمراً واضطراباً لا ينقطع له سبب

وليس من ينكر ان الرغبة في النجاح هي عامل خير في حياة الناس ، ولكنني انكر اننا حين نجعل هذه الرغبة عنصر السعادة الوحيد ، نفسد اسباب السعادة . فلتسكن شهوة النجاح عنصراً من عناصر السعادة في الحياة ، لاختلاص كل عناصرها مجتمعة معاً

٣- الملل : والملل لا يعني غياب وسائل السعادة ، وانما هو نتيجة مباشرة لغياب الاسباب التي تثير العاطفة . والميل الى اثاره العاطفة في الانسان غريزة بعيدة الغور في نفسه ، واحسب ان هذه الشهوة كانت تجد كفايتها من الاثارة في العصور الاولى التي كان يقات فيها الانسان بما يتصيد ، فلما انتقل الانسان الى عصر الزراعة ، اخذت تتسرب اليه اسباب الملل ، ونحن مازلنا نشعر بلذة بعيدة الاثر في النفس حين نخرج للصيد — فالميل الى اثاره العاطفة ظاهرة قوية الوضوح بين المجمع

وكثيراً ما نسمع عن ملل الحياة في هذا العصر الميكانيكي ، ولكننا نرى نحن ان العصر الميكانيكي ازال كثيراً من اسباب ملل الحياة الزراعية . فساعات العمل بين العمال ليست ساعات وحدة وانفراد كساعات المزارعين ، أما ساعات فراغهم فيمكن أن تصرف في كثير من اسباب إثارة العاطفة بفضل الآلة

فأين ساعات الليل المظلمة بالامس الزراعي من ساعات الليل في هذا العصر الميكانيكي كانت العائلة في الماضي تجتمع ليلاً في غرفة أو في منزل ضئيل النور ليتحدث الأب وليصنعى الابناء ، ولم يكن الخروج حتى من شارع الى آخر أمراً ميسوراً في كل وقت بسبب رداء الطرق وقلة الانوار ، وكانت التقاليد تضغط بشدة على صدور البنين والبنات معاً أما اليوم فالليل نهار متصل بأخيه النهار الشمسي .... والآلة التي احدثت تلك الثورة الاقتصادية ضربت على قيود الماضي بيد من حديد فخرجت المرأة تعمل وترزق ، ولم تعد العائلة محصورة ضمن جدران المنزل وانما خرجت الى ميدان فسيح الجوانب بفضل الآلة فهناك دور السينما ، والراديو ، والمرايح ، والمراقص وما الى ذلك تمهيداً لسهولة طرق مرصوفة وسيارات وطيارات ... وشوارع وطرق مضاءة وتقاليد جديدة لا تعرف تزمناً ولا شبه تزمنا والرغبة في الهروب من الملل ، اذا لم تتوافر أسباب اثاره العاطفة قد تكون سبباً في شرور كثيرة ، فالاندفاع وراء المخدرات واسباب الخلاعة سبباً نشدان الخلاص من الملل وبواعثه

٤- الحسد : الحسد سجية أولية في الانسان ، يبدي الطفل مظاهر قوية منها



قبل أن يتم السنة الاولى من حياته . وليس الحسد شرّاً كله — فالعامل الحيوي في وجود الديمقراطية وازدهارها ، مردّه الى الحسد والغيرة — وهل ترى ان السواد من الناس كانوا يتطلعون الى المساواة لولا ما يحسونه من أسباب الغيرة من الطبقات الاخرى ؟ وآفة الانسان في سجية الحسد اللعينة هي اعتياد المرء أن ينظر الى الحياة نظرة مقارنة ومفاضلة ، فالواحد لا يقنع بما عنده ويسعد به ثم يحاول أن يزيده ، وانما هو يقارن بين ما يملك من أسباب السعادة وبين ما يملك غيره منها ، فيحسد الغير ويشقى بحسده — والاجدى على الناس ألا يتجهوا في حياتهم الى المفاضلة اذا هم نشدوا الهناء وراحة البال والحسد خدن التنافس ، فالتاجر الصغير مثلاً لا يحسد صاحب الملايين ولكنه يحسد التجار أمثاله ، وهذا عصرٌ واسع رقعة التنافس فهو واسع رقعة الحسد أيضاً ثم لنذكر ان المواصلات العصرية المختلفة وربط انحاء العالم بعضها ببعض ، بشتى الوسائل الاخرى من مثل الصحف ، والسينما ، والراديو ، وما الى ذلك ، تعرض على الناس مختلف ألوان الحياة الانسانية عرضاً أخذاً يوقد جذوة الحسد . وهل حياة العصر إلا تنافس وحسد بين طبقات من الناس وطبقات أخرى ؟ وبين أمم وأخرى ، وشعوب وشعوب ؟ وأعظم ما يهدد مدينة العصر هو هذا التنافس الناشئ عن الحسد

هـ — (التعب) : من المفيد للجسم أن يجهد بعض الجهد ، ولكن ليس من الفائدة في شيء أن يرهق الجسم بالعمل — وقد كان العمال قبل العصر الميكانيكي الحاضر يرهقون أشد الارهاق ، فلما جاءت الآلة رفعت عنهم كابوس التعب إلا أن هذا التعب الزائل حل مكانه تعب آخر لا يقل عن الاول خطراً — وهذا هو تعب الاعصاب وارهاقها يترك عامل اليوم منزله الى المصنع فتلقف أذناه أصوات السيارات والترموايات والوابورات وما شئت من جلبة الآلات ، فاذا وصل المصنع استقبلته عاصفة هوجاء من الصخب والضوضاء ترهق الاعصاب شرارهاق . وهو في هذا كله في قلق نفسي مستمر ، فهناك خشية الطرد ، ولؤم الرؤساء ، وخوف الاصطدام بالآلة من الآلات ، كل هذا وأمثاله يثير في نفس العامل شتى الاضطرابات المتفاعلة مما يرهق النفس والاعصاب معاً هذه هي حياة العمال . أما أمحباب العمل ففي شر آخر ، هم في قلق مستمر من التنافس والمغامرات والمضاربات ، وما قد تؤدي اليه من خراب ودمار

ولكن دعنا من التخصيص وتعال نبحث في حياة اليوم من وجوها العامة لا ينكر أن حياة اليوم هي جهاد مستمر في سبيل النجاح وهذا الجهاد العملي المعنوي معاً ، يفضي الى الاعياء ، ولكن الحق أيضاً أن معظم هذا الاعياء ناشئ عن قلق النفس ،



وليس أجدى على المرء من انتهاج فلسفة صحيحة تجعله مزن التفكير في أعماله مزن النفس ،  
صحيح الحكم على الاشياء

وهناك عامل خفي شديد الأثر في أسباب وجود التعب في العصر الحالي ، هو الحاجة الى ما يثير العاطفة ويشحذها حتى تتذوق أسباب السعادة ودعني أمثل لك على ما أقول : —  
ان أحوال الاقتصاد الحاضرة لا تساعد على الزواج المبكر ، فاذا جاهد الرجل حتى تمكن من الزواج ، كان ذلك وهو في سن الثلاثين أو الاربعين من عمره ، وزوجه هي الاخرى تكون قد جاهدت جهاده وبلغت من السن ما بلغه هو ، فتجني حياتهما الزوجية فاترة أشد ما تكون حاجة الى اثارة العاطفة وفي هذا ارهاق مضمّن للاعصاب

٦ — **﴿فكرة الخطيئة﴾** : ليس من شك في أن فكرة الخطيئة لها أكبر الأثر في سعادة الانسان أو عدمها ، وتستند هذه الفكرة من الناحية الدينية الى ما يسمونه الضمير ، والضمير عند الناس ، مصدر وحيي يعرف به المرء الخير من الشر ، ولكن أترى ان العلوم النفسية الحديثة تقبل هذا القول ؟ وهل الضمير الا مجموعة المواد التي يتألف منها العقل الباطن ؟ ان أقوى نوازع هذا العقل هو الميل الى التستر ، فالانسان ما يزال يحتفظ بسجية الاختباء التي كانت أم وسائل دفاعه عن نفسه في عصور حيوانيته ، وما تزال هذه السجية قوية الأثر في نفسه فالرجل لا يشعر بتأنيب الضمير من فعله شغواء الا اذا افترض أمره ، فاذا تستر الامر فالأغلب انه لا يشعر بشيء من التأنيب أو التبكيت

والضمير لا يوحى لا بخير ولا بشر ، وانما هو ينضح بما رسب في العقل الباطن من عادات ونوازع ، والخوف من الاصطدام بهذه النوازع أو التساوق معها ، هو ما نعرفه نحن باسم الخير والشر . وهذه المواد التي تتألف منها عقولنا الباطنة هي مجموعة ما ترسب فيها من ورائات ، وما نكتسبه من البيئة التي نشأ فيها والتي تكون ضائرنا ، فتتوهم نحن ان صوت ضائرنا هو صوت الله

نخلص من هذا كله بنتيجة خطيرة ، هي خلوّ قوانيننا الاخلاقية من سلطان العقل ، والناس يتناولون هذه القوانين غير المعقولة كما يتناولون الخدرات وواجب المرء أن يتبعد عنها أنا لا أقول بأن يعيش الناس بدون قوانين أخلاقية ، ولكني أصرّ على وجوب اصطناع قوانين من وحي العقل لا من وحي الوراثة والبيئة

٧ — **﴿توهم عداا الناس﴾** : من ألوان الجنون أن يتوهم المرء وجود مطاردين له يقتفون خطاه لا يقاع الأذى به ، وكثيراً ما تنتهي هذه الاوهام الى ضرورة حفظ المصاب بها في أحد المستشفيات — ولكننا لسنا نبحث في هذه الحالات الشاذة ، بل هناك كثيرون



من الناس يعيشون فريسة هذه الاوهام ، فتراهم في كدر مقيم بسببها  
أبناء هذه الفئة من الناس يتوهمون انهم يحسنون الى الغير فيسيء اليهم ، يصفونه النية  
والارشاد فينالهم منه الجحود والنكران ، ويسذلون في سبيله كل تضحية ، فيسرف هو في  
الاساءة والشر ، فهو لاء يجب أن يذكروا ان كثيراً مما يتخيلون انما هو مرض نفسي تسهل  
معالجته بقليل من العناية ونصيحتي أن يذكروا الامور الآتية :

١ - ليست تضحياتهم التي يتوهمونها مثلاً لنكران النفس في سبيل الغير كما يظنون  
٢ - ليجهتدوا في تعرف حقيقتهم . وفي تعرف هذه الحقيقة تخفيف لآلامهم فمنهم من  
يقدر مواهبه مثلاً فوق قدرها ، فيتوهمون ان الغير يسيء اليهم حين لا يعطيهم حقهم من  
التقدير لتلك المواهب الفذة ...

٣ - ليذكروا ان الناس لهم ما يشغلهم في الحياة غير انقطاعهم لنكران تضحيات هؤلاء  
الافراد والاساءة اليهم

٤ - ليذكروا أيضاً ان الناس ليسوا دائماً على استعداد لقبول كل ما يقدم اليهم من  
التضحيات والارشاد وما الى ذلك

٨ - (الخوف من الرأي العام) : وهذا آخر ما نبهت عليه في مقال اليوم ، وهو أدق نقاط بحثنا  
قليلون من الناس يستطيعون أن يسعدوا في الحياة اذا تنافرت آراؤهم وتقاليدهم الوسط  
أو الجماعة التي يعيشون معها ، ومن أقوى مظاهر العصر الحاضر اختلاف الناس اختلافاً  
يتمناً في معتقداتهم المدنية والسياسية والدينية وغير ذلك ، واذاً فأسباب عدم السعادة اليوم  
كثيرة كثيرة هذه الاختلافات في المعتقدات ، وتضارب آراء الافراد والجماعات بعضها وبعض  
وحضارة اليوم تثب وثبات واسعة ، لا اتران فيها ، وهذا من شأنه أن يوسع رقعة  
تباين المشارب واختلاف الآراء وتضاربها . وليس أثقل على النفس من التضيق على ما يعتقد  
المرء انه حق

ومن أشد الاخطار الشائعة بين الناس القول بأن العبقريه اذا صح جوهرها فليس يقف في  
سبيل ظهورها عائق ما ، وان المرء الصحيح النزعة والآراء لابد أن تغلب نزعتة على الرأي  
العام وتضييقه . هذا خطأ سقيم وكمن عبقري نابع دفن حياً هو وعبقريته دون أن  
يعرف الناس شيئاً عنه ؟ دفنه في الحياة جهل الناس وغباؤهم . ثم من ذا الذي قال ان  
العبقري وحده هو المكلف بتحمدي الجماهير ؟ أليس الاقرب الى العقل أن تفسح الجماهير  
المكان لسكل فرد من الناس حتى يظهر ما عنده خيراً كان أو شراً ؟ [ البقية في باب الاخبار العلمية ]





مشهدان في متحف فيلڊ بشيكاغو پملاڻ الحيوانات في مسارحها

امام الصفحة ١٥٣

مقتطف اكتوبر ١٩٣١





## وجوب انشاء دار للتاريخ الطبيعى لغة الطبيعة واثرها في الخلق الانساني

لـ اسماعيل مظهر

للطبيعة على الانسان سلطان غير محدود المدى ، ولا مقصور على ناحية خاصة من النواحي التي تتشعب فيها النفس الانسانية. يكفي لان تعتقد بهذا ان تذكر ان الانسان جزء من الارض، وأنه من صميم ثراها نشأ وترعرع ، ومن خيراتها عاش وتكاثر، ومن هواها انتعش ، ومن انهارها اغتذى ، ومن احجارها شيد ، ومن اشجارها نجّد ، وفي حزونها ووهادها وتلاها وجبالها ضرب كل مضرب وسار كل مسار ، ومن مشارفها غذى النفس ، ومن مناظرها زود الخيال ، ومن حقائقها كون العقل. سلطان موروث بالطبع، لا مكتسب بالمران ، سلطان لا يتألف اذا قلت أنه قطعة من الفطرة، وجزء من الحيلة ، تراءى للطفل تخيله منذ ان يفتح عينيه لأول مرة على نور هذه الدنيا ، ولا تفارق الانسان خيالاته الا عندما يغمض عينيه الغمضة الاخيرة ، ويخيم الموت على هيكله الترابي

على أن اهل العلم يحاولون اليوم أن يكسروا من حدة ذلك السلطان، سلطان الطبيعة على ابنها النائر. فيقولون بان الانسان استقوى على الطبيعة وأخضعها ، وأنه ذللها وألجمها ، ثم امتطأها. والحقيقة ان الانسان كلما ازداد استقواءً على الطبيعة في ناحية زاد سلطانها عليه، واستبدادها به في نواح اخرى . فاذا كان الانسان قد حبس تيار الكهرباء في سلك محصور في زجاجة مفرغة من الهواء فتوهج ، واذا كان قد امتطى الريح باللات داخلية الاحتراق تدير محركات تضرب الهواء وترفع فيه جسماً أثقل منه ، واذا كان قد اسر البخار فشى به فوق الارض وعلى متن البحار سالكاً سبيلاً ذليلاً ، فان كل هذا وما يجري مجراه من المستكشفات التي استخدم فيها الانسان قوى الطبيعة ، انما تصبح للانسان اسراً جديداً بالتقليد والصفات المكتسبة والعادة التي تصبح على مر الاجيال فطرة. خذ لذلك مثلاً حركة الانتقال من مكان الى مكان . فان الانسان ظلّ قروناً ودهوراً ينتقل من مكان الى آخر مشياً على رجلبيه ، فلما ألف الحيوان اتخذه منه متوناً يسافر عليها ، وظهوراً ينقل عليها متاعه وزاده . فانتقل بذلك من حال اجتماعية الى اخرى . ثم استخدم العربات ثم البخار ثم



الكهرباء . وكان في كل مدرج من هذه المدارج مدفوعاً الى التطبع بما نال من انتصار على الطبيعة والتعود على حالات جديدة، حتى اصبح اسيراً لهذه العادات بل عبداً لمخترعات عقله ، ومستتبطات ادراكه ، ومستحدثات تصوره ، فانتقل بتطور الحالات الاجتماعية من حال الى اخرى يستحيل عليه في الوقت الحاضر ان يرتد عنها أو يرجع بها الى الحالات الاولى التي درج عليها اسلافه الدهور الطوال . ومع هذا يقولون ان الانسان استقوى على الطبيعة ، ولكن الحقيقة انه استخدمها فأسرته ، وعبدها فاذلته ، وذللها فصفده ، وخلقت منه خلقاً جديداً له عاداته التي لم يدرج عليها آباؤه الاولون ، وزعت به منازع حديثة أحاطته بكثير من القيود الاجتماعية والحيوية ، كان أوائله محرراً منهن ، وعلى قدر ما كان جهلهم بالطبيعة واسرارها ، كانت حالاتهم الاجتماعية ، فكانوا ادنى من الفطرة واقرب لمطالب الحياة الحرة على معناها الاوسع

ثم خذ مثلاً آخر . فان الانقلاب الصناعي ، الذي مني به العالم الحديث ، اذ خرج الانتاج من يد الصانع الى دوي الآلات الميكانيكية قد احدث حالة يدعوها البعض تغلباً على الطبيعة واعنائاً لها وتسوداً عليها . ذلك في حين أن الآلات افقدت الانسان مهارته الطبيعية ونزلت به من سماء الفن الى اسر الآلات الداوية ليل نهار، حتى لقد اصبح لها عبداً رقيقاً بل يخيل اليك كلما نظرت آلة يخدمها انسان ، ان الانسان قد انقلب آلة ميكانيكية وان ارادته فتت في ارادة الآلة التي يلاحظها ، فكانه انقلب آلة وانقلبت الآلة انساناً وكذلك الحال اذا تأملت في الامر من الناحية العقلية الصرفة . فلقد تحرر آباؤنا الاولون من كل شيء في الطبيعة الا حاجات الحياة الاولى من مأكل ومشرب ومأوى واخلاف النسل . ثم تصوّر بضعة ارواح تحرك ما حولهم من كائنات . فلم يكن لهم من غرض الا الحياة على صورتها الطبيعية الصرفة ، والاعمال الظاهرات بخضوعها لارواح او لقوات مما وراء الطبيعة ، تحتكم في كل ما ترى حفايفك من مظاهر الوجود . لم ير الانسان الاول في الطبيعة وجهاً للشكوى الا اذا تعارضت اعاصيرها مع حاجات حياته . اما الآن فان يوماً غائماً او شديد الرياح ، كفيل بان يشغل مئات من مكاتب المحامين ، وبضع عشرات من القضاة في دور العدل . او كساد في السلع او نقص في الثمرات ، فانه زعيم بان ينتج ثورات طاحنة او فورات مهلكة ، أو حروب تأكل الاخضر واليابس . أو زيادة في رطوبة الجو تؤثر في الاعصاب تأثيراً من شأنه ان يرسل الكثيرين الى محاكم الجنائيات ، وبالقليل منهم الى حبال المشانق . كل هذا نتيجة لاتساع افق التصور واستتباط العقل لكثير من خفايا الطبيعة مع عدم التساوي بين الناس في المعرفة . فان الفارق بين الذي يدرك أن المجرة





ثور ملايا البري



ثوران بريان

مشهدان آخران في المتحف الاميركي للتاريخ الطبيعي بنيويورك

امام الصفحة ١٥٥

مقتطف اكتوبر ١٩٣١



بها نجوم تبعد عن أرضنا ملايين السنين النورية ، وبين الفلاح الذي قال لي مرة في يوم صائف ان الشمس لا بد من ان تكون اقرب الى الارض في القاهرة منها في شمال الدلتا ، كبير ، اذا اعتبرت الحالات الاجتماعية التي تلبس الانسان في عصره الحاضر . فان الاول يدرك من المدينة انها نظام موروث تشابكت حلقاته الى درجة التعقيد ، في حين ان الثاني لا يدرك من هذا النظام الا انه نظام خلق مع الارض مبادرات لاول مرة في فلكها المرسوم . والفوارق التي تباعد بين طبقات المجتمع تخلق حالات يصعب فيها الانسان عبداً للطبيعة ولنظام الاجتماع الخاضع في كل الحالات لعوامل طبيعية يخرج عن طوق الانسان ان يحتكم فيها او بصرفها في الناحية التي يراها خيراً

### لغة الطبيعة

لهذا ترى ان من اكبر الاصفاذ التي قوّضت بها الطبيعة حرية الانسان ، تطور عقليته من ناحية ، وتطور نظمه الاجتماعية من ناحية اخرى . فان تطور عقليته نزع به الى حب الجمال ، وتطور نظمه الاجتماعية اوقعه فيما يدعوه الاستاذ لير الالمانى بالجشع الاجتماعى ، تلك الصفة التي اخضعت كل الفضائل الانسانية لرذيلة واحدة ، هي رذيلة الاستعجاج وحب الحطام حتى اصبح المجتمع الانساني اشبه بنظام بدائي تنازعت فيه الميول والشهوات ، بدل ان تتنازع فيه الحاجات الاولى . ولقد يخيل اليك ان معركة التناحر على البقاء التي تقوم بين الاحياء في الطبيعة عفواً وبحكم الضرورات الحيوية وعلى صورة مجازية صرفة ، قد دارت في عالم الاجتماع الانساني خاضعة لقواصر لا ضرورة لها في الحياة ولا حاجة للانسان بها في نظام اكثر من نظامنا الحاضر تمشياً مع المعقول ومع الضرورة . وما السبب في هذا الا ان سواد الناس يجهل لغة الطبيعة او ان الناس جرياً وراء شهواتهم قد وضعوا للطبيعة اسلوباً غير اسلوبها وبلاغة غير بلاغتها ، على قدر ما يرضي في انفسهم شهوة التهاك على الحطام واستعجاج ما هم في غير حاجة اليه

لهذا ترى ان المجتمع الانساني اصبح شبيهاً بسجن حيث شبكته من اوهام دينوية ، خلقها ما يدعوه البعض تسوداً على الطبيعة واسراً لقواتها . على ان تسود الانسان على الطبيعة هو أحد تلك الاوهام التي يحاك منها شبكة السجن الديوي . ولو فقه الناس ان للطبيعة لغة يمكن ان تحاطبهم بها في صمت ، او لو انهم عرفوا ان الطبيعة لا تؤسر حتى تأسر ، إنها لا تستعبد حتى تستعبد ، وأنها لا تخضع حتى تخضع ، لا يمكن ان يكون للدعوة التي دعى اليها فلاسفة من اصحاب كبار العقول على مدى الايام الحالية ، بعض الاثر في صرف الناس الى

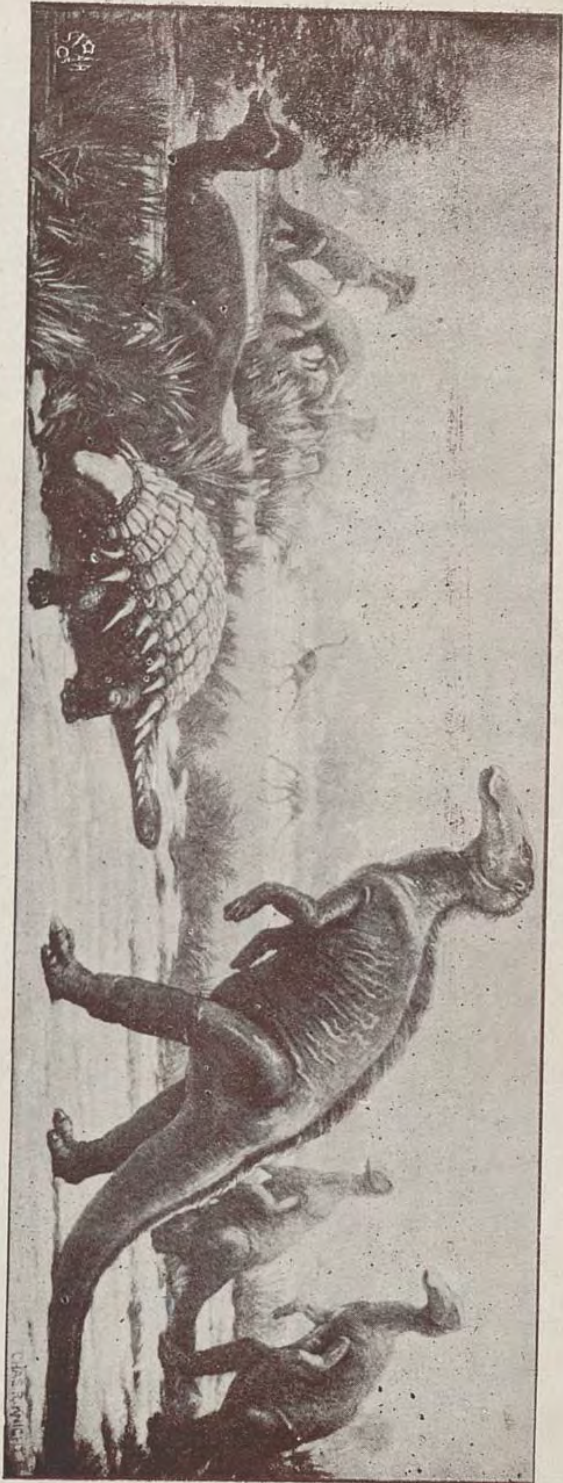


متجه آخر اقرب الى مطالب الحياة لتكون الحياة اقرب الى الحرية ، وادنى الى الجمال الذي تصبو اليه النفس الانسانية كما ضرب الانسان في مجاهل الطبيعة  
 يخيل الى الذين لم يقرأوا لغة الطبيعة على حقيقتها ان هذا النظام الاجتماعي القائم من حولهم بما فيه من معاهد ونظامات وجيوش وحكومات وسلطات قضائية وتشريعية وادارية، وبما فيه من منازع ومظاهر وقواسم، قد خلق مع الطبيعة منذ ان برزت في عالم الوجود على ما هي عليه اليوم . اما لو فقهوا لغة الطبيعة اذن لعرفوا ان هذا النظام خاضع لما ندعوه « ارادة المجتمع الانساني » وتكون من مجموع الظروف التي احاطت بالجماعات الانسانية منذ اول ظهورها على سطح هذا السيار في جماعات منظمة ، ومن مجموع المنازع والمشاعر والخيال ، ومن مجموع الانتصارات والهزائم والوان الحب والكراهية ، وفورات الانفعال والشهوة ، واطوار الحرب والسلام ، ومظاهر الاقدام والاحجام ، وعلى الجملة بمجمل ما شعرت به نفوس اولاد آدم وما احاط بهم من عوامل منذ اُبعد العصور . وان هذا النظام الاجتماعي يحوي من مختلف الصور ما هو اثر من آثار ما احاط بالشعوب من فعل البيئة والنشأة والوراثة والاستيطان وطبيعة الاقليم ونحيط الارض الى غير ذلك من المؤثرات التي توحى اليك بها الطبيعة في لغة مفهومة سهلة بعيدة عن ان تكون كناية او مجازاً ، خالية من المحسنات اللفظية، بعيدة عن الخطايات التي تستعين بصور البلاغة ، موجزة لا اطناب فيها ، معجزة لا مؤول لها

والذين يعجزون عن فهم لغة الطبيعة يظنون ان الانسان خلق وحده وأنه لا يمت الى الطبيعة بسبب وأنه سيدها وإنه محور الكون وسيد المخلوقات ، الى آخر ما هنالك من مهزلة الخيال الانساني . فاذا فهموا لغة الطبيعة أدركوا ان الانسان احدى هبات الطبيعة لعالم الحياة ، اخرجته بالنشوء من جوفها العميق انسلالاً على مدى الدهور ، كما ينسل الليل من النهار ، ولكن في فترة مداها ملايين السنين وعلى غير استعمار بما جمعت فيه من وراثات وما حبت به جماعته المتفوقة في الحياة من حظوة الانتصار في معامع التنافس على البقاء، وبما بعثت فيه هذه المعارك المتطاولة من شعور بالحاجة الى التعاون الذي كوّن هذا المجتمع الانساني ، بما فيه من مختلف الصور ، وبما يحوي من ضروب المعاهد والنظامات

وتوحى اليك لغة الطبيعة بان الارض سيار يدور حول الشمس وأنه ثالث السيارات بعداً عنها وان فلكه على هذه النسبة من الشمس كان ملائماً لظهور الحياة في صورة حية اخذت تتطور على مدى الايام الطوال فكانت حيوانات رخوة ثم اسماكاً ثم زواحف ثم طيوراً ثم ثدييات برز من خلالها الانسان متربهاً على عرش قسم منها ندعوه الرئيسيات . وان الارض





## تمثيل حياة الحيوانات المنقرضة

مشهد في دار فيلد للتاريخ الطبيعي بمدينة شيكاغو يمثل حيوانات الديوسور من الهيد النالاني. فالحيوان الكبير في اليمين حيوان آكل للنبات يدعى تراخودون . والحيوان المدرع في الوسط يدعى باليوسيزكس . والحيوانات الباقية هي من حيوانات ذلك الهيد النرية الشكل والاطوار . وقد عني العلماء بتمثيل حياتها في مشاهد ناطقة يؤيد البحث العلمي كل دقيقة منها



كتلة مشتعلة انفصلت من الشمس مذ كانت سديماً بفعل جذب شديد سببه نجم ضال اقترّب من ذلك السديم فامتد منه ذراع الى خارج فلك ابعد السيارات المعروفة ، ومن ثم اخذ يدور حول اصله في كرات تكافئت ، فكان منها جابرة من امثال المشتري وزحل ، واقزام من امثال عطارد والزهرة والارض والمريخ

ثم توجي اليك بان القشرة المتجمدة من الارض قد تناوبت عليها ادوار وتناوحت من حولها اعاصير كانت مياه الامطار وثورات البراكين وهزات الزلازل وطغيان المياه انهاراً وبحوراً ، بعض عوامها التي جمعت الارض على ما هي عليه الآن

ثم توجي اليك بان ظهور الاحياء على الارض وانتشارها فوقها قد خضع لمؤثرات ندعوها مؤثرات الاستيطان وزعت الاحياء على الارض توزيعاً جغرافياً راجعاً الى حكم الضرورات والمقتضيات التي احتكمت في كل ما برز في الوجود من صور الوجود

وبهذه اللغة السهلة الموجزة تحدثك الطبيعة اذا نظرت الى السماء تستوحي شمسها واقمارها وسياراتها ، او اذا تطلعت الى الارض تستوحي تاريخها المجيب الذي يرجع بك لا الى مدنيات اليونان والرومان ، ولا الى مدنيات مصر وبابل واشور والهند والصين ، بل الى ملايين السنين ، حتى ليخيل اليك وانت تستوحي ذلك التاريخ ، انك تستوحي الابد او اللانهاية والطبيعة في لغتها لا تتكرر عليك الدليل ولا تلجأ الى مغالطتك ببرهان منطقي . بل دليلها في يدها وبرهانها في آثامها . دليل قائم وبرهان ناهض . ولذلك كانت لغتها اسهل اللغات على من يدرك كيف يقرؤها ، واشدها استعصاءً على من يجهلها ، وبرهانها قريب لمن يستطيع ان يستخلصه من طياتها ، خفي على من يقف المعجز به بعيداً عن استخلاصه

### كيف نتعلم لغة الطبيعة

لهذا كان جهل الناس بهذه اللغة السهلة الموجزة ، وعجزهم عن ادراك بلاغتها التي تتضاءل بجانبها بلاغة الاوضاع الانسانية ، سبباً في أن يصاب المجتمع الانساني بجمود العقل وانحطاط الروح الى درجة صورنا لك فيما قدمنا من الكلام صورة ضئيلة منها . ولكن كيف يمكن ان نتعلم لغة الطبيعة ، وكيف نفوّد الناس على ان يقرؤوها سهلة مذلة ، بعيدة عن مكبرات الجدل والسفسطة ، قصية عن أن تحتكم فيها الاوضاع الانسانية ؟ كيف تقرّب الناس من الطبيعة ، حتى يعرفوا ان الحياة ليست مجرد تكالب على الحطام ، ولا تهالك على الاستئجاع ، وان شر ما تبلى به الجماعات رذيلة الجشع الاجتماعي ، التي خلقها مجتمع بعد عن الطبيعة وجعل لغتها وعجزهم عن استقراء اسرارها ، وقعدت به مخايل الوهم الديوي عن الاقتان



بلاغتها ؟ لا سبيل الى هذا الا بأن نجتمع لهم الطبيعة في دار ندعوها «متحف التاريخ الطبيعي»  
نسلسل لهم فيها تاريخ الكون على ما استطاع العلم حتى اليوم ان يدرك من اسرار العميقة  
ياخذ الفنان في يده قطعة من الصلصال لصورة لها ولا شكل ، ولا انطباق لهيكلا  
على صورة من الصور الهندسية النظمية ، فيضغطها من ناحية ويضعها من ناحية اخرى ، ثم  
يمضي في تصويرها رويداً رويداً ، واذا بك ترى امامك تمثلاً رائع الجمال يمثل ناحية من  
نواحي الحياة او لوناً من ألوانها او عاطفة نائرة او حباً كامناً او املاً او بغضاً او حزناً  
او تأملاً او غير ذلك من الصور التي تستحيل اليها ملامح الاحياء وتعبّر عنها تقاسيمهم . ويمسك  
المصور ريشته وامامه لوحة بيضاء يخط عليها خطوطاً تحسبها لاول امرها عبث اطفال او  
تخطيط لام يقطع الوقت ضجراً من الوقت . ثم لا تلبث ان ترى اللوحة وقد استحالت  
بريشته منظرًا طبيعيًا اخذاً بالالباب او وجهاً تجري فيه الحياة كما تجري في الاحياء ، وقد  
برز لك من ثنايا الريشة والحضاب ، ليمت في نفسك باعثاً بعينه ويكون امام ناظريك حالة  
تامة من حالات الحياة دفعة واحدة . وما ان تغالط نفسك او تحملها على الانصراف عن  
ان تستحيل الى الصورة التي تعبّر عنها الصورة ، الا وانت مجاهد في سبيل النخلص من اثر  
المصور في صورته جهاداً لا تخرج منه الا مهزوماً ، ولا تفارقه الا وقد ثبتت في نفسك  
صورة لا تتغير ، لان نفسك استحالت اليها فدمغتها بطابع لا يزول ولا يتحوّل . ويجلس  
الشاعر منصرفاً الى تأملاته منحدرًا تارة الى حضيض اليأس ، طافياً اخرى الى مسابح الامل  
ومسارح الحياة الانسانية ، يجمع من هنا فكرة ومن هناك خيالاً ، ويطرد ذكريات تؤله  
ليستلهم اخريات ترضيه ، حتى اذا تحركت في كيانهِ الشعاعية وانسجمت في نفسه المعاني  
فاستبان السبيل ، تدفق منه الشعر عقوداً منظومة وخيالاً مجسماً او طبيعة ناطقة بما تحس  
النفس الانسانية من مختلف صور الحياة التي تحياها . وعلى هذه الوتيرة يجب ان يجري  
العالم الطبيعي . فانه يجب عليه ان يجمع بين العلم والفن والخيال ، ليخرج للناس من الطبيعة  
صورة تعبّر عن الماضي اقوم تعبّر ، وليخلق من مجموع العلم والفن والخيال لغة للطبيعة يفهمها  
العالم ويدرك معناها المتعلم وطالب المعرفة . يجب عليه ان يقيم للطبيعة داراً تحي بين جدرانها  
صورة تعبّر لنا عن لغة الطبيعة الصامتة ، تلك اللغة التي هي شبه بلغة الفنان والمصور مهتوك  
في العيان ، في حين انها كلغة الشاعر خفية في المعنى . يجب عليه ان يجمع الاحجار والالوان  
المستحجرة من اسنان وجماجم واقدام وسلاسل فقارية وفكوك واصلاب واعجاز وزعاف  
وتروس الى غير ذلك ، ثم يعمل في مجموع هذه عصي العلم لا عصي السحر



## قبل الزلزال

ربّاهُ عفوك ، إني كافرٌ جانٍ  
تبعْتُ في الناسِ أهواءَ محرّمةٍ  
عصيتُ ما أنزلتهُ حكماً على  
ولم ألقِ من جنونِ القلبِ في سُبُلِي  
جوّعتُ نفسي وأشبعْتُ الهوى الغاني  
وقلتُ للناسِ قولاً عنهُ تنهاني  
عيسى وطه بأنجيلٍ وقرآنٍ  
إلا وقد حَتَّتِ الأهواءُ إيماني  
ربّاهُ عفوك ، إني كافرٌ جانٍ !

لَكُمْ دَعْتَنِي إِلَى الْفَحْشَاءِ أَمِيلُ  
إِنَّ التَّجَارِبَ لِلْأَبَابِ مَوْعِظَةٌ  
تلكَ الليالي المواضي لا يزال لها  
واحسرتها ! وقلبي لا يزال له  
لما استفاقت عيوني  
عزمتُ أن أتعرّى  
وقال لي : « الحكمُ حكمي  
لا تستطيعُ التغيّي  
والحبُّ لا يتغذى  
فلم أجد لي مغيضاً  
فصرتُ أغذوهُ عاراً  
وصار يُسكرُ روحي  
بنعمةٍ من لبيبٍ  
حتى ظننتُ نعيمي  
ربّاهُ عفوك ، إني كافرٌ جانٍ !

وطأتُ لي كَنَفَ الدُّنْيَا فقلتُ قني  
ومال مذهب طبعي عن سجيّتهِ  
وغاب عني أني عشبَةٌ نبتت  
على جوانبِ إبريقٍ إذا نظرتُ  
يا نفسُ في منهل اللذاتِ وارثني  
حتى تقلبَ في بَطَلٍ وفي صُلَفٍ  
على جوانبِ إبريقٍ من الخَرْفِ  
عينُ إلى عتقه انحطت على تَلَفٍ  
قديمةٌ كالزمانِ



مرّت قرونٌ عليها      فشاب لونُ الدهانِ  
ومهدّ النّسنُ فيها      مساربُ الديدانِ  
فخّارةٌ دنسها      خواطرُ الانسانِ  
تخاصمت جانيها      مظالمُ الأديانِ  
كأنما الدينُ فيها      ضربُ من الويلِ فانِ  
كم مرّةٍ أوعدها      ثوائرُ الغليانِ  
وكم تفجّرَ فيها      بالأمس من بركانِ  
تبقى قروناً طوالاً      وتمسّحي في ثوانِ  
خزّافها ذو حنانٍ      حيناً وذو سلطانِ  
ينهى ويأمرُ      بالصاعقاتِ واليرانِ  
ديدانها مسكراتُ      بجمرةِ التيجانِ  
والتاجُ، لو هي تد      ري، معنى من البهتانِ  
ربّاهُ عفوك، إني كافرٌ جانٍ !

\*\*\*

نخّارةٌ جُبلت بالدمع والطين      من عهد قايين أو من قبل قايينِ  
نيرونُ أضرمَ فيها جمر مقلتهِ !      تلك البراكينُ من أجفانِ نيرونِ  
تبادرتها من الديدانِ طائفةٌ      أبطال حربٍ من الغلبِ المجانينِ  
ما كان إسكندرُ فيها سوى شبحٍ      يحجبُ الشمسَ عن عيني ديوحينِ  
ما كان جنكيزُ إلا      شرارةٌ في الكيانِ  
تضرّمت وتوارت      بين الرمادِ الفاني  
ربُّ المغولِ الهُ      النيرانِ والعصيانِ  
ثارت عليه — كما ثار — سنّةُ النيرانِ      ثارت عليه — كما ثار — سنّةُ النيرانِ  
والتارُ تمحقُ إلاّ التذكّارُ في الأذهانِ      وثارت ما بناءُ من شاهقاتِ المباني  
أبقت الى الفُرسِ ذكرى كسرى أنوشروانِ      وقوّضت ما بناءُ من شاهقاتِ المباني  
لم تبقِ إلاّ بقايا خورنقِ النعمانِ      لم تبقِ إلاّ بقايا خورنقِ النعمانِ  
تلك البقايا عظامُ الزمانِ للانسانِ      تلك البقايا عظامُ الزمانِ للانسانِ  
تلك البقايا رموزُ لسُخرياتِ الاماني !      تلك البقايا رموزُ لسُخرياتِ الاماني !  
أين الذي شيدتهُ جلائلُ الرومانِ ؟      أين الذي شيدتهُ جلائلُ الرومانِ ؟  
حلّم من المجدِ أبقي      أسطورةً في اللسانِ !



شرعُ المقدّرِ ألاَّ يَبْقَى سِوَى الحُسْرانِ  
 أمّا الكمالُ فلمْ في هِجَةِ النقصانِ  
 يَرْقَى إِلَيْهِ رَوِيداً عَلَى مَتُونِ الزمانِ  
 عَلَى الْإِرَادَةِ وَالتَّضَحِيَاتِ وَالْعِرْفَانِ  
 حَتَّى إِذَا حُكَّ كَانَ الْكَلَامُ لِلطُّوفَانِ  
 وَكَانَ لِلنَّارِ رَأْيٌ وَلِلدَّمَارِ يَدَانِ !  
 أَمْ الزَّلَازِلُ طَوَّافَةٌ بِكُلِّ مَكَانٍ  
 آتَارُهَا بَاقِيَاتٌ وَقَفَاءً عَلَى الْإِحْفَانِ  
 وَالنَّاسُ — وَاحْسِرَتَاهُ — إِمْتَانٌ مُخْتَلِفَانِ !  
 أَعْمَى لَهُ مَقْلَتَانِ فِي الْعَقْلِ مَبْصِرَتَانِ  
 وَمَبْصَرٌ أَظْلَمَتُهُ عَيْنَانِ لَا تَرِيَانِ !

تَرَى مَشِيئَتَكَ الْعَالِيَا تَنَادِيَنِ  
 رَبَّاهُ ! هَلْ يَنْتَهِي حُلْمِي بِبَارِقَةٍ  
 وَهَلْ أَرَى زَاحِفاً فِي اللَّيْلِ مَلْتَهَباً  
 أَدْعُوكَ ، وَالظُّلُمَةُ الْحُمْرَاءُ تَحْرِقُنِي ،  
 أَعْرَضْتَ عَنْكَ غَدَاةُ الْقَلْبِ ضَلَّيْنِي  
 وَحِينَ أَوْقَظْتَ مِنْ سُكْرِ الْمَوَى خَجِلاً  
 فَلَمْ تَمَلْ قَلْبَكَ الرَّحْمَنَ عَنِ الْمَيِّ  
 لَكِنِّي عَدْتُ بَعْدَ التَّفَكُّرِ عَنْ تِسْهَانِي  
 إِلَى ذُنُوبِ جَسَامٍ كَثِيرَةٍ  
 مَلَوْنَاتٍ بِدَمْعٍ مَخْضَبَاتٍ بِقَانٍ  
 وَقَلْتُ لِلْقَلْبِ : أَطْلُقْ فِي الْمَوْبَقَاتِ عَنَانِي  
 طَيْفُ الْإِلَهِ بَعِيدٌ وَعَيْنُهُ لَا تَرَانِي !  
 وَقِيلَ يَوْمَ عَصِيبٍ يَنْقُضُ قَبْلَ الْأَوَانِ  
 تَنْقُذُ النَّارُ فِيهِ وَالْحُكْمُ لِلدِّيَانِ !  
 فَرَحْتُ أَسْأَلُ نَفْسِي الدِّفَاعَ عَنْ كُفْرَانِي  
 فَلَمْ أَجِدْ مِنْ يَحَامِي عَنِّي سِوَى بُهْتَانِي !  
 رَبَّاهُ عَفُوكَ ، إِنِّي كَافِرٌ جَانٍ !





## فراداي

MICHAEL FARADAY

على ذكر الاحتفال بانقضاء قرن كامل على اكتشافه  
لتيارات الكهرباء المؤثرة

من الغريب ان يحرز فراداي المقام الرفيع الذي احرزه بين علماء الطبيعة والكيمياء وان يكشف مكتشفاته المهمة في نواميس الكهرباء والمغناطيسية من غير ان يكون بارعاً في العلوم الرياضية . ولا يخفى ان الالمام بهذه العلوم من امضى الاسلحة في ايدي علماء الطبيعة والكيمياء . لكن عقل فراداي بلغ من النبوغ العلمي مرتبة لم يكن معها في حاجة الى استعمال هذا السلاح الماضي . فمن العلماء فريق يتخذ من العلوم الرياضية قاعدة لمذهب علمي ثم يحقق هذا المذهب بالتجربة والامتحان والاستقراء . ومنهم فريق يبدأ بالتجارب من غير ان يقصد تحقيق رأي خاص فيوالها ويبوب نتائجها فيستخرج منها احكاماً عامة اما فراداي فلم يكن من اولئك ولا من هؤلاء لانه كان ذا نظر نافذ الى طبيعة الاشياء حتى كان ريشة سحرية كانت تخط على صفحات عقله الآراء المبتكرة فيمتحنها في مختبره ببراعة نادرة المشيل وفي الغالب كانت تجاربه تثبت صحتها

\*\*\*

ولد في ٢٢ سبتمبر سنة ١٧٩١ في بلدة نيوفتن بيوركشير من اصل وضع اذ كان ابوه حداداً متقلاً وامه امية على انها كانت حكيمة تحب اولادها حباً جمّاً وتعنى بنظافتهم ومعيشتهم على قدر ما تسمح لها الاحوال . ولما كان في الخامسة من عمره اصيب ابوه بداء اقعده عن العمل وكانت الحالة الاقتصادية في انكلترا حينئذ شديدة الضنك فبلغ ثمن اقة الحنطة نحو جنيه واضطرت أسرته ان تطلب الاعانة من الحكومة فكان نصيبه منها رغباً في الاسبوع

اما عن تعليمه فهناك ما كتبه بنفسه: «كان تعليمي عادياً فلم اتلق سوى مبادئ الكتابة والقراءة والحساب وكنت افضي الوقت خارج المدرسة لاهياً في البيت او في الشوارع» وليس فيما كتبت عنه في هذه المدة ما يستدل منه على انه كان ذا مقدرة عقلية فائقة او



رغبة خاصة في التقدم والارتقاء. ولما كان في الثالثة عشرة من عمره استخدمه بائع كتب يدعى جورج ريبو فكان يوصل الصحف الى المشتركين فيها ويجمعها بعد ما يسمون قراءتها فسرّ المستر ريبو من دقته وامانه في القيام بأعماله فسمح له سنة ١٨٠٥ ان يتعلم تجليد الكتب من غير راتب. ووقع حينئذ بين يديه كتاب وط في «ترقية العقل» فقرأه وهو يجلده ثم قرأ كتاب مسز مرست «احاديث عن الكيمياء» ولما كان يجلد جزءاً من دائرة المعارف البريطانية قرأ فصلاً فيها عنوانه «الكهربائية» فانس من نفسه ميلاً الى العلم ورغبة في البحث عن حقائقه

فأنفق ما جمعه من الدرهمات القليلة لمشتري آلات صغيرة جرّب بها بعض التجارب في بيت ابيه فأدرك وجوب التعلم أولاً ولكن اين يتعلم؟ لم تكن تجد في بلاد الانكليز حينئذ فصولاً ليلية يدرس فيها الشبان الفقراء الذين يعملون طول نهارهم لكسب الرزق. وحدث حينئذ ما فتح امامه باب التحصيل وذلك انه رأى في نافذة مخزن من المخازن اعلاناً عن خطب يلقيها رجل يدعى المستر تاتم في داره تدور على «الفلسفة الطبيعية واجرة الدخول شلن عن كل مرة» فاقترض بعض النقود من اخيه الاكبر وحضر هذه الخطب وكان في بيت ريبو رئيسه رجل فرنسي يجيد التصوير. فلاحظ هذا الرجل ان فراڊاي ذكي الفؤاد يميل الى التصوير فكان يطلعه على بعض اسرارهم ولما حضر فراڊاي خطب المستر تاتم لحصها كلها في اربعة دفاتر كبيرة وزينها برسوم رسمها لها لتفسير معانيها ثم جلدها في اربعة مجلدات

وكان يتردد على مكتبة المستر ريبو رجل يدعى المستر دانس عضو في المعهد الملكي فلاحظ تعلق فراڊاي على المباحث العلمية ورغبته في درسها فعزم ان يدعوه الى المعهد الملكي ليسمع خطب السر همفري داثي. ففعل فراڊاي في خطب السر همفري داثي ما فعله قبلاً في خطب المستر تاتم اي انه دوتها وزينها بالرسوم التي تفسر معانيها. ثم ارسل هذه المذكرات مع كتاب الى السر همفري داثي يطلعه فيه على رغبته في خدمة العلم ويطلب اليه ان يعينه معاوناً في المعهد الملكي. فخار داثي في امره لما رآه في هذه الرسالة من الرغبة الصحيحة في المباحث العلمية ولعدم وجود مكان له في المعهد الملكي آثّر فاستشار صديقه المستر ببس Pepys وكان من مديري المعهد فقال له «استخدمه لغسل الزجاجات الفارغة فاذا كان فيه خير قبل هذا العمل الحقير ثم يرتقي عليه الى غير» فقال داثي لا بل يجب ان نستخدمه فيما هو ارقى من ذلك. وللحال ارسل اليه رسالة يقول فيها انه سيقابله بعد رجوعه الى لندن لانه كان معزماً السفر منها



وحدث ان خلا حينئذٍ منصب معاون في المعهد الملكي ب وفاة الرجل الذي كان يشغله فاستدعي فرادي وعرض عليه المنصب فقبله وفي مارس سنة ١٨١٣ أبرم مجلس ادارة المعهد هذا العقد معه . وكان عمله في البدء مساعدة المحاضرين في اعداد معدات التجارب العلمية المختلفة لقاء ٢٥ شلناً في الاسبوع او خمسة جنيهات في الشهر . ولم يلبث ان اثبت مقدرته فصار يساعد المحاضرين في بعض التجارب العلمية الصغيرة واشتغل سكرتيراً للسر همفري دافي وانضم الى الجمعية الفلسفية بلندن وصادق بعض اعضائها فالتفوا حلقة صغيرة تجتمع عنده للمناقشة في مباحث علمية تعود عليهم بالفائدة

وفي خريف سنة ١٨١٣ رحل السر همفري دافي رحلة علمية الى اشهر مدن اوربا فاستصحب فرادي معه معاوناً وسكرتيراً وخادماً وكانت شهرة دافي قد سبقته فكان يُستقبل بالاعجاب والاکرام حيث حلّ وفتح له العلماء معاملهم مرحبين به فكان فرادي يساعده في جميع تجاربه العلمية فلقى في هذه الرحلة اشهر رجال العلم في اوربا وصادق بعضهم صداقة دامت مدى الحياة

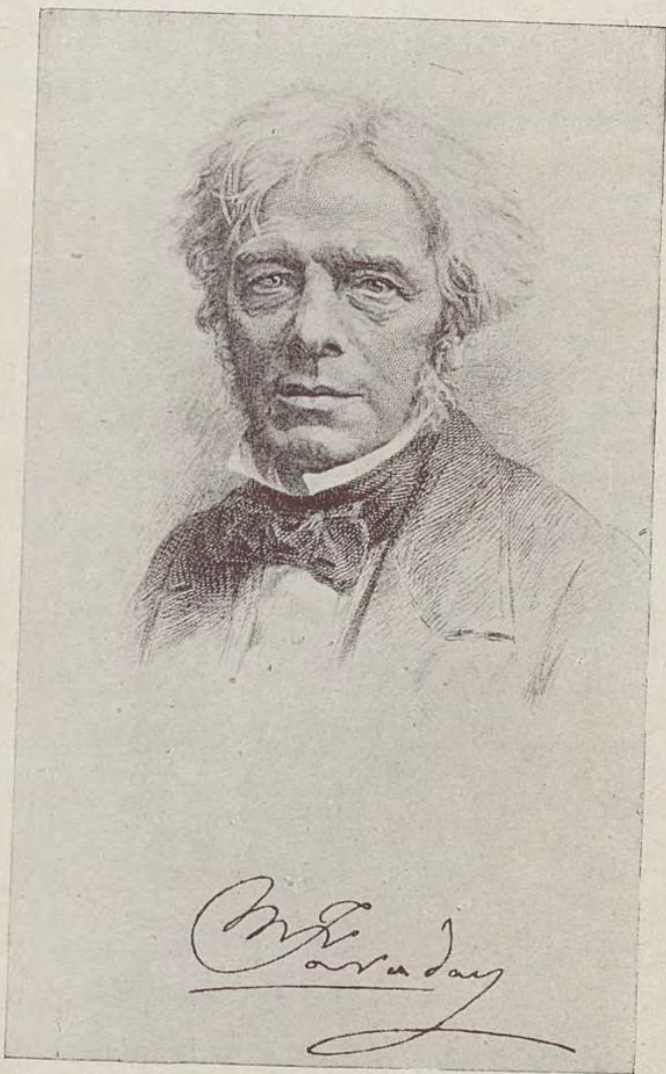
دامت هذه الرحلة الى ربيع سنة ١٨١٥ فلما عاد الى انكلترا رجع فرادي للقيام باعماله في المعهد الملكي وزيد راتبه ٥ شلنات في الاسبوع لان مجلس الادارة كان قد توسم فيه خيراً ففعل ذلك تنشيطاً له . وثابر على حضور جلسات الجمعية الفلسفية وفي ١٧ يناير سنة ١٨١٦ بدأ ياتي خطباً في الكيمياء على اعضائها وفي تلك السنة ايضاً نشر رسالته الاولى في مجلة المعهد الملكي الرسمية وموضوعها « تحليل الكلس (الجير) الكاوي »

وقرأ رسالته الاولى امام الجمعية الملكية في سنة ١٨٢٠ فكان موضوعها « مركبات جديدة من الكلور والكربون ومركب جديد من البور والكربون والهيدروجين » فكان لهذه الرسالة وقع كبير لدى اعضاء الجمعية

واشتهرت تلك السنة في تاريخ الكهرباء المغنطيسية بما كشفه اورستيد العالم الدنماركي من الفعل المغنطيسي في التيار الكهربائي وتلت ذلك مباحث امير الفرنسي وتجارب الدكتور ولستن الانكليزي . فحُرِّكت هذه المباحث رغبة فرادي في درس هذا الموضوع فدرسه ووضع فيه كتاباً عنوانه « تاريخ المباحث الكهربائية المغنطيسية وتقدمها »

ورقي في هذه الاثناء الى رتبة مناظر عام في معمل المعهد الملكي وصارت مباحثه وتجاربه في الدرجة الاولى من المقام العالمي فحرب مع المستر ستودارت تجارب في بعض امزجة الصلب لنقسيته وحفظه من الصدأ وكان قبلاً قد استنبط بمعاونة رئيسه السر همفري دافي مصباح دافي الذي يستعمله المعدنون في المناجم . ثم حارب تجارب كثيرة في تسهيل الغازات





فراداي

امام الصفحة ١٦٥

مقتطف اكتوبر ١٩٣١



سنة ١٨٢٣ فثبت ان كل الغازات هي بخارات سوائل تقابلها ولكن درجة تبخر هذه السوائل واطئة جداً . وكان يستعمل في هذه التجارب كثيراً من الآنية الزجاجية فانفجرت احداها مرة ودخلت ١٣ شظية زجاج في عينه ولكن ذلك كان سائغاً لديه في سبيل العلم فشجذت المصيبة عزمه بدلاً من ان توهنه . وسنة ١٨٢٥ اكتشف البنزين باستقطاره من قطران الفحم الحجري . وقد حفظ مقدار البنزين الذي استقطره أولاً في المتحف البريطاني لانه صار اساساً لكثير من اكبر الصناعات الحديثة

وذاعت شهرته العلمية فانتخب رفيقاً في الجمعية الملكية في ٨ فبراير سنة ١٨٢٦ ثم رقي الى رتبة مدير للمعهد الملكي في تلك السنة

ولما ذاعت شهرته العلمية واشتهرت خبرته في الامور الصناعية والكيمائية كثرت عليه الطلبات من اصحاب المعامل الكبيرة في لندن وغيرها من المدن الصناعية . اما راتبه مديراً للمعهد الملكي فكان مائة جنيه في السنة عدا اجرة غرفته وما يلزم لانارتها وتدفئتها فكان عليه ان يختار بين البقاء في هذا المنصب يتقاضى منه هذا الراتب الضئيل وقبول منصب كمستشار فني لبعض شركات صناعية يتناول منه مالاً طائلاً . وقد قال هكسلي بعد ان لو اراد فراداي ان يستخدم مواهبه ومعارفه في كسب المال لجمع ثروة لا تقل حينئذ عن ثلاثة ارباع المليون من الجنيهات . لكن فراداي اختار اختياراً يعود عليه بالمجد والفخر وعلى الناس والحضارة بالنفع الجزيل . وكان كلما كشف حقيقة اساسية من حقائق الطبيعة يترك تطبيقها الى غيره من الباحثين وله في ذلك اقوال ونوادير مشهورة . قيل انه كان مرة يجرب تجربة كهربائية في الجمعية الملكية وبعد ما شرحها التفت اليه سيدة وقالت « ولكن يا ماستر فراداي ما فائدة ذلك » فاجاب « اتستطيعين ان تقولي لي ما فائدة الطفل ساعة ولادته » وقيل ان المستر غلادستون الشهير سألته مثل هذا السؤال في وقت آخر فاجابه « صبراً يا سيدي فقد تجي الحكومة من هذا الاستنباط مبالغ كبيرة من المال »

لفراداي مباحث ومكتشفات كثيرة ذات شأن كبير في الكيمياء والطبيعات يصعب حصرها وبسطها في هذا المقام . ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جيلهُ . واهم اكتشافاته كان في قوانين الكهرباء . ففي سنة ١٨٣١ اكتشفت قوانين التيارات الكهربائية للمؤثرة فوضع الركن الذي تقوم عليه غرائب الكهرباء الحديثة . ابار ان ان كان امر سلكاً معدنياً موصلاً للكهربائية امام قطعة مغنطيس حتى يقطع السلك خطوط القوة المغنطيسية تولد تيار كهربائي في الموصل . هذه حقيقة اساسية في عالم الكهرباء المغنطيسية وعليها بني المولد الكهربائي والمحرك الكهربائي وما تفرع عنهما من المستنبطات الحديثة



كاثلفراف والتلفون السلكي واللاسلكي منها والنور الكهربائي والوف الآلات الصغيرة والكبيرة التي نستعملها في جميع احوال المعيشة . ولولا اكتشاف هذه الحقيقة الاساسية لبقيت افعال الكهر بائية سرّاً مغلقاً . والاحتفال بفراادي هذه السنة انما هو احتفال بذكرى هذا الاكتشاف

وتلا ذلك اكتشافه لقوانين الالكتروليسيس "Electrolysis" اي الفعل الكيماوي الكهربائي او الحل الكهربائي ووضع المصطلحات المستعملة الآن في معظم لغات الارض كالانود (المصعد) والكاثود (المهبط) وما اليهما وقد بنيت على هذه القواعد صناعة التليس الكهربائي والآراء الكيماوية الجديدة في بناء المادة الكهربائي . وصنع اول آلة دقيقة لقياس القوة الكهر بائية وله مباحث عويصة في علاقة النور بالكهر بائية وطبيعة النور المستقطب ومغنطيسية المواد

\*\*\*

واعملت صحته بين سنة ١٨٣٨ وسنة ١٨٤١ فذهبت به زوجته سنة ١٨٤١ الى سويسرا للاستشفاء فمضى فيها سنتين استردّ فيهما شيئاً من قوته وعاد الى وطنه لمناوبة مباحثه وكانت جمعيات العالم العلمية قد انتخبته عضواً شرفياً فيها ومنحته الجمعية الملكية بلندن كل ما لديها من الاوسمة والمدايات وانهاالت عليه القاب الشرف من الجامعات والملوك . وسنة ١٨٤٤ منحته حكومة فرنسا وسام الشريطة الزرقاء للعلم الدولي وانتخب واحداً من العلماء الاجانب الثمانية لاكاديمية العلوم بباريس . ولكنه كان وضيعاً لم يسع لواحد من هذه الاوسمة والاقاب . حتى انه رفض رئاسة الجمعية الملكية بلندن وكاد يرفض معاشاً قطعت له الحكومة الانكليزية في وزارة السر روبرت بيل لولا ان افعه اصدقائه ان هذا المعاش ليس احساناً بل مكافأة على خدمته للعلم . ولكن السر روبرت تخلى عن منصبه قبل ان يثبت في الامر فخلّ محله لورد ملبورن ولما كان بجهد قيمة مباحث فراادي كلفه كلاماً جريح كرامته فخرج غاضباً من حضرته لانه كان يعتقد انه دعاه ليكرم العلم في شخصه . ولقت بعضهم نظر الوزير الى هذا الحادث فقدم على ما فعل وجربت سيدة ان تصلح ذات البين بينهما فرفض فراادي ان يتزحزح عن الموقف الذي اتخذته فقالت له السيدة ولكن ماذا تطلب قال « اطلب ما لا انتظر تحقيقه اطلب اعتذاراً خطياً من الوزير » فاعتذر الوزير اعتذاراً خطياً يسطر بالفخر له ولفراادي . وبعدها قبل فراادي المعاش الذي عينته الحكومة له . وتوفي سنة ١٨٦٧ وهو في السادسة والسبعين من عمره بعد ما سطر في تاريخ العلم صفحات مجيدة خالدة وعُرف بفضل علمه في كل انحاء المعمورة





## أمير أموي من سلالة مسيحية

للعلامة بارتولد عضو أكاديمية لينغراد العلمية سابقاً<sup>(١)</sup>

نقلها عن الروسية نقلاً دقيقاً الاستاذ بندلي جوزي احد اساتيد جامعة باكو الروسية

جاء في كتاب قلهوزن المستشرق الشهير (J. Wellhausen) «المملكة العربية وسقوطها» (ص ٢٣٧) على ذكر حديث المؤرخ البرنظي تيوفان (انظر سنة ٦٢٣٦ للعالم) عن قمع مروان بن محمد المعروف بالحمار لقننة حصص سنة ٧٤٥ وقتل الامير الاموي العباس بن الوليد ابن عبدالله ما ترجمته «وقد فرح لذلك المسيحيون لان العباس كان متعصباً لدينه فهاجم ضده ولما كان عددهم وقتئذ عظيماً كان في وسعهم ان يسلموا المدينة الى مروان الذي لم يكن متعصباً في دينه» على ان تيوفان لم يذكر في الصفحة المذكورة شيئاً لا عن فرح نصارى حص ولا عن احتلالهم كثيراً من تعصب العباس الديني بل قيل هناك ان ما اصاب العباس من الحزن في آخر عمره كان جزاء عادلاً له «لانه سفك دماء كثيرين من النصاري وخرّب بلاداً كثيرة وألحق ضرراً عظيماً بالمسيحيين بواسطة السحر والالتجاء الى الجن». والظاهر من هذه العبارة المهمة ان الكاتب البرنظي لم يعن النصاري المقيمين في دار الاسلام بل نصارى دار الحرب وما احرزه العباس من النجاح في حروبه مع البرنظيين وهكذا فهم العبارة المذكورة الكاتب تسترستين Zetterstein ايضاً في مقالته عن العباس في «دائرة العلوم الاسلامية». والغريب انه قد عزب عن بال الكتاتين الاوربيين المذكورين ان يذكروا ان العباس بن الوليد بطل الحروب المذكورة «ومضطهد المسيحيين» على قول قلهوزن ولد من امرأة نصرانية وان هذه المرأة كانت من سلالة يونانية كما يؤخذ من عبارة ابن قتيبة<sup>(٢)</sup> «ان ام العباس كانت نصرانية» ومن قول الطبري<sup>(٣)</sup> «انها كانت رومية» وقد ذكر الكاتب الاخير في موضع آخر ان «عيني العباس كاتتا زرقوتين وشعره اشقر»<sup>(٤)</sup> ولهذا كان يزيد بن المهلب الخارج على الخليفة وعدو العباس الالذ يسميه

(١) توفي بقتة في صيف السنة الماضية فأحدثت وفاته فراغاً عظيماً في عالم الادب ولا سيما في علم تاريخ الشرق الادنى الذي كان المرحوم احد جها بذته كما سنبين ذلك في مقالة خاصة نقفها على سيرته وبيان منزلته العلمية في اوربا وذكر اهم مؤلفاته (٢) انظر كتابه في التاريخ ص ١٨٣ (طبع F. Wustenfeld)

(٣) ج ٢ ص ١٣٩٨ (طبع ليدن)

(٤) انظر ايضاً عن زرقعة عيني العباس بن رسته في (Bibl. Geogr. Arab VII, 223)



« قاتل ناقة ثمود » ملمحاً بذلك الى القصة المألوفة التي ورد ذكرها في القرآن في حديثه عن النبي صالح. ومعلوم ان القرآن الشريف ذكر حديث ثمود وكفرهم بالنبي صالح في مواضع عديدة ففي خمسة منها يحدث عن اهانهم للنبي وقتلهم للناقة على انه في اربعة مواضع (٧، ٧٥ و ١٧، ٦١ و ٦٢، ١٥٧ و ١٤٤، ٩١) ينسب قتل الناقة الى كل القبيلة وفي موضع واحد (٢٩، ٥٤) ينسبه الى شخص واحد من غير ان يبين صفاته الخارجية التي لم تذكر الا في الاحاديث الموضوعة بعد القرآن فمن هذه الاحاديث ان الرسول تنبأ عن ظهور « صبي اشقر الشعر ازرق العينين <sup>(١)</sup> » يخرج من ثمود فيقترب تلك الجريمة التي ذكرها القرآن. وقد جاء في اخبار فتنة سنة ١٢٧ هجرية <sup>(٢)</sup> (٧٤٤ م) التي سنكلم عنها بعد ذلك انه لما طلب زعماء الفتنة الى العباس ان يبايع اخاه يزيد بعد قتل الوليد تهدده احداهم بقوله « يا بن قسطنطين لئن ابيت لاضربن الذي فيه عيناك » <sup>(٣)</sup> ولعل قوله « يا بن قسطنطين » يدل على قرابة حقيقية او افتراضية بين العباس وبين الاسرة المالكة في بزنطية

معلوم ان قسطنطين الرابع الملقب ببوغونات Pogonate توفي سنة ٦٨٥ اي بعد ما ابرم معاهدة الصلح مع الخليفة عبد الملك فعقبه ابنه يوستينانوس الثاني وكان له من العمر ست عشر سنة فجدد معاهدة ابيه سنة ٦٨٨ ثم سنة ٦٨٩ وقد بقيت هذه المعاهدة الاخيرة مرعية الى سنة ٦٩١ فمن المحتمل ان يكون عبد الملك قد زوج احد ابناؤه باحدى اميرات بزنطية الحقيقيات او المزعومات وذلك رغبة منه في تقوية معاهدة سنة ٦٨٥ ثم معلوم ايضاً ان عبد الملك توفي سنة ٧٠٥ وهو في سن الستين او ما يزيد عليها قليلاً وان الوليد ابنه توفي سنة ٧١٥ وقد اختلفوا في سني حياته بين ٤٢ و ٤٩ <sup>(٤)</sup> والارجح عندي انه توفي وعمره ٤٦ او ٤٧ سنة وعليه يكون قد ولد قبل سنة ٦٧ ومات عن تسعة عشر ولداً كان العباس اكبرهم <sup>(٥)</sup> وقد اشترك في فتح طيانة سنة ٧٠٩ كما جاء في كتب مؤرخي العرب او سنة ٧٠٧ كما يقول تيوفان مما ينتج عنه ان العباس ولد قبل ٦٩٠ بقليل اعني في زمن الهدنة بين الروم والعرب <sup>(٦)</sup> لا شك ان العلاقات بين الروم والعرب في اواخر العصر السابع واولئل الثامن لا تزال حتى اليوم غامضة محتاج الى من يلقي عليها شعاعاً من النور ولهذا

(١) ج ١ ص ٢٤٦ (٢) الاصح سنة ١٢٦ هـ (٣٧٤٣ م) كما جاء في تاريخ الطبري (ب. ج.)  
(٣) الطبري ١٧٩٨: ٢ Fragmenta. ص ١٤١ حيث سقطت كلمة ابن (٤) بين ٤٢ - ٤٧ في قول الطبري (٢ : ١٢٧٠) وبين ٤٣ - ٤٩ في قول اليعقوبي (التاريخ ٢ : ٣٤٩) و٣ على رأي المسعودي (٣١٧، VIII, Bibl. Geog. Arab. و ٤٨ على قول ابن قتيبة (ص ١٨٣)  
(٥) Fragmenta ص ١٤١ سطر ١٤ من اسفل (٦) حج سنة ٧٠٥ اي سنة ارتقاء ابيه عرش الخلافة او - كما جاء في بعض الاخبار - كان اميراً على الحج (المسعودي مروج الذهب ج ٩ ص ٥٩)



ترى بعض الباحثين يميل مع المؤرخ البزنطي تيوفان الى معاتبة يوستينيانوس الثاني على نقضه للمعاهدة المذكورة آنفاً لامر تافه . والحقيقة ان ليس في ذلك شيء من الغرابة بل الغريب ان يوستينيانوس رضي ان يعقد في ذلك الوقت تلك المعاهدة . بل كيف لم تنتهز الروم فرص تشاغل العرب بالحرب الاهلية التي استعرت نارها يوم توفي معاوية ابن ابي سفيان ( سنة ٦٨٠ ) الى ان فتح الحجاج مكة ( سنة ٦٩٢ ) لتسترجع سوريا ومصر . والظاهر ان المسلمين انفسهم استغربوا ذلك فقد ورد في كتاب المحاسن والمساوى لابراهيم البيهقي في اوائل العصر العاشر انه وقع جدال بين ملك الروم ووجوه مملكته في سياسته نحو العرب وذلك ان هؤلاء حاولوا ان يقنعوا ملكهم ان لا يضيع فرصة تشاغل العرب بعضهم ببعض فيغزوه في بلادهم فهاهم الملك عن ذلك قابوا عليه إلا ان يفعل فلما رأى ذلك دعا بكليين فارش بينهما دما شعلب فخلاه بينهما فلما رأى الكلبان الثعلب تركا ما كانا عليه واقبلوا على الثعلب حتى قتلاه (١)

على انه يستفاد من اخبار مؤرخي الاسلام ان الصلح بين العرب والروم لم يكن على أمه حوالي سنة ٦٨٠ فقد ذكروا ان الروم استرجعت في تلك السنة بعض المدن الواقعة على الحدود ( الثغور ) وان الاسطول البزنطي هدم بعض مدن سوريا الواقعة على شاطئ البحر فاضطر العرب ان يخلوا جزيرة قبرص وروودس (٢) في ايام يزيد بن معاوية (٦٨٠-٦٨٣) وان غارات الروم على مرعش توالى بعد وفاته فاضطر العرب ان يخلوها ايضاً وكذلك اضطر عبد الملك بعد وفاة ابيه مروان ان يعقد مع الروم صلحاً على ان يؤدى اليهم إتاوة (٣) وذكر الطبري ان الروم «شغنت في ايام عبد الله ابن الزبير ملطية ثم تركتها فزها قوم من النصارى من الارمن والقبط» (٤) ولم يحتلها العرب ولعل ذلك كان من شروط معاهدة ٦٨٥ اما ما يتعلق بمدن الساحل فقد ذكروا ان الروم اخربت في « ايام ابن الزبير » صور وعكا وقيصرية وعسقلان (٥) ولا شك ان خراب عكا كان اكبر مصيبة اصاب المسلمين وقتئذ لان عكا كانت منذ اصبحت معاوية عاملاً على سوريا مرسى الاسطول العربي ودار صناعته (٦) .

(١) ص ١٣٨ من طبعة الدكتور Fr. Schwallby ( ص ١٠٠ من الطبعة المصرية لسنة ١٩٠٦ ب. ج ) (٢) فتوح البلدان للبلاذري ص ١٥٤ و ٢٣٦ (من الطبعة الاوربية) يظن فلهوذن ان خبر اخلاء العرب لقبرص غير صحيح لان قبرص ذكرت مع ارمينية وبلاد السكرج في معاهدة سنة ٦٨٨ بين تلك المقاطعات التي كان يجب ان تقسم وارداتها بين الروم والغرب مما يستنتج منه ان هذه الواردات كانت قبل ذلك في يد العرب وحدهم (٣) فتوح البلدان ١٨٨ (٤) فتوح البلدان ١٨٥ (٥) فتوح البلدان ١٤٣ (٦) فتوح البلدان ١١٧



لقد بايع الناس بالخلافة لعبد الله بن الزبير حالاً بعد وفاة يزيد بن معاوية (سنة ٦٨٣) ولهذا لا مانع من ان نطلق عبارة « في ايام الزبير » على الزمن الذي سبق معاهدة الصلح التي ابرمت سنة ٦٨٥ الا انه قيل هناك ان العرب رمّموا المدن التي شعها الروم « بعد ان استقام لعبد الله بن مروان الامر » اي بعد ان انتهت الفتنة . ونقل الطبري عن الواقدي ان عبد الملك فتح قيصرية سنة ٧١ هجرية اي سنة ٦٩٠ او ٦٩١ م والمراد هنا بقيصرية قيصرية فلسطين على الارجح لا قيصرية قبادوكية ولعل الروم لم يهدموا قيصرية بل احتلوها بمعاهدة ٦٨٥ ثم لعل فتحها مرة ثانية كان بادرة نجاح العرب في حروبهم مع الروم التي تجددت سنة ٦٩١ <sup>(١)</sup> في سوريا وسنة ٧٤ هـ (٦٩٣ او اوائل سنة ٦٩٤) على حدود آسيا الصغرى كما ذكر البلاذري . وفي كلتا الحالتين كان العرب هم البادئون لان الروم لم يزحف من مرعش التي بقيت في ايديهم، الا في خريف سنة ٦٩٤ <sup>(٢)</sup> نستنتج مما ذكر ان الروم كانوا عازمين في ايام قسطنطين بوغونا طاع على انتهاز فتنة العرب لاسترجاع ما فقدوه من البلاد لكنهم كانوا يحاربون بدون حزم كاف ونشاط ولهذا استطاع عبد الملك ان يعقد معهم صلحاً بدون ان يتنازل لهم عن شيء يذكر . على انه يحتمل ان الرأي العام في بزنطية كان يالج على يوستينيانوس في اخرج سني الفتنة العربية <sup>(٣)</sup> ان ينقض الصلح ويستفيد من الحالة النادرة . ويحتمل ايضاً ان يكون يوستينيانوس اضطر ان يلبي طلب رعاياه على انه اكتفى في بادئ الامر بما تنازل له الخليفة عنه <sup>(٤)</sup> وهذا ما مكن عبد الملك من ان يستجمع قواه ويبدأ سنة ٦٩١ اي قبل ان تنتهي حربه مع مصعب في تعبئة قوة كافية لفتح قيصرية . ولاشك في ان هذه الحرب التي انتهت سنة ٦٩١ كانت اعظم خطراً على سوريا من قبيل الروم لا من قبل ابن الزبير الذي لم يفكر قط مدة خلافته في مكة ان يزحف على سوريا ولو فعل ذلك لاجرح عبد الملك وسهل على الروم عملهم

لقد تبدلت في اوائل الجيل الثامن احوال الروم والعرب فاصبحت على عكس ما كانت عليه قبلاً اي ان الدولة العربية استردت في ايام الوليد قواها وصارت منيعه الجانب لا يطمع احد في مناورتها وذلك على ضد الدولة البزنطية التي اضطرت امورها ودخلت في دور الفوضى وتنازع السلطة ولهذا ولاسباب اخرى نجد اخبار الحرب بين الطرفين في

(١) فتوح البلدان ١٨٨ اما الطبري فانه يذكر سنة ٥٧٣ (٢ : ٨٥٣) وابيليا النصيبيني ٦٩٢ ولهذا رجح فلهوزن هذه السنة على غيرها (٢) الفتوح ١٨٨ والطبري (٢ : ٨٦٣) واليعقوبي (٢ : ٣٣٦) (٣) انظر فلهوزن « المملكة العربية وسقوطها » ١١٧ واخبار الطبري (٢ : ٧٨١) عن حج سنة ٦٨٨ ورايات طلاب الخلافة الاربعة (٤) فلهوزن Gött Nachrichten لسنة ١٩٠١ ص ٤٢٨



هذه السنين بما فيها اخبار غزوات العباس بن الوليد غامضة وقاصرة ونجد ايضاً اختلافاً بين المآخذ العربية والرومية عنها والى ذلك اشار الكاتب تسترستن في مقالته المذكورة آنفاً . وقد يأخذك العجب من ان مؤرخي العرب لا يذكرون شيئاً عن توقف الحرب بين الطرفين وعن معاهدات الصلح بينهما لكنهم في الوقت ذاته يختبرون ان الخليفة ارسل يطلب من ملك الروم ادوات وقلة لبناء بعض عمارات وخصوصاً هدم المسجد القديم القائم على قبر النبي وبناء مسجد جديد مكانه وهو المسجد الذي شرع الوليد في بنائه سنة ٧٠٧ وفرغ منه سنة ٧١٠ (١)

يستفاد من كلام الواقدي الذي اخذ عنه اليعقوبي (٢ : ٣٤٠) والطبري (٢ : ١١٩٤) ان ملك الروم بعث الى الخليفة مائة الف مثقال ذهب ومائة فاعل واربعين حملاً من الفسيفساء التي اقلتها من المدن التي خربت وذكرت في مصادر اخرى (٣) غير هذه الاعداد مما يستنتج منه ان هدايا الملك ذكرت في مصادر اخرى غير التي استقى منها الواقدي اخباره يؤخذ من كلام الواقدي ان اهم مصادر عن الحوادث التي نحن في صدها هو صالح بن كيسان الذي يزعم انه شهد تلك الحوادث بنفسه وانه اشترك في عمارة المسجد المذكور بل وقف على بنائه (٣) وصالح هذا احد رواة الاحاديث التاريخية الاقدمين وقد روى عنه كثيراً محمد بن اسحاق صاحب سيرة الرسول وكانت وفاته في ايام بني العباس بعد سنة ١٤٠ هـ (٤) اي ليس قبل سنة ٧٥٨ م وعليه لم يكن صالح من البالغين سنة ٧٠٧ او كان فتى حديث السن لا يعي حوادث تلك السنة . زد على ذلك انه يبعد عن التصديق ان يبعث ملك الروم في ايام الحرب الى ملك العرب عدوه بالمبلغ المذكور من الذهب بدون ان يعرض عليه عقد معاهدة صلح او - على الاقل - هدنة ولهذا نرى اقرب الى الصحة خبراً آخر رواه الطبري عن الواقدي عن حادثة وقعت سنة ٧٠٩ اي سنة عمارة المسجد وهذا الخبر يدل على ميل ملك الروم الى مصالحة الخليفة ويتلخص في انه لما اسرت الروم امير الاسطول العربي خالد بن كيسان ذهبوا به الى ملكهم فاهداه الملك الى الوليد بن عبد الملك فان صح

(١) انظر عن هذا البناء مقالة لي في « الشرق المسيحي » ج ٦ ص ٢١٠

(٢) ذكر صاحب « الحدايق والاعخبار المجهول ان عدد العمال كان مئة الف وذكر ابن روسته « Bibl. Geog. Ar. VII, 69 » ان عددهم كان على رواية ٢٠ ونيف وعلى رواية اخرى ١٠ فقط اما الدراهم فبلغ مقدارها على قوله ٨٠٠٠٠ دينار ما عدا سلاسل الثريات والفسيفساء وقال ياقوت (٤ : ٦٦) ان عدد العمال كان ثمانين منهم اربعون من الروم واربعون من القبط ثم الف مثقال ذهب وفسيفساء (٣) انظر معجم البلدان لياقوت (المذكور آنفاً) وكانت اصالح هذا يد في تجديد المسجد نفسه في خلافة بني العباس (انظر كتاب ابن رسته ٧ : ٧٠) (٤) ابن قتيبة ص ٢٤٥ واما في معجم البلدان (٦ : ٤٧٧) فسنة ١٤٤ (٧٦١ - ٧٦٢)



ان الواقدي اخذ روايته عن صالح بن كيسان وكان كيسان هذا اخا خالد كان لحديث الواقدي المذكور خطورة كبرى

كان العباس بن الوليد يُدعى من دون اخوته «فارساً» وذلك لشجاعته وثبات جأشه في القتال ولقد مدحه الفرزدق وجرب واثنوا على كرمه ومناقبه وذكر له التاريخ ولدين حارثاً ومؤملاً من أمهما بنت القطري<sup>(١)</sup> زعيم الخوارج المعروف الذي قتل سنة ٦٩٧<sup>(٢)</sup> في معركة دارت بينه وبين جيوش الدولة وعرف العباس ايضاً بضبطه للبلاد الواقعة على الثغور واصلاحها فقد ذكروا انه جدد مرعش وحصنها ونقل اليها الناس ثم بنى فيها مسجداً جامعاً وكان يقطع كل عام على اهل قنسرين<sup>(٣)</sup> بعثاً اليها وقد عزا اليه تيوفان بناء مدينة Garis (?) في مقاطعة هليوبوليس اي بعلبك على ما ترجح اما زواجه فكان يجب ان يقربهُ من القبائل العربية الشمالية اي من القيسية وهم الاكثرية في قنسرين وهذا على ما اظن هو السبب في ان العباس لم يتدخل في امور الدولة ولا اشترك في غزوات القسطنطينية بعد وفاة الوليد واتساع نفوذ القبائل العربية الجنوبية اي اليمانية او الكلبية في خلافة سليمان بن عبد الملك (٥١٥-٥١٧) وقد بقي اسمه منسياً مهماً حتى خلافة يزيد الثاني (٧٢٠ - ٧٢٤) لما استرجعت القبائل القيسية سطوتها ونفوذها ولما عاد العباس يعمل على محاربة اعداء الدولة في الداخل والخارج. نذكر من ذلك ترأسه وعمه مسلمة بن عبد الملك الجيش الذي ارسله الخليفة الى العراق لقمع فتنة يزيد بن المهلب الكلي الخطرة فلما قمها اقطع الخليفة ارضاً في البصرة كانت قبلاً لخيرة بنت ضمرة امرأة المهلب وهي الارض التي عرفت باسمه «عباسان» وقد حجزها بنو العباس<sup>(٤)</sup> كما حجزوا سائر املاك بني امية بعد ان انتقل الملك اليهم ثم بعد ان قمت الفتنة بعث مسلمة برؤوس اصحاب الثورة الى يزيد بن عبد الملك فارسلها يزيد الى العباس في حلب (عاصمة قنسرين) وهناك نصبوها<sup>(٥)</sup> مما ينتج عنه ان العباس تولى اماره قنسرين مرة اخرى. وفي سنة ١٠٣ (٧٢١ هـ او ٧٢٢ م) غزا

(١) Fragmenta ص ١٤ وورد هذا اللقب في كتاب ابن قتيبة ص ١٨٣ والمسدودي (مروج الذهب) ج ٥ ص ٣٦١ وغيرهم

(٢) الطبري (١٠١٨: ٢) وما بعدها و I. Wellhausen Die religios-politische Oppositionsparteien im alten Islam (Achard, Gott. philos.-histor. kl. Neue Folge, V<sup>o</sup> W 2 p. 41 (٣) فتوح البلدان ص ١٨٩

(٤) فتوح البلدان ص ٣٦٩ (٥) الطبري ١٤١٣: ٢ وقد ذكر فلهوزن نصب رؤوس الثوار في حلب لكنه لم يذكر اسم العباس ولهذا لم يعد واضحاً لماذا بعث الخليفة برؤوس اصحاب الفتنة الى حلب لا الى مدينة اخرى (طالع عن اشتراك العباس في اخاد الثورة تاريخ الطبري (٢: ١٣٩٠ - Fragmenta ص ٦٨)



العباس بن الوليد الروم وفتح مدينة لا يزال اسمها غامضاً حتى اليوم الا ان توفان لم يذكر في تاريخه هذه الغزوة ولما توفي يزيد الثاني اعتزل العباس الاعمال وانزوى في بيته وقد بقي معتزلاً طول خلافة هشام ولهذا لم نعر على اسمه ولا مرة في هذه الخلافة الطويلة وكل ما نعلمه عنه هو ما ذكره المسعودي في احد مؤلفاته المفقودة <sup>(١)</sup> من انه دارت بينه وبين الخليفة المذكور بعض محادثات شخصية في امور لم يذكرها المسعودي وهكذا الى ان جاءت خلافة الوليد ابن يزيد (٧٤٣—٧٤٤) المعروف بميله للقبائل القيسية (التي كان يميل اليها ابوه من قبله) وثقته التامة بالعباس ولهذا لم يكذب ينشر خبر وفاة هشام بن عبد الملك حتى ارسل الوليد العباس الى الرصافة حيث كان يقيم هشام ليحصى امواله <sup>(٢)</sup> فلا عجب اذاً اذا رأينا العباس ينهي سائر اخوته عن اثارة حركة ضد الخليفة بمناصرة القبائل الكلبيّة في حين ان المتأمرين كانوا في حاجة الى نفوذه الادبي لانه كان «سيد» الاسرة المالكة <sup>(٣)</sup> وهذا ما حمل زعيم المتأمرين الخليفة يزيد الثالث <sup>(٤)</sup> ان يذهب بنفسه الى قصر القسطل (في جانب البحر الميت الشرقي) حيث كان يقيم وتثذّر العباس ليقبضه ان ينضم اليهم فلم يفلح لان العباس ابى ان يشترك في المؤامرة وحاول ان يثني غيره عنها خوفاً من الفتنة وهلاك بني امية. وقد اشار الى ذلك في ابيات ينسبونها اليه وقد خاطب فيها اعضاء أسرته واعاذهم بالله ان لا يهدموا سلطانهم بايديهم وان لا يحدّثوا سنة سيئة بقيامهم على اصحاب السلطة الشرعية وان لا يطعموا «لحومهم لذئاب الناس» <sup>(٥)</sup> وقد بلغ من حرصه على مصلحة أسرته ان تهدّد المتمردين بان يسلمهم الى الخليفة ان هم اصرّوا على غيهم لكنه لم يفعل بل لم يندره بالخطر الذي كان يحدق به ولم يأت به الا بعد ان احاطوا بقصره بنجرا (الواقع في الجانب الشرقي ايضاً من البحر الميت) وكان معه ثلاثون فارساً من ولده ومواليه وخاصة كما يقول صاحب العيون والحدائق في اخبار الحقائق «المجهول» <sup>(٦)</sup> مع ان الطبري يؤكّد بانه لم يكن مع

(١) انظر مروج الذهب ج ١ ص ٨٠٤ (من الطبعة الاوربية) (٢) الطبري ١٧٥١: ٢ و Fragmenta ص ١٢١ وفلهوزن «الدولة العربية» ٢٢٦ (٣) الطبري ١٧٨٤: ٢ و Fragmenta ١٣٣

(٤) ابن الوليد الاول واحدى اميرات القرس المتصل نسبها بملك الروم ماوربيكي وخاقان الترك) انظر الطبري ١٨٧٤: ٢ و تاريخ البطريرك سعيد ص ٤٧ قال يزيد مقفراً

انا ابن كسرى واني سروان وقصر جدي وجدي خاقان

(٥) وهذه هي الابيات التي ينسبونها الى العباس:

اني اعينكم بالله من فتى مثل الجبال تسامى ثم تندفع

ان البرية قد ملت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارادعوا

لا تلحن ذئاب الناس انفسكم ان الذئاب اذا ما اجمت رتموا

لا تبقرن بايديكم بطونكم فتم لا حسمرة تعني ولا جنح (ب.ج)

(٦) انظر Fragmenta ص ١٤٠



«العباس اصحابه» وان الثلاثين فارساً الذين تقدم بهم اصحابه كانوا كلهم من بنيهِ وقد قبض عليه المتأمررون في الطريق وحملوه على مبايعة يزيد فبايع مكرهاً فنصب حلاً اصحاب الفتنة رايته الى جانب رايتهم ليستفيدوا من نفوذه الادبي فانضم اليهم بعض من كان مع الخليفة الا ان العباس كان في عسكر المتأمرين «كلاسير»<sup>(١)</sup> ولم يجن فائدة ما من قتل الوليد وتولى الخلافة يزيد الثالث حتى ولم يَـسُـولَ على قنسرين التي وُلي عليها أخوان للخليفة الجديد وهما مسرور وبشر<sup>(٢)</sup> ولقد تضاربت الاخبار في ما كان من امر العباس في آخر عمره فقال صاحب «العيون والحدائق» انه مات من جراحته اصابته يوم حُورب الوليد وقيل بل عاش بعد ذلك قليلاً معتزلاً منفرداً<sup>(٣)</sup> على انه قد جاء في بعض الاخبار ان اصحاب يزيد بن الوليد استفادوا ان لم يكن من العباس فمن اسمه وذلك في خلافة يزيد التي لم تزد كما هو معلوم على خمسة اشهر (من نيسان الى ايلول من سنة ٧٤٤) وخلاصة هذه الاخبار هي ان منصور بن جمهور اخذ يدعي يوم قدم عاملاً على العراق من طرف يزيد بانه نائب الحارث بن العباس الاكبر وان العباس نفسه ارسله الى العراق<sup>(٤)</sup> مع ان حارثاً لم يعين عاملاً على العراق واما عين بعد ذلك عبد الله ابن الخليفة عمر بن عبد العزيز وذكر ايضاً اصحاب التاريخ ان العباس بعث بطلب من يزيد كتاباً الى مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية حين سمع ان مروان عازم على الاتقام من قتلة الوليد بن يزيد وان كتابه كان «ينفذ في الآفاق»<sup>(٥)</sup> وكل هذا محتمل لان العباس كان يكره كما ذكرنا فتنة سنة ٧٤٤ لانه كان مخلصاً شخصياً للوليد بل لانه كان يخشى ان تؤدي الفتنة الى هلاك بني مروان فلا عجب والحالة هذه اذا هو سعى الى اخاد هذه الفتن واستعمل ما كان له من النفوذ لدى مروان طبقاً لرغائب يزيد على انه يؤخذ من كلام الطبري ان الكتاب الذي بعث به الى مروان كان في مسألة شخصية لها علاقة باحد العرب<sup>(٦)</sup> وكان الغرض منه ان يمهّد السبيل لمكاتبة مروان لا غير وانه لم يكن عالماً بخروج شخص آخر<sup>(٧)</sup> ذي اهمية كبرى ارسله يزيد سراً الى مروان ليكشفه في بعض امورهم وقد نجح في عمله لان مروان عدل عن عزيمه وبايع يزيد ولم يزحف على دمشق الا بعد وفاته

يظهر لي انه لم يكن للعباس يد في الفتن التي ملأت خلافة مروان بن محمد (٧٤٤-٧٥٠) ولو انه اصابه منها ما اصاب ومات في غضونها في سجن حرّان صبراً . جاء في تاريخ

(١) Fragmenta ص ١٤١ (٢) الطبري ١٨٣٤: ٢ و ١٨٧٦ (٣) Fragin. ص ١٥٣

(٤) الطبري ١٨٣٨ : ٢ (٥) الطبري ١٨٥١ : ٢ (٦) وهو طفيل بن حارثة الكلبي (ب. ج)

(٧) واسمه مسلم بن ذكوان (ب. ج)



اليقوي<sup>(١)</sup> ان العباس كان يرأس ثورة حمص ويزيد الثالث حي يرزق غير انه يؤخذ من كلام الطبري (٢ : ١٨٢٨) ان الثورة كانت ليس فقط ضد يزيد بل وضد العباس نفسه لان اهل حمص كانوا حاقدين عليها لاشتراكها في قتل الوليد ولان بعض من حضر تلك الحادثة نقل اليهم ان انضمام العباس الى اصحاب الفتنة ساعد كثيراً على نجاحها ولهذا هدم الشعب بيته ونهبوه ثم حبسوا بنيهم وجدوا في طلبه فلم يعثروا عليه لانه تمكن من الهرب الى يزيد (يستنتج من هذا الحديث ان العباس بقي قليلاً من الزمن في حمص بعد ان صار اخوه خليفة). والحقيقة ان زعيم الحركة ورئيس مدينة حمص كان حفيد آخر لعبد الملك بن مروان و «سيد» آخر من بني امية وهو مروان بن عبدالله ولعل اليقوي خلط بينه وبين العباس

\*\*\*

هذه كانت الحالة في حمص وقتئذ فلا عجب اذا رأيناها تدخل راضية في طاعة مروان ابن محمد على ان هذه الحالة لم تطل كثيراً لان حزب المعارضين تغلب فيها فاضطر مروان ان يحاربها مرتين (عام ٧٤٥ وعام ٧٤٦) ولم يستولى عليها في المرة الثانية الا بعد حصار طويل

يميل فلهو<sup>(٢)</sup> I. Wellhausen الى الاعتقاد بان العباس هو الذي اقام هذه الثورة بعد ان عاد على قوله الى حمص واسترد نفوذه السابق فيها غير ان المأخذ التي في ايدينا لا تذكر شيئاً من هذا ولا احد يعلم متى ولم زج العباس في السجن. ولعل ذلك حدث في تشرين الثاني (نوفمبر) من سنة ٧٤٤ يوم دخلت عساكر مروان دمشق ويوم نبش الناقون على يزيد لقتله الوليد قبره<sup>(٣)</sup> وصلبوه فلا يبعد ان يكون اصابه في ذلك اليوم ما اصاب بنيهم في حمص قبل ذلك ولعل ذلك لان الناقين لم يكونوا ليصدقوا العباس وبنيهم بان اشتراكهم في الثورة كان على كره منهم. على كل حال يظهر انه لم يقدر للعباس ان يخرج من سجن حران حياً. فقد ذكر صاحب تاريخ الامم والملوك ان العباس واثنين من المسيحيين السياسيين وهما عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والامام العباسي ابراهيم عامل العراق سابقاً توفوا في السجن بالبواب ولكن المؤرخ المذكور لم يذكر متى كان ذلك واكتفى بان قال ان العباس كان في

(١) ٢ : ٤٠١ (٢) انظر كتابه «الدولة العربية» ص ٢٣٦ وما بعدها  
(٣) لم يبق عليه دليل قاطع فابن قتيبة يخبر عن عبدالله بن عمر انه مات في السجن «(١٨٧ و ١٩١)»  
وعن ابراهيم انه «مات في سوريا» (ولم يذكر كيف مات)



السجن مع غيره من الحبسين الذين ارسلهم مروان الى حرّان من الرقة حين قدمها متوجّهاً الى الضحاك زعيم الخوارج في تلك السنة (٧٤٦) ومعلوم أن مروان لما قدم حرّان لاخر مرة عام ٧٥٠ بعد ان هزمه العدو شر هزيمة على الزاب الكبير امر باخلاء من كان فيها من الحبسين على انهم لم يذكروا اسم العباس بين من اخلي عنهم ولهذا ترجّح انه توفي قبل هذا العام ولكن متى وكيف؟ هذا ما يصعب تحقيقه بالتدقيق على اننا نستطيع ان نحدّد السنة التي توفي فيها بما يقرب الى الصحة اذا صحّ الخبر القائل بأن العباس توفي وعبد الله بن عمر والامام ابراهيم في وقت واحد فقد ذكر الطبري ان عبد الله أسر في صيف سنة ٧٤٧ يوم فتحت جيوش مروان مدينة واسط<sup>(١)</sup> وذكر المسعودي<sup>(٢)</sup> ان الامام ابراهيم زُجّ في السجن في محرّم سنة ١٣٢ هـ اي في شهر آب او ايلول من سنة ٧٤٩ م وزاد على ذلك قوله ان ثلاثة اشخاص توفوا في السجن في وقت واحد وان وفاتهم كانت قسراً بخلاف ما يقوله الطبري ولكن طبقاً لرواية المؤرخ البزنطي تيوفان التي بنى عليها رأيه فلهوزن<sup>(٣)</sup> لانه رأى اقرب الى الصحة من رواية الطبري وذلك بخلاف تيسرستان. وخلاصة هذه الرواية انهم دسّوا رأس العباس في كيس ملثوه كلساً في درجة الغليان فمات لساعته. على ان فلهوزن سهي ان يذكر ان كاتين من كتبة المسلمين وها اليعقوبي<sup>(٤)</sup> والمسعودي<sup>(٥)</sup> اوردا هذه الرواية في سياق كلامهما عن وفاة الامام ابراهيم لكنه يظهر من كلام اليعقوبي والطبري ان روايات المحدثين في العالم الاسلامي عن تلك الواقعة لم تكن وقتئذ متفقة فقد روى المسعودي انهم وضعوا على وجوه العباس وعبد الله مخدات وقعدوا عليها الى ان فاضت روحهما. اذن لم يكن يومئذ اخبار صحيحة يوثق بها عما جرى في السجن بل كانت اشاعات بلغ صداها المؤرخ الرومي تيوفان<sup>(٦)</sup>

اما ما كان من امر ولد العباس — وما كان اكثر عددهم — فلا احد يعرف شيئاً

(١) ٢ : ١٩٤٦ وفلهوزن «الدولة العربية» ص ٢٤٥ (٢) Bibl. Geog. Ara<sup>١</sup> ج ٨ ص ٣٣٩

(٣) الدولة العربية ص ٢٣٧ (٤) انظر تاريخه ٢ : ٤٠٩ (٥) مروج الذهب ٦ : ٧٢

(٦) ذكر اليعقوبي ما عدا رواية الكلس رواية اخرى مؤداها انهم خنقوا العباس بان القوا على وجهه لحافاً واورد الطبري (٣ : ٤٣ —) ما عدا رواية الوباء روايتين اخريين جاء في الاولى منهما ان الامام ابراهيم دفن تحت انقاض البيت الذي كان يسكنه والذي امر الخليفة بهدمه وجاء في الثانية انه مات مسموماً



## حيرة

أُفْضِي إِلَيْكَ بِسْرِي    أُفْضِي إِلَيْكَ بِرُوحِي  
يَا لَيْلُ هَلْ مِنْ مَدَاوِي    يَا لَيْلُ يَشْفِي جُرُوحِي

\*\*\*

فِي الْعَيْنِ دَمْعٌ عَصِيبي    وَرَاءَ جَفَنٍ قَرِيجِ  
وَفِي الضَّلُوعِ أَتْنِي    يَهْفُو لِكُلِّ مَلِيجِ  
أَوَّاهَ مِمَّا أَعَانِي    بَيْنَ الْهَوَى وَالطَّمُوحِ

\*\*\*

رَأَتْ شَحْوِي فَقَالَتْ    يَا لَهْوَى الْمَكْبُوحِ  
فَقُلْتُ لَيْسَ لِهَذَا    حَزَنِي وَلَا تَبْرِيحِي  
وَأَمَّا ضَاقَ جَسْمِي    عَنْ حَمَلِ تِلْكَ الرُّوحِ

\*\*\*

يَحِيشُ صَدْرِي بِصَوْتِ    دَاحِي الصَّدَى مَقْرُوحِ  
إِنْ يَبْدُ لَمْ يُغْزِ إِلَّا    لِنَائِرِ أَوْ جَمُوحِ  
وَاللَّيْلِ كَمْ فِيهِ سِرٌّ    يَدْمِي فَوَادِ الصَّرِيجِ  
كَأَمَّا اللَّيْلِ قَسٌّ    يُغْرِى بِسُودِ الْمَسُوحِ

\*\*\*

وَاهَاً وَوَاهَاً لِقَلْبِي    وََاهَاً لَهُ مِنْ جَرِيجِ  
لَمْ يَدْرِ سَهْمًا رَمَاهُ    أَنَاهُ مِنْ أَيِّ رِيحِ

\*\*\*

يَا طَيْرَ مَنْ أَيُّ دُوحِ    أَنَا وَفِي أَيِّ دُوحِ  
الْأَرْضِ لَمْ يَبْقَ فِيهَا    مِنْ مَوْطِنٍ لِلصَّرِيجِ  
مَنْ لَمْ يُغْنِ لِمُوسَى    غَنَى لِعِيسَى الْمَسِيحِ

\*\*\*

يَا رُوحَ مَنْ أَنْ جِئْتَ    مِنْ حَيْثَا جِئْتَ رُوحِي  
سِرُّ الْحَيَاةِ أَلِيمٌ    بُوحِي بِهِ وَاسْتَرْحِي

محمود أبو الوفا





## مجدو وآثارها

١ - مرج ابن عامر

سهل فسيح الارعاء منبسط بين جبال الجليل في الشمال والسامرة في الجنوب والكرمل في الغرب ، يضيق قرب حيفا لينفذ إلى السهل الساحلي (سهل عكا) ، ويخفف من كبريائه فيتصاغر عند جنين (في الجنوب) ، وينحدر في تودة شرقاً إلى بيسان (غور الاردن) ، وبحرسه جبل طابور (تابور) الجاثم في شماله الشرقي . قلما تقع العين على ازهي من حله القشبية التي يكسوها اياها الريح ، حتى اذا جاء الصيف فجرده منها بحمر خجلاً من عربه ، وتظفر دموع الاسى من ماقيه فتسير جداول شحيحة قلما تصل الى البحر . فاذا جاء الشتاء وحنا عليه بسجيه ، هطلت مدامع شكره قوية وتفجرت ماقيه فارتعت نهيره «المقطع» فتدفق «نهر الوقائع» الى البحر الذي يخطر له أن يوقفه عند الحد فيقيم في وجهه سدوداً من الرمل ، فاذا باليلاء تفيض على جانبيه ، واذا المستنقعات منتشرة ، وبها الانوفليس (البعوض الذي ينقل الملاريا) يتكاثر ليخرج الى الناس فيسمعهم طنينه ، ومن اعلن اشمرازه من ذلك الصوت ، كان حظاً لسعة قوية قد تحمل اليه الملاريا وتلزمه الفراش جزاء ما صنعت يداه

وليس مرج ابن عامر هذا بمنقطع عن الدنيا رغم انحصاره ، فان الجبال ابت الا أن تهجر عنه قليلاً في اطرافه فكوّنت له اودية يتصل بها بالسهل الساحلي الشمالي (سهل عكا) كما مرّ بنا ، ومكنته من الاتصال بمنطقة بحيرة طبريا والحولة من الشمال (قرب جبل طابور) ومن ثم إلى دمشق وما اليها ، كما أنه يتصل بعجلون وحوران بطريق بيسان . هذا في الشمال ، اما في الجنوب فيتصل بالسهل الساحلي الجنوبي (سهل شارون) بطريق جنين نابلس طولكرم ، وبطريق وادي عارة الجيلي الضيق الوعر ، وبطريق وادي الروحة الغربي عند ملتقى هذه الطرق وتقاطعها ، وفي نهاية وادي عارة ، وعلى الحد الفاصل بين الكرمل والسامرة ، وبين السهل والجليل ، وفي مكان يشرف على كل اجزاء المرج من اقصى الى اقصى ، وعلى بعد نحو ثلاثين كيلو متراً الى الجنوب الشرقي من حيفا — يقع تل «مجدو»



ولا شك في أن مرج ابن عامر هو طريق الاتصال الطبيعي بين شمالي سوريا وجنوبها ومن ثم بين العراق وآسيا الصغرى من جهة ، وبين وادي النيل من جهة أخرى « وقد كانت القوافل التي تدخل مرج ابن عامر من سهل عكاه ، إنما تفعل ذلك لتعبره الى السامرة بطريق جنين او الى شارون بطريق مجدو <sup>(١)</sup> » . وسيرد فيما يلي دليل ذلك ، ومما يدل عليه ان القديسة باولا (St. Paula) في سيرها من بطليموس ( عكاه ) الى قيسارية في السنة ٣٨٢ م لم تتخذ طريق الساحل البحرية لكنها اتخذت طريق مجدو <sup>(٢)</sup>

## ٢ - الحصون

هذا الموقع المهم حربيًا وتجاريًا استرعى نظر الفاتحين ورجال الحكم من اقدم الازمنة الى وجوب العناية بهذه المسالك ، والاحتفاظ بهذا السهل وجعله في قبضتهم ، فسعى كل عظيم الى افتتاحه . وقد اقيمت سلسلة من الحصون والقلاع لنقف في وجه المحارب ، وقد بنيت هذه القلاع قرب منافذ المسالك التي ذكرت ، واهمها بيت شان ( بيسان ) وتمنك ومجدو ( تل المتسلم ) ودور ( الطنطورة ) على الساحل ، وقد كانت تذكر هذه معاً في احوال كثيرة خصوصاً في اسفار العهد القديم <sup>(٣)</sup> وتكاد مجدو تكون اكبرها قيمة لتوسطها القلاع والطرق . وبلي هذه الاربع في الشأن قلعة نابور التي حصنت مرات عديدة <sup>(٤)</sup> ويقنعام او يقمعام ( القيمون او الكيمون الآن )

## ٣ - مجرو

وتل مجدو هذا صناعي يبلغ ارتفاعه ٥٥٢ قدماً انكليزية ، ومساحة قته نحو ٥٣٦٠٠٠ متراً مربعاً ، ينحدر نحو الغرب والجنوب الغربي انحداراً خفائياً ، اما الجهات الاخرى وهي المواجهة للسفلى فتحدّرها تدريجي . الى شماله عين ماء تسمى « عين القبة » ويعرف التل اليوم باسم « تل المتسلم » ذلك لان احد متسلمي عهد الدولة العثمانية اقام في ذلك المكان ، ولعل اقامته كانت قصيرة اذ لم يكن هناك آثار ابنية متسعة ولا غيرها . والمتسلم موظف عثماني اداري كان يلتزم بلاداً بكاملها فيديرها ويدفع ما عليه من المال اللازم . ويلاحظ ان هذا نظام اقطاعي الى حد بعيد

(١) Sir George Adam Smith, Historical Geography of The Holy Land, p. 390

(٢) Jerome's Life of St. Paula Ibid., p. 390

(٣) مثل يشوع ١١: ١٧ ، قضاة ٢٧: ١ ، الملوك الاول ٤: ١٢ ، والاخبار الاول ٧: ٢٩

(٤) راجع تاريخ جبل نابور للقس اسعد منصور ص ٧ — ١٢



وقد عرفت مجدو قديماً باسماء كثيرة منها مجدو كما في يشوع والقضاة ومجدون كما في زكريا (١٢ : ١١) وهرمجدون كما في رؤيا يوحنا اللاهوتي (١٦ : ١٦) . ومعنى الاسم « تل المعارك » . وقد اعطت المدينة اسمها للسبل المجاور لها فعرف باسم « بقعة مجدو » في عهد العبرانيين . وبقي معروفاً بذلك الى العهد الروماني فان جيروم (٣٤٠ ؟ - ٤٢٠ م) يذكره باسم سهل مجدو وسهل للجون Campus Legionis <sup>(١)</sup>

ويرى سمث ان اسم نهر « المقطع » محرف عن مجدو . وله على ذلك براهين لغوية <sup>(٢)</sup> لكنني مع ذلك استبعد هذا ، وارجح ان المقطع سمي كذلك لتقطع مجراه ، وان كان الاشتقاق اللغوي يحتم ان يكون الاسم « المتقطع » ، لكن تحريف الاسماء يخضع لقوانين الابدال والقلب اكثر من خضوعه لقواعد الاشتقاق

#### ٤ - السكّان الاولون

لقد اتضح للذين توفرنا على درس فجر التاريخ في هذا الجانب من فلسطين ، ان هذا السهل كان أهلاً بالسكان منذ العصور الحجرية ، بدليل ما وجد من الادوات الصوانية التي ترجع الى العصر الحجري القديم Paleolithic Age حول مجدو وتعنك . وقد وضع العلماء هذه الموجودات في مصاف موجودات الدور الاشيلي Acheulean في اوربا <sup>(٣)</sup> ويستدل بما وجد حول مجدو ان هؤلاء السكان كانوا صيادين يعيشون في الغراء ، لا مسكن ولا مأوى ، لان الاقليم كان حاراً . فلما غطى الجليد البلدان الشمالية من اوربا ، ومرتفعات الشرق الادنى الشمالية ، وهبت الرياح القارسة على هؤلاء السكان ، لجأوا الى المغاور التي في تلك الجهات واتخذوها مسكناً لهم . وقد اكتشفت الانسة « غارود » في احدى هذه المغاور ، « مغارة الوادي » <sup>(٤)</sup> بقايا السكان ، في مكان لا يبعد اكثر من خمسة عشر كيلو متراً عن مجدو

ولعل اهمية مجدو وما جاورها بدت واضحة في الطور الزراعي ذلك لان كل ما يحتاج اليه الزراع ماء غزير وارض خصبة . وارض مرج ابن عامر خصبة ، اما الينابيع فكثيرة في سفوح هذه الجبال لذلك نشأت هناك جماعات زراعية حول جنين وتعنك ومجدو وابوزريق

(١) في المتن والتعليقة الثانية G. A. Smith, p. 386 (٢) في المتن والتعليقة الاولى Zeitschrift des Deutschen Palastina-Vereins (٣) G. A. Smith, p. 387 هناك بحث مفصل للدكتور بيكارد عن الصور الاولى في السهل pp. 66-72 (٤) Palestine Exploration Fund, Quarterly Statement 1929 Zeitschrift des D. P. V.



وابو شوشه والقيمون وغيرها . وقد وجد من الآثار ما يؤيد ان مجدو كانت مركزاً كبيراً من مراكز الحياة في العصر الحجري الحديث Neolithic Age<sup>(١)</sup> . واهم هذه ادوات صوانية وجدت على سفح التل وبالقرب منه . ولم تصل اعمال الحفر الى الطبقات السفلى بعد هناك ، لنعرف اجناس السكان التي استوطنت تلك البقعة ، ولكن الكنعانيين كانوا يقطنون هناك منذ اواخر الالف الثالثة قبل الميلاد ، كما ان الفخار دللنا على ان الهكسوس ( دولة الرعاة ) كان لهم فيها شأن

### ٥ - مجدو في عهد الامبراطورية المصرية الاولى

كان من جراء التجديد الوطني الذي بدأت تتي شيري في مصر ، والحروب التي حملتها مع خلفائها على مناوئة الهكسوس ، ان تخلص المصريون من هذا العنصر الغريب المحتل<sup>(٢)</sup> وطاردوه الى سيناء على ايدي احموس . ثم قام خلفاؤه من بعده بملاحقة هذا العدو في سوريا ، واحتلال هذه البلاد لضمان سلامة مصر بالاستيلاء على طريقها الطبيعي الى آسيا واوروبا . واشهر من قام بذلك طحتميس الاول . وقد كانت مجدو وتغك بين المدن التي هاجمها المصريون<sup>(٣)</sup> لكن بطل الاسرة الثامنة عشرة الحربي هو طحتميس الثالث ، الذي حارب السوريين عشرين سنة متتالية ، واستنفذ جهوده وجهود رجاله في سبيل تثبيت سلطان مصر في هذه الاصقاع

اعتلى طحتميس العرش سنة ١٥٠١ ق.م . واخذ يعد لل حرب العدة حتى كانت سنة ١٤٧٩ فقام من مصر ماراً بغزة حتى وصل الى «يخيم» وعرونة (وهي على الراجح عرعره اليوم)<sup>(٤)</sup> على نحو عشرة اميال الى الشمال من طولكرم<sup>(٥)</sup> . وكان امام طحتميس ثلاث طرق للوصول الى مجدو حيث كان يعسكر امير قادش ومن معه من امراء سوريا الوسطى وامراء الكنعانيين في فلسطين ، وكان هذا الامير قد اقام في مجدو وتغك ايضا ليدفع اي خطر . والطريق الأولى الى الشرق هي التي تمر بالقرب من طولكرم ونابلس وبجنين وتؤدي الى تغك وهي اسهل الطرق . والثانية الى الغرب التي تمر بوادي الروحة وتفضي الى مكان على نحو سبعة اميال شمال مجدو . اما الثالثة فهي طريق عرعره ووادي عاره وهي طريق وعر ضيق صعب التسلق ينتهي امام مجدو

(١) المكان المذكور قبلا (٢) راجع المقتطف في المجلدين ٦٩ و ٧٠ فقيما بحث ضاف عن ذلك العصر في مصر (٣) Elihu Grant, The Orient in the Bible Times, p.193. (٤) Smith, Hall (٥) طولكرم



وقد اراد الامراء اتباع احدى الطريقين الاولين ، لكن طحتميس اصرَّ على اجتياز الثالثة ، وهكذا كان فسار في طليعة جيشه . وبعد مسير نحو ثمانية اميال منها ستة صعوداً من عرعره ( ٧٠٧ قدم ) الى عين ابراهيم قرب مسموس ( ١٢٠٠ قدم ) واثنان هبوطاً الى عين كينا ، اشرفوا على مجدو ، بعد ان استغرقت سفرتهم نصف شهر ( شهر ايار — مايو )

\*\*\*

واستعدَّ الجيش المصري في ذلك اليوم للكفاح ، وفي صبيحة اليوم التالي التقى الجيشان المصري والسوري <sup>(١)</sup> فتغلب الاول على الثاني ، ولف في خط طويل يقرب من الميل الى شمال مجدو ، ثم تغلب القلب بقيادة طحتميس نفسه ودحر السوريين الى مجدو . واشتغل المصريون بالنهب والسلب ، فتمكن امير قادش ومن معه من التحصن في مجدو بعد ان رفعوا اليها بالجبال عن الاسوار . فحاصر الملك المدينة ، فخضعت له . « وقد كان احتلال مجدو كاحتلال الف مدينة ، لأن كل امير ثار كان فيها <sup>(٢)</sup> »

وقد غنم المصريون الاشياء الكثيرة من مجدو ، مما يدل على ما بلغه الكنعانيون من الحضارة . فان ٢٩٤ مركبة حربية بعضها مذهب ، و ٢٠٠ درع ، كانت بين العدد الحربية غير ما استبق من ماشية وو .. وقد دونت هذه الاسلاب على درج جلدي في هيكل امون بطيبة <sup>(٣)</sup> . وعامل المصريون الاسرى بكل لطف كعادتهم <sup>(٤)</sup> . وانهم طحتميس بعدها سيره الى فينيقيا واحتل صور <sup>(٥)</sup>

وكان بين الابطال الذين استماتوا في هذه المعركة « رادامانت » « وسونخ » « وروي » . فكافأهم الملك بان عين الاول والياً « للكرمل » والثاني وزيراً له ، والثالث اميراً لجنده <sup>(٦)</sup> وقتل سونخ رادامنت الوالي وتولى مكانه ، وعصى على ملك مصر ، وأعانه على ذلك ملك مجدو <sup>(٧)</sup> . ولما بدأت الدائرة تدور على سونخ في ثورته ، ورأى حلفاؤه بوادر الهزيمة في صفوفه وفلول جنده ، لاذوا كلهم بالفرار وعلى رأسهم ملك مجدو <sup>(٨)</sup> ورؤساء القبائل الشمالية ، ثم اخذوا يؤلفون في بلادهم احزاباً قوية تسعى للقضاء على السلطة المصرية

(١) لعل الفرقة التي كانت في تنك لم تأت Hall, History of the Ancient East, p. 238  
(٢) (٣) (٤) Hall, 239 (٥) اخبار حملات طحتميس الثالث في سوريا منقوشة على جدر الكرنك في طيبة . وهناك خلاصة وافية لها في Hall pp. 233-245 (٦) طاحوني ص ٥  
(٧) طاحوني ٢١٧ (٨) طاحوني ٢٣٠



## ٦ - مجدو زمن الفئوح العبرانية

بقيت مجدو مركزاً من مرا كز الحياة الكنعانية ، ولعلها حذت حذو بقية المدن السورية التي اغتصمت ، فيما بعد ، فرصة اعتلاء عرش مصر ملوك من غير رجال الحرب الذين كان آخرهم اخناتون ، فانسلخت عن الامبراطورية المصرية . وقد حافظت على كنعانيتها ايضاً امام الفلسطينيين الذين هبطوا السهل الساحلي الجنوبي في القرن الثاني عشر ق.م والذين لم يلبثوا ان بسطوا سلطانهم على كل السهل الساحلي ثم على مرج ابن عامر الى بيت شان (يسان) <sup>(١)</sup> . وعلى كل فلم يرد ذكر مجدو مدة طويلة . وقد شاركت تنك وما اليها مجدو في هذا الصمت الطويل . ولعل موالاة التنقيب في التل تكشف لنا عن حقيقة ما تم في هذه الفترة الهادئة

فلما كانت حملة العبرانيين على هذه البلاد ، واستيلائهم على فلسطين بقيادة يشوع ، وتقسيمة البلاد بين الاسباط اليهودية ، عاد اسم مجدو الى الظهور . فقد كانت بين المدن الاحدى والثلاثين التي ضرب يشوع وبنو اسرائيل ملوكها في بحر الاردن <sup>(٢)</sup> . ثم قسمها يشوع فكانت مجدو وقرائها المرتفعات الثلاث في حصّة منسى <sup>(٣)</sup> . ويتضح من متابعة التقسيم ان ما خص منسى كان مرج ابن عامر بكامله <sup>(٤)</sup>

ولم يستطع بنو منسى أن يملكوا هذه المدن ، فعزم الكنعانيون على السكنى في تلك الارض ، وكان لما تشدد بنو اسرائيل ، انهم جعلوا الكنعانيين تحت الجزية ولم يطردوهم طرداً <sup>(٥)</sup> . والسفر في عجز بني منسى عن امتلاك البلاد يعود الى ما كان عند الكنعانيين الساكنين في ارض الوادي وبيت شان ووادي زرعيل من المركبات الحديدية وخلو ايدي بني منسى منها <sup>(٦)</sup>

وقد بقيت مجدو وتنك وما اليها بايدي الكنعانيين الاشداء ، الذين تمكنوا من المحافظة عليها بقوة مركباتهم الحديدية الى زمن دبورة القاضية النبية . وبذلك كانت منافذ فلسطين في ايدي الكنعانيين ، كما انهم كانوا يفصلون قبائل العبرانيين الشمالية عن الجنوبية <sup>(٧)</sup>

(١) بري السر جورج ادام سمت (Hist. Geoq. p. 402) أن الفلسطينيين دخلوا مرج ابن عامر بطريق مجدو نفسها . ومع اننا لا نستبعد ذلك فان تحقيق هذا الامر متوقف على ما قد تظهره الحفريات هناك . لكننا نشير الآن الى امر يؤيد رأي السر جورج سمت ويظهر ان مجدو تأثرت كثيراً بالفلسطينيين وهو أن المتقبين وصلوا في بعض الجهات الى الطبقة الخامسة ، وقد وجدوا هناك تأثيراً فلسطينياً (٢) يشوع ١١: ١٧ (٣) يشوع ١٧: ٩-١١ (٤) يشوع ١٧: ١٢ و١٣ وقضاة ١: ٢٧ (٥) يشوع ١٧: ١٦ (٦) G.A.Smith, p.392 (٧)



## ٧ - مجدو في زمن المملكة العبرانية

ان معركة قيشون بين باراق القائد العبراني وسييرا الكنعاني ، التي كانت حوالي السنة ١٢٠٠ ق.م <sup>(١)</sup> . والتي كانت دبورة هي المحرصة عليها ، قد جرت على مرأى من مجدو . وقد كان على هذه وتعتك أن تحرسا مؤخرة الجيش الكنعاني ، وتكونا مابجاً للفارين ومدداً للميرة . الا أنه من المهم أن تلاحظ أن مقر سييرا كان في حروشة الامم <sup>(٢)</sup> . ومما يدل على أن المعركة كانت قريبة من مجدو قول دبورة « جاء ملوك حاربوا . حينئذ حارب ملوك كنعان في تعتك على مياه مجدو » <sup>(٣)</sup> والمقصود بمياه مجدو هنا قيشون ( المقطع ) <sup>(٤)</sup> والذي نستعربه انه بعد هذا الانتصار الذي احرزه العبرانيون لم نسمع انهم ساروا جنوباً فاحتلوا مجدو او تعتك . وهذا يمكن تعليله اما بشعور العبرانيين بهزيم امام قوة الحصنين ، وهذا ما ترجحه ، واما بقلة اهميتهما . وهذا ما نستبعده

وقد اشتبك شاول مع الفلسطينيين في حرب كان شرها مستطيراً ، واكبر معاركها معركة « وادي جلبوع » <sup>(٥)</sup> التي انتصر فيها عليهم . واعل الفلسطينيين دخلوا مرج ابن عامر بطريق مجدو <sup>(٦)</sup> .

ويعود اهتمام اليهود الفعلي بمجدو وتعتك الى زمن سليمان (٩٧٥-٩٣٧ ق.م) . الذي عني بتجارة شعبه عناية خاصة ، وبذل ما استطاع في سبيل تأمين الطرق التجارية . فانه بنى سوراً وقلة لمجدو وتعتك <sup>(٧)</sup> ، كما انه اقام بعنا بن اخيلود والياً عليهما وعلى بيسان <sup>(٨)</sup> وقد يكون الذين حصنوا مجدو هم العمال الفينيقيون <sup>(٩)</sup>

في السنة ٩٤٧ ق.م . تولى شيشق الاول عرش مصر ، واستطاع توحيد مصر العليا والسفلى مرة اخرى . واهتم باقامة ردهة كبيرة في معبد الكرنك ، كما انه عني بتزيين هياكل امون . وكان سليمان قد توفي في تلك الاثناء (٩٣٧ ق.م) . وقد انشقت المملكة العبرانية على نفسها ، وكانت اخبار الفنى الفاحش الذي لسليمان قد اطمعت المصريين في نهب البلاد . ولعل شيشق اتخذ امال شأن ابن لسليمان ( ؟ ) من ابنة فرعون مصر حجة على خصمه

(١) Hall, p. 409

(٢)

(٣) قضاة ١٩: ٥ (٤) تفاصيل هذه المعركة وترنيمة دبورة موجودة في قضاة ص ٤ و٥

(٥) تفاصيل هذه المعركة موجودة في صموئيل الاول ص ٢٨ - ٣١ وهناك بحث في قيمة هذه

التفاصيل التاريخية في G. A. Smith, pp. 400-404 (٦) G. A. Smith, p. 402

(٧) الملوك الاول ١٥: ٩ (٨) الملوك الاول ١٢: ٤ (٩) تجد تفصيل ذلك في آخر المقال.



ملك يهوذا رحبعام <sup>(١)</sup> وعلى كل ففي السنة الخامسة من حكم رحبعام اي سنة ٩٣٣ <sup>(٢)</sup> ق. م. صعد شيشق ملك مصر الى اورشليم واخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك واخذ كل شيء واخذ جميع اتراس الذهب التي عملها سليمان <sup>(٣)</sup> ونقش شيشق اخبار حملته على جدران الكرنك مع الصور اللازمة. وذكر اسماء المدن التي احتلها، مبدئاً ببعض مدن شمال فلسطين <sup>(٤)</sup> الجليل <sup>(٥)</sup>، ثم أتمها بمدن يهوذا. وكانت مجدو بين المدن التي احتلها، مع انه لم يرد لها ذكر في اخبار التوراة. وقد ظن ان هذه الاسماء لا تمثل حقيقة البلاد التي احتلها شيشق. وأما هي منقولة عن احدى لوائح عصر الملك سليمان <sup>(٦)</sup> لكن اكتشاف نصب شيشق في مجدو اثبت انه احتلها، ولعله حرقها أيضاً ومع ان ملوك اشور حاربوا في فلسطين، واحتلوا السامرة وحاصروا اورشليم، واخترقوا البلاد الى مصر، فان مجدو لم تذكر في حروبهم <sup>(٧)</sup> وفي زمن يهورام بن اخاب ملك السامرة والنصف الثاني من القرن التاسع ق. م. جاء اخزيا ملك اورشليم الى يزريعل حيث كان يقيم يهورام. وكان ياهو زعيم الثورة الدينية على يهورام وامه الفينيقية ايزابل زوج اخاب، قد تقوى كثيراً في ذلك الوقت. ولعل اخزيا جاء لمساعدة يهورام على اخضاع الثارين. فقاتلها ياهو فقتل يهورام في يزريعل وضرب اخزيا فهرب الاخير الى مجدو ومات هناك <sup>(٨)</sup> وآخر مرة ورد ذكر مجدو في عهد العبرانيين كان في اخبار حملة نخو فرعون مصر في السنة ٦٠٩ ق. م. الذي قاد جيشه لمقاتلة الاشوريين في كركيش فاعتزم يوشيا ملك يهوذا مقاتلته، فقاد جنده الى بقعة مجدو حيث كان نحو زمعاً ان يمر، والتقى هناك، واصاب الرماة الملك يوشيا فقتلوه، ونقل جثمانه على مركبته الثانية الى اورشليم <sup>(٩)</sup>

نقولا زيادة

عكا فلسطين

[ينبع]

(١) Petrie, Egypt & Israel p. 72 (٢) Petrie 73 (٣) الملوك الاول ١٤: ٢٥ و ٢٦  
(٤) Petrie p. 73 (٥) Blunt, Israel's Place in World His story p. 38  
(٦) Petrie, p. 74 (٧) لعل ذلك يعود الى احتلالهم السامرة واتخاذهم طريق بيسان جنين السامرة الخ بدل طريق مجدو كما فعل الرومان اليونان في القرنين الاول والثاني ق. م. (٨) الملوك الثاني ٩: ١١—٢٨ ويزريعل هي زرعين اليوم على ١٢ ميلا جنوب الناصرة. كانت الاولى في الشأن بعد السامرة منذ عهد آخاب فكان يصرف هو وخلفاؤهم اكثر وقتهم فيها (٩) الملوك الثاني ٢٣: ٢٩ و ٣٠ والاخبار الثاني ٣٥: ٢٠—٢٢٤



## السياسي الكبير سمسار آراء

وصلة بين الخير والجمهور

كل ما يتعلق بالديمقراطية ومصيرها جدير بمنايا المثقفين من ابناء العصر . وقد نقلنا في مقتطف يوليو الماضي الجانب الاول من مقالة الدكتور هارولد لاسكي استاذ علم السياسة في جامعة لندن بعنوان « هل تسلم الديمقراطية في ايدي الخبراء » جاء فيه على ما يعتبر سبيل الخير من العقبات لدى تصديده للزخامة في الشؤون العامة . وها هو ذا بين في هذا المقال ان صميم مهمة السياسي هي قيامه صلة بين الخير والجمهور .

0:0

قد نستطيع ان نحسن تفسير ما نريد تقريره ان نحن قلنا ان التخصص وهو يعني ضرباً من الفهم التحليلي لمجموعة خاصة من المعارف يُفقد القوة على فهم هذه المجموعة عنها فهمًا اجماليًا ومن حيث علاقتها بنواحي الحياة المتبانية ، وهذا الفهم التحليلي اما يشتره الانسان على حساب فقدان لون الحكمة اللازمة لتصرف الشؤون العامة ، فالطبيب يميل الى اعتبار الناس على انهم مرضى والمعلم على انهم تلاميذ وينسى اصحاب البنوك ان ثمة « انسانية » في رجال لا يملكون دفاتر تحاويل مالية . واتباع اشتراكية ماركس يرون بواعث اقتصادية مشوقة في كل نزع الى الحكم

ذلك ان الانسان اذا عاش معيشة خاصة به متبانية عن معيشة الناس العادية اصبح تفكيره مختلفاً عن تفكيرهم . وكون المرء يعيش رجلاً اختصاصياً ضمن حدود مجموعة صغيرة من المعارف الانسانية ثم الانقطاع لها ، معناه انه يقيس ثمرات اختبارات الانسانية المعبرة كثرات تاريخ طويل من تجارب الناس ، بالمبادئ والمقاييس التي تقوم عليها دائرة اختصاصه . والحكمة في ادارة شؤون الحياة وتفهمها التفهم الصحيح لا تأتي من مثل هذا السبيل . فكون فرد من الناس اختصاصياً في تاريخ فرنسا في القرون الوسطى ، لا يعني ان هذا الفرد يصلح للفصل في مشكلة السار سنة ١٩١٩ وكون آخر طبيعياً ماهراً في السيجون لا يعني انه اهل للبت في وضع اصول القانون الجنائي ، وبراعة القائد في فنون الحرب لا تمكنه من الحكم في تخفيض التسليح ، كما ان العالم الانثروبولوجي ، لا يصلح لانه عالم بعلم الانسان ، ان يكون حاكماً لمستعمرة افريقية . ولا بد من النظر المشارف للوصول الى حكم



صحيح . لان شدة امعان النظر يفقد الاختصاصي القدرة على حفظ الاتزان والتناسب بين اجزاء الموضوع وليس اشد اضراراً بالحكومة الفاضلة من ان يجعل الحاكم الاختصاصي نظره الخاصة مقياساً لما تتطلبه حاجات الاجتماع

فالدول لا تتجح في محاولتها تنقيص التسليح حين يجتمع لذلك القواد و امراء البحر واعوانهم من الخبراء الحريين ، ولا هي تتقدم تقدماً تشرعياً عن طريق المؤتمرات التي تعقدها جمعيات المحامين . ولما اسفرت مؤتمرات المعلمين عن اي تقدم محسوس في وسائل التربية والتعليم . والظاهر ان الحاجة ماسة في مثل هذه الاحوال الى عقل متفوق يستطيع ان ينظر الى المسألة نظراً مشارفاً ويوفق بين تياراتها المتعارضة واجزائها المختلفة . قال السر وليم هاركورت ان «رؤساء الدوائر السياسيين هم الذين يدلون موظفي الحكومات المدنيين على الاشياء التي لا يطبقها الجمهور» . ومن هنا نستطيع ان نرى مقام الاختصاصي في الشؤون العامة ، فهو خادم نافع ولكنه سيء لا يطاق . وهو يستطيع ان يكشف لك عما يحتمل وقوعه اذا جربنا على هذه الحطة العملية او تلك ، ولكن من مصلحة جمهور الشعب الا نهدي اليه في استنباط الخطط وتنفيذها

وكل نظام سياسي يعتمد على الخبراء في انشاء الخطط الاجتماعية يكون عرضة لنمو شمرور البيروقراطية ( تحكم الموظفين الدائمين ) فيه ، ونظام من هذا الضرب ينقصه النظر النافذ الى التحول في نفسية الجمهور ويكتفي بعرض عقايره كدلاج ناجع لادواء الناس من دون اي اعتبار لحاجتهم او عدم حاجتهم اليها . ويصبح رجال هذا النظام مكتفين بما يفعلون فيخلطون بين نتائج الفنية وبين مقتضيات الحكمة الاجتماعية . ويعجز الاختصاصي عن تبين حدود الدائرة التي يمكن لوسائله ان تنفذ فيها التنفيذ الفعال ، لانه بطبعه البعيد عن العامة يجعل تفكير هذه الطبقة من الناس ويندر ان يعرف كيف يكشف عما يحجول في صدورهم . فشدة انقطاعه الى دروسه في مكتبته او معمله تجعله ينظر الى نفسية العامة نظره الى كتاب مغلق ، واذا هو وفق الى معرفة شيء من افكارها وزعاتها عجز عن حسن التصرف بها اصف الى ذلك انه لم يتعلم كيف يقنع الناس بقبول ما لا يفهمونه من الاشياء الا نصف فهم ، وانه بعيد عن حياتهم فصالحهم واملهم وخاوفهم لا تشغل باله لانها ليست مادة درسه . وهو لا يدرك ان اساليب اختصاصه الفنية لا تستطيع ان تقنع الناس لانها تعجز عن ان تصطبغ اللغة المتعارف عليها بينهم ، وهو في نظر العامة بعيد عنها مجرد من حياتها غريب عن اساليبها . ولا بد من تدخل الرجل السياسي ما بين الخير وجمهرة الناس ليجعل تطبيق ما يقول به الخبراء ممكناً هذا هو في الواقع اهم واجبات السياسي اذ هو يمثل النظر السليم من حيث علاقته



بنتائج الخبراء . فيعين حدود الممكن والمستحيل . ويقيس ما يستطيع تنفيذه في حالة معينة وجمهور معين . والرجل الذي قضى السنين في الشؤون العامة يجيد تناول الناس واستخدام مواهبهم والتوفيق بين آرائهم المتعارضة ، ويتعلم بالخبرة البت في الامور بالبداهة دون ان يبين اسباب ذلك البت ، ويستطيع ان يحكم بالبداهة ايضا على النتائج المرجحة لتنفيذ مبداء من المبادئ ، فيجزي السياسي الى منصبه الجديد وهو قادر بفطرته وخبرته على توحيد جملة اوجه متباينة من آراء المحققين ، ويخرج منها للناس وحدة كما نظام تام التساوق .

اضف الى ذلك انه يدرك مواطن الاقدام والاحجام ويعرف كيف يشق بوحى النفس دون كبير اعتناء بمنطق العقل . اما تربية الرجل المتخصص فهي بالاجمال ، ماحقة لجميع هذه الصفات التي مر ذكرها مع انها من اشد الصفات لزوما لمن يضطلع بزعامة الجماهير ، وهذا هو السبب في ان المعلمين ومن هم في حكمهم قلما ينجحون في الشؤون السياسية ، والرجال المتخصصون تنقصهم بحكم فقدانهم تلك الصفات ، سجية اقناع الجماهير ، والحكومات العصرية لا يمكن ان يضطلع بها الاضطلاع الحق رجل لا يحسن اقناع الجماهير

وليس ادعى الى العجب في الدوائر العامة من رؤية فرد نابه من رجال السياسة العامة يسوق امامه جماعة الاختصاص من الموظفين . فانت تجد ذلك السياسي لا يعرف عن شؤون ادارته مثل ما يعرف اولئك المتخصصون . ولكنه هو الرأس المفكر المنظم بينهم ، وليس يندر انك تجده يؤثر فيهم حتى يجعلهم يؤمنون بالشيء الذي كانوا يشكون به من قبل ، والفرق الوحيد بين رجل سياسي عظيم وبين آخر خامل ، انما هو فرق في المقدرة على حسن استعمال موظفيه . ويتوقف نجاح الرجل السياسي على حذقه في ان يتخذ الخيوط التي تخرج من مصانع الاختصاصيين الذين هم تحت اشرافه وادارته ويحيك منها سياسة عامة متسقة الاجزاء . فكل من يعرف اعمال اللورد هلدن في وزارة الحرية الانجليزية منذ سنة ١٩٠٦ - سنة ١٩١٦ ، او اعمال المستر هندرسن في وزارة الخارجية في خلال السنتين الماضيتين ، يمكنه ان يفهم العلاقة التي يجب ان تكون بين الرجل السياسي وبين موظفيه الاختصاصيين . وصمم تلك الصلة انما هو في ان يكون البت النهائي العملي فيها يرتئيه جماعة الاختصاص بيد آخر غير متخصص . وهذه الحقيقة هي التي تكسو اي قرار من قرارات البت النهائي ثوب التناسب والتساوق ، واية وزارة من الوزارات يكون افرادها كلهم من المتخصصين لا يمكنها ان تبتدع سياسة ناجحة ، ذلك ان كفايات اولئك الوزراء الاختصاصيين اما ان تصطدم بعضها ببعض اذا كانت الوان اختصاصهم متباينة ، واما ان تكون نظراتهم العامة للامور لا قيمة لها لانها تقوم كلها على اساس واحد . اما الرجل غير الاختصاصي



الذي يشرف على آراء الاختصاصيين ، فانه يُسمى الى التوفيق بين آرائهم من جهة وبين روح العالم ومعارف الناس من جهة اخرى، ويهمل في هذا كله الآراء الخاصة وضيق النظر وليست السياسة في صميم حقيقتها، فلسفة من الآراء الفنية، وانما هي فن يتناول الشؤون العملية، والرجل السياسي لازم لتنظيم ذلك الفن لانه يعمل بصفة كونه سمساراً للآراء، ومن دون توفيق هذا السمسار لا يمكن ان تقوم بين الجماهير وبين منتجات الاختصاصيين صلة من الصلات ولقد قال « ارسطو » ان حكم الضيف على جودة طهي الطعام افضل من حكم الطاهي نفسه — ومهما يبلغ بنا حب الاعتماد على الاختصاصي ، ففي الواقع ان نجاح اية سياسة يتوقف على رأي الجماهير لا على رأي الاختصاصيين فيها فقط . ذلك ان الجماهير هي التي تعيش في ظلال تلك السياسة وتختبر الوان صلاحيتها او عدمها ، واعمال الحكومات لا يكفي في الحكم لها او عليها اعتماد رأي الاختصاصيين وانما القول الفصل في ذلك يرجع الى الشعب ، وهذا هو اصح قياس لقيمة اية حكومة من حكومات العالم . وما من خطة عمرانية قامت ضد رغبات الجماهير واستطاعت ان بطول بها العمر ، وانه لخطر حقاً الا تقدر رغبات الجماهير في مثل هذه الاحوال ، والاسراف في تجاهل الجماهير هو خطر داهم ، وكثير مما يوضع اليوم حول فن الحكم واصوله ، يقوم على هذه البدعة الجديدة التي تقول بعدم خطر الرجل العامي في اصول الاجتماع

ونحن نعلم مثلاً جهل الرجل العادي لما تنطوي عليه مسألة النقد الذهبي ، من الشؤون المعقدة ونعلم ايضاً انه من الجهل ان نعود اليه في مسألة من مثل توليد القوة الكهربائية ، ولكن كون الرجل العادي يجهل هذه الامور الفنية ، ولا يعنى باساليبها ، لا يؤيد حق الاختصاصيين في الاستقلال بارائهم في تلك الامور ، ذلك ان نتائج عيار الذهب هي اشياء ظاهرة الاثر في حياة الرجل العادي ، ونتائج الانتظام في نظام توليد الكهرباء مثلاً تبدو في حياته كل يوم . وفي الاجمال ، فكل ما من شأنه ان يفصل ما بين الرجل العادي وبين ما تفعله الحكومات في الشؤون العامة يزيد عجز الحكومات عن القيام باعمالها، وليس يعيى عن ذلك كون الرجال الاختصاصيين فيها فعلوا ما فعلوه عن حسن نية منهم ، او كون الحكومة تبدي في تنفيذ آراء الاختصاصيين دقة وبراعة لان الجمهور لا يعرف النتيجة الا كما يختبرها . والاختصاصي لا يستطيع ان يتجه في الجهة الصحيحة الا اذا افضى اليه الرجل العامي برأيه فاحكام الرجل العامي هي الاساس الذي يجب ان يبنى عليه الرجل المتخصص ان هو اراد النجاح فيما يبنيه . ومن هذه الاحكام ، في مجموعها الكلي ، تقيم كل امة موازين اجتماعها . وحدود كل عمل عام انما هي هذه الموازين . فما استطاع عمله في امة من الامم ،



ليس ما يراه الخبير واجباً ، وإنما ما تسمح به موازين العامة . فأماها ورغباتها وأقبلها أو اعراضها واندفاعها أو تلكؤها تقيم لكل عمل حدوداً . لذلك يشير السراير سولتر — وهو خبير اختصاصي كبير — بوجوب انشاء لجان استشارية في كل دوائر الحكومة لتكون صلة بين آراء الخبراء ونزعات الجمهور . فيتعلم الجمهور النغمة من جهة بخطط الحكومة والخبير الاتزان والاتساق في ابداء الرأي وانشاء الخطط

وما من عصر احتاج فيه الانسان الى التدقيق في فحص ما يدعيه الاختصاصي مثل عصرنا الحاضر ، وما من عصر اصبح فيه من الضرورة القصوى ان ينظر فيه الاختصاصي بعين الشك الى كل مدعياته . فنحن نعيش في زمن زودتنا فيه المخترعات العلمية بقوة مادية لا يقل احتمال تحويلها الى قوة مضرّة عن احتمال تحويلها الى قوة نافعة ، والخطر الذي يهدد الانسانية من جراء هذه الاحتمالات هو خطر داهم ، فنسينا الزيادة المضطردة في تعقيد شؤون الحضارة ووسائلها ، انسانية الناس وشخصياتهم ، وهذا الجو المضطرب من نفسية الجيل الحاضر ، قد يتكشف عند اول ضربة من ضربات القدر عن مبلغ زرع انظمتنا الاجتماعية ، ويبين عظم الهوة التي تفصل ما بين الحكام والشعب ، مما لا يمكن لاية وسائل فنية ان تردمها واذن فالواجب علينا هو السعي لتلافي هذا ذاكرين انه لا توجد طائفة من الخبراء بلغت من الحكمة والاخلاص مرتبة تسوّغ لنا وضع مصير الانسانية في ايدي رجالها . وكون المتخصصين هم اهل تخصص يعرضهم لخطر التضحية بالحياة كلها على مذبج ناحية واحدة منها هي ناحية تخصصهم . وليس هناك من سبيل الى خلاص المتخصصين من اخطار هذه النظرة الضيقة الا بمراعاتهم نفسية الرجل العادي وعقليته ، ونحن نحسب ان سلامة الانسانية تتوقف الى حد بعيد على دوام هذه المراجعة وأعمالها

ولكن ليس من السهل اليوم ان نتوصل الى هذه النتيجة . ذلك ان جماعة التخصص في هذا العصر يتمتعون بمنزلة لا تقل عن منزلة الكهنة في عصور الانسانية الاولى ، اذ كلنا الفتيين تعالج اسراراً ليس من شأن العامة ان تفهمها ، وما لم نجد لونا من الوان التوافق العالي والاختصاصي تظل الانسانية في خطر من التصادم بينها هذا ويجب الا ننسى ان إيجاد هذا التوافق يقتضى تطوراً خطيراً في اصول عادتنا وانظمتنا الاجتماعية ، واول ما يجب فعله هو احداث ثورة في اصول التربية والتعليم كما نعرفها اليوم ، وتغيير اشكال انظمتنا . ولعلها المرة الاولى في التاريخ التي تحتم فيها على الناس ان يعيشوا الحياة التي يريدون ان تكون من نصيبهم ، وفي تعيينها يجب ان يذكروا ان النجاح يتوقف على مقدرتهم في ادماج آمال الرجل العادي ونزعاته في نواحيها المختلفة



كيف وصلت الى طريقي في

## علاج داء ادمان المخدرات

بمخلاصات الغدد الصماء

ببحث مبتكر للدكتور فـرـا

لما انتشر داء ادمان المخدرات في القطر المصري وانتهى الرأي العام الى الاضرار الجسيمة التي نشأت عنه عمدت الى درس هذا الموضوع درساً مطوّلاً . ولما كان الافيون وقلوياته كالورفين والهيريون واليكودال وخلافها هي المواد المخدرة الاكثر انتشاراً فقد اختصتها في هذا الدرس . فطالعت مؤلفات عديدة باللغة الفرنسية لاطباء اختصاصيين في علاج هذا الداء منها ما يقتصر على ايراد رأي المؤلف فقط ومنها ما يشرح آراء اختصاصيين من مختلف الشعوب بلا تحيُّز ولا تحامل ومنها ما يفنّد آراء البعض ويحبّذ آراء الآخرين وهاك ملخص ما تجمع لديّ من هذه المطالعات الواسعة النطاق :

( ١ — الوجهة النظرية

ان فريقاً من هؤلاء الاختصاصيين لا يرى في المدمن الا شخصاً معتوهاً او خاملاً ضعيف العزيمة او سقيماً سافلاً لا همّ له الا السعي وراء لذة الكيف اي النعيم الوهمي . وآخر ينسب السقوط في ادمان المخدر الى استعداد شخصي اي ضعف سابق في القوى العقلية وثمة فريق ثالث ينظر الى المدمن كمريض جسدي وعقلاً في آن واحد فمنهم من يرجح فيه صفة العلة او الرذيلة مع اعتباره مريضاً مرضاً جسيماً ايضاً . ومنهم من يرجح فيه العلة الجسمية ترجيحاً كلياً وذلك بالنظر الى الاعراض المرضية الشديدة التي تعتريه والالام المبرحة التي تنتابه متى رام التخلص من دائه . وعمد الى قوة العزيمة طارحاً المخدر جانباً فلا يقوى على ذلك طويلاً بل تراه يغلب على امره ويعود الى تماطلي المخدر رغم صحة عزمته وعقله وهنا لا ارى بداً من الاشارة الى ان حكم الفريقين الاولين انما يرتكن الى احصائيات تتناول على الغالب المدمنين الذين ارسلوا الى ملاجئ المعتوهين على أثر مضاعفات عقلية ولكنها لا تشمل غيرهم من المدمنين العاقلين

ولم يذهب واحد من هؤلاء الاختصاصيين الى ان داء ادمان المخدر هو مجرد مرض تسممي كالتسمات الاخرى له مييزات خاصة ولكن لا علاقة له بمبدئياً بالقوى العقلية



## ٢ - الوجهة العلمية

ان اكثر الاعراض السريرية التي تظهر على المدمن في اثناء حالة الاحتياج الى المخدر ترجع الى حالة (Vagotomie) اي نشاط العصب الحار. واني اوجه نظر القارئ الى هذه النقطة الاساسية لاني سأعود اليها في ما يلي

## ٣ - الوجهة العملية او العلاج

قد حاول الاختصاصيون معالجة مدمني المخدرات بطرائق متنوعة لا مجال لسردها هنا بالتفصيل . انما اقول بالاجمال ان كل اختصاصي قد رسم خطة في العلاج تنطبق على رأيه وكل منهم يحبذ طريقته طبعاً ويسرد النتائج الحسنة التي وصل اليها في منع المخدر عن المدمن . ولكن لم يقل احد منهم بان طريقته مضمونة النجاح حتماً في عدم العودة الى تعاطي المخدر بعد العلاج . بل على الضد فان اكثرهم يجاهر بان حوادث عديدة آلت الى نكسة . ومنهم من اورد احصائيات تبين نسبة حوادث النكسة الى عدد الحوادث التي عالجها وهي نسبة لا يستهان بها . ولم يتوصل احد منهم الى تحديد علة مرضية اساسية يصح ان تعد سبباً مباشراً لحصول النكسة بل هم يكادون يجمعون على اسناد النكسة الى اسباب نفسانية تكور العزيمة والميل الى لذة الكيف والضعف العقلي وما اشبهه . وبالطبع فان واحداً منهم لم يُسند حصول النكسة الى نقص في العلاج . مع ان البعض منهم قد جاهر بانه لم زل توجد امور غامضة تجب البحث عنها لجلاء ما نعرفه عن حالة المدمن المرضية والوصول الى تعليل الاعراض التي تنتابه في حالة الاحتياج الى المخدر

والخلاصة فانه رغم تعدد طرائق العلاج المعروفة لم تفلح واحدة منها فلاحاً تاماً في ازالة الدافع القهري اي حالة احتياج المدمن الى المخدر حتى بعد العلاج . اذ ان من المدمنين الذين عولجوا من عاد الى تعاطي المخدر بعد بضعة ايام ومنهم بعد شهر تقريباً . نعم انه قد ورد ذكر حوادث قليلة شفيت شفاءً تاماً . وسأشرح تعليل ذلك فيما بعد

## سلسلة أبحاثي

بعد هذا اخذت افكر في امر جزيل الشأن وهو : ان المدمن الذي يسعى من تلقاء نفسه بعزيمة صادقة الى التخلص من دائه قد يعاني اثناء حذف المخدر بطرائق العلاج المعروفة آلاماً شديدة مبرحة . فهل يُعقل ان من قاسى آلاماً كهذه يعود الى تعاطي المخدر لمجرد لذة الكيف ؟ عندئذٍ لاحت لي فكرة وهي : قد يحتمل ان التسمم المزمن بالمخدر يورث المدمن علة مرضية تدفعه عاجلاً أو آجلاً الى العودة لتعاطي المخدر بعد العلاج لان



هذا العلاج قد اقتصر على حذف المخدر فقط مع بقاء هذه العلة على حالها وانشأت بحث عن هذه العلة . ولكن لم يسعني الحظ للوصول الى معمل بيولوجي مستعد لاجراء اختبارات فيسيولوجية على الحيوانات القريبة للانسان . فلم يكن لي مناص من الالتجاء الى الابحاث الاخرى من مبادئ فيسيولوجية واقرباذنية او اعراض سريرية وما اشبه

### الحلقة الاولى

ان احدى طرائق العلاج المعروفة هي العلاج بالاترويين ارتكناً الى ما هو مثبت علمياً من التناقض (Antagonisme) بين تأثير المورفين والاترويين بحث عن منشأ هذا التناقض فلم اجد في التركيب الكيماوي . ولكن مانكا (Manquat) ذكر في مؤلفه الدراسي الشهير في علم الاقرباذين ما ملخصه : « ان التناقض بين المورفين والاترويين هو ظاهري فقط . اما في الواقع فان التناقض يوجد في تأثير كل منهما على العصب الحائر (Nerf Vague) والعصب السمبتاوي (Nerf Sympathique) . على ان استعمال الاترويين كمنقبض للمورفين لا يفلح الا في علاج حوادث التسمم الحاد اما في احوال التسمم المزمن فلا فائدة في استعماله <sup>(١)</sup> »

ان المبادئ الفيسيولوجية تعلمنا : (١) . ان العصب السمبتاوي والعصب الحائرهما تقيضان وان قوتيهما يجب ان تكونا متكافئتين في حالة الصحة . فاذا رجحت قوة احدهما على الآخر اختلّت الموازنة في اتمام وظيفة العضو الذي يأمر بامرهما وينشأ عن ذلك اعراض مرضية تتفاوت شدة بتفاوت درجة هذا الخلل : (٢) ان تأثير العصب الحائر على القلب هو انقاص عدد النبضات اما تأثير العصب السمبتاوي عليه فهو زيادة هذا العدد : (٣) ان الاترويين يكبح العصب الحائر وقد يشلّه ايضاً اذا كانت الجرعة كبيرة

وقد اثبتت اختبارات هيم دي بلزاك Heim de Balzac انه « اذا استعمل الاترويين حقناً متتالياً تلاشت قوة العصب الحائر تدريجاً . فترجح اذ ذاك قوة العصب السمبتاوي بنسبة ضعف نقيضه اي العصب الحائر وعندئذ يسهل دوس فعل العصب السمبتاوي فان اقل اجهاد في هذه الحالة كحركة المشي مثلاً او الوقوف وقتاً طويلاً يزيد نبضات القلب حتى الخفقان » <sup>(٢)</sup> ثم ان الفيسيولوجي الشهير لوى دي جراتز (Loewi, de Gratz) قد نشر في اوائل سنة ١٩٢٩ بعض نتائج من ابحاثه واختباراته التي كان قد ابتدأ بها منذ سنة ١٩٢١ لمعرفة السرّ او العامل

(١) A. Manquat-Therapeutique; Tome III; 6 edition; 1913 p.472-475  
(٢) Bulletin de la Societe de Medecine de Paris; seance du 12 Avril 1929; No7, p. 192



الذي يولد القوة التي تتسلط بها الاعصاب على العضو الذي يأتمر بأمرها. ومن هذه النتائج :  
 (١) انه لدى تهيج العصب السمبتاوي او العصب الحار وعلى الخصوص فروعهما التي التي تنتهي في عضلات القلب ينشع من منتهى هذا العصب شبه سائل طيار (perfusat) يحوي مادة تؤثر في الياف العضلة التي ينتهي اليها هذا العصب . وهذه المادة هي السبب المباشر لانكماش هذه العضلة . (٢) ان الاترويين يفني السائل الذي ينشع من العصب الحار كما ان الارجوتامين يفني السائل الذي ينشع من العصب السمبتاوي<sup>(١)</sup> . وحيداً لو أجريت اختبارات كهذه لمعرفة فعل المواد المخدرة في هذين العصبين والسائل الذي ينشع منها علمنا اذن مما تقدم : أولاً — ان العصب السمبتاوي والعصب الحار هما نقيضان وان ما يضعف قوة احدهما يرجح قوة الآخر بديهاً  
 ثانياً — ان استعمال الاترويين في علاج ادمان المخدرات انما يقصد منه كبح قوة العصب الحار او افنائها وقتياً . وعليه فالنتيجة المباشرة التي يصح ان نستنتجها مما تقدم هي هذه :  
 انه تأثير المخدر على الجسم اما انه يكون نشاط العصب الحائر (Vagotonie) او ضمول العصب السمبتاوي (Sympathicosthénie) وبالتالي انهمول النظام  
 او النواصر بين قواهما

### الحلقة الثانية

اخذت ابحت في حل السؤال الآتي لانه يتفرع عن النتيجة المتقدمة وهو :  
 هل تأثير المخدر المباشر هو النشاط في العصب الحار او الحول في العصب السمبتاوي ؟  
 قابلت بين هذا السؤال وبين ما تعلمه عن تحليل الصدمة الشديدة التي تحصل احياناً على اثر حقن الزرنيخ القوية — ثلاثياً كان او خماسياً — في علاج مرض الزهري او خلافه<sup>(٢)</sup>  
 اتنا نعلم ان هذه الصدمة قد تحدث عند مريض على اثر اول حقنة وعند آخر على اثر حقنتين أو أكثر ولا تصيب الثالث مهما تعددت الحقن وعظمت الجرعة العلاجية . اما متى حدثت هذه الصدمة على اثر حقنة فلا بد من حدوثها ايضاً على اثر الحقن التالية الا اذا احتاط لها الطبيب المعالج بالادرنالين . كما ان افضل وانجح علاج لهذه الصدمة هو حقن الادرنالين ايضاً . وقد اختلفت آراء الاختصاصيين في الامراض الزهرية سابقاً في تفسير هذه الصدمة فمنهم من نسبها الى ضعف قلبية السائل ومنهم الى استعداد شخصي خاص . على ان احدث

(١) La Revue de Biologie Medicale; Juin-Juillet 1929, p. 241-262.

(٢) (Crise nitritoide des Arsenobenzénés)



نظرية تلخص في « أن هذه الصدمة هي حالة نشاط العصب الحائر (Vagotonie) » اي رجحان كفته على كفة العصب السمبتاوي . وهي لا تصيب اشخاصاً ذوي «عصب سمبتاوي نشيط»<sup>(١)</sup> اذن علمنا مما سبق ان الاختصاصيين في داء ادمان المخدرات يفسرون الاعراض السريرية التي تظهر على المدمن وهو في حالة الاحتياج الى المخدر بأنها حالة نشاط العصب الحائر (Vagotonic) وهنا نرى ان الاختصاصيين في الامراض الزهرية يعملون الصدمة الزرينخية بحالة (Vagotonie)

ثم ان الطب يعلمنا بأن علاج نشاط العصب الحائر (Vagotonie) هو الاترويين لكبح هذا العصب ولكن قد رأينا فيما تقدم ان علاج مدمني المخدرات بالاترويين لم يأت بنتيجة حاسمة لان الشفاء لم يكن تاماً قطعاً. وهنا نرى ان العلاج الناجع بل العلاج الخاص (Spécifique) للصدمة الزرينخية وقاية او شفاء هو الادرنالين وليس الاترويين. وكلنا نعلم ان الادرنالين لا يؤثر في العصب الحائر مباشرة بل ان عمله المباشر هو تنشيط العصب السمبتاوي لا ريب اذاً في انه يوجد تناقض بين الوجهتين النظرية والعملية وقد قال الاستاذ العظيم لاينيك Laënnec: ما معناه « ما النظرية الا فكاهة عقلية تساعد على ربط الوقائع . فتى عصتها واقعة واحدة وجب اغفال هذه النظرية »

نجاه هذه المقدمات لا اراني مخطئاً اذا عرضت عن نظرية نشاط العصب الحائر (Vagotonie) في تحليل الصدمة الزرينخية اولاً ورجحت عليها نظرية توازيها ظاهرياً وتفوقها واقعياً وعلمياً وهي خمول العصب السمبتاوي (Sympathicosthénie) لاسيما وان الصدمة الزرينخية لا تصيب الاشخاص الذين لهم عصب سمبتاوي نشيط كما تقدم القول ثم بالنظر: اولاً — الى المقارنة بين التسمم بالمخدر وبين التسمم بالزرينخ ( وهذا الاخير يجلب ادمان ايضاً كما اشتهر ذلك عن فلاحى مقاطعة التيرول وغيرها ) . وثانياً — ارتكناً الى ما تقدم عن ترجيح نظرية خمول العصب السمبتاوي على نظرية نشاط العصب الحائر في الصدمة الزرينخية فقد استنتجت بالاستقراء

انه نظرية خمول العصب السمبتاوي مباشرة هي اصح في تحليل تأثير المورفين ومشتقاته على الجسم . وعلى كلِّ حاله التسمم في كلتا الحالتين بنفسى ، فلهذا في

النوائير او النطافويين عمل العصب السمبتاوي والعصب الحائر Dysvégétation

[ له بقية ]



## منعوك

منعوك ... هل منعوا الأريج من الأزاهر أن يفوح؟  
منعوك ... هل منعوا البلبابل أن تغرد أو تنوح؟  
منعوك ... هل منعوا النسيم أن تحيي وأن تروح؟

\*\*\*

وهل الكرى منعوه عن جفئك، أو أحلامه؟  
أو قيدوا فيك التأمل لا يطير حمامه؟  
أو أخذوا قلباً يساهمه الحياة غرامه؟

\*\*\*

منعوك ... هل منعوا الجداول عن تغنيها الجميل؟  
أو حوّلوا المجرى فأنساها التجول أن تسيل؟  
أو كبّلوا الأغصان في الأشجار حتى لا تميل؟

\*\*\*

وهل النسيم إذا منعت يكل من تبليغنا  
ما في فؤادي أو فؤادك من لواعج حبنا؟  
لا والذي جعل الغرام الحق صادقاً وحنينا

\*\*\*

وهل الدجى لا ينقل النجوى؟ وتمنع النجوم  
عن أن تبشك ما أحماها، وتخشى من يلوم؟  
لا ... فالطبيعة لا ترى في الحب آراء الخصوم

\*\*\*

هل حيل بينك والقراءة في طرائف أغنياني



أو حيل بينك والخروج حذارٍ وعندٍ أو صلاتٍ ؟  
أو أنبوك على الغرام فأنبوك على الحياة ؟

\*\*\*

أو أنهم منعوك من شم الأزاهر خشيةً وتخوفاً  
فلعل في الأرج الحديث قد استكن أو اختفى ؟  
أو حيل بينك والهدوء ، وحيل بينك والصفاء ؟

\*\*\*

فليملكوا الحب العظيم ، ويحكموه بالسلاسل  
فالحب في هذا الأثير وليس في أفق المنازل  
أما القلوب فإنها للحب تختلف الرسائل

\*\*\*

فليمنعنك من نخولة الأبوة والأمومة  
أو يمنعنك من نخولة الخولة والعمومة  
أو من نخولة الوصاية ، أو نخولة الحكومة

\*\*\*

هل يمنع الصوت الجميل من الترسل في الغناء ؟  
أو يمنع القلب الأمول من التعمق في الرجاء ؟  
أو يمنع الثبوت القوي من الزيادة في النماء ؟  
أو يمنع الأرواح في هذا الفضاء من اللقاء ؟  
أو تمنع النجوى عن القلبين ما دام الوفاء ؟  
لا والغرام ، وما يحملني الغرام من العناء  
لن يقتل الحب الاكيد المنع أو حجب الضياء

حسن كامل الصبر في





## يستقبل جبرائلاً ويودعه

تمهيد

وقف قس بن ساعدة خطيباً في سوق عكاظ فقال :

لا يرجع الماضي ولا يبقى من الماضين غابر

واليوم ، بعد ألف وثلاثمائة سنة ، يجري ذكر قسيس نجران فيعيد بعض الغابر — الباقي — منه ويدحض قوله . ما نظر قس الى غير المادة عند ما نطق بهذا البيت من الشعر . وقد لا يصح حتى في المادة التي تذهب ثم ترجع في اشكال شتى وفيها بعض الاحياء تتكرر المتشابهات

ان ما في الماضي من الحقائق الاولية التي تتعلق بالانسان والانسانية ، او بالطبيعة والالوهية ، لا يضمحل ولا يفنى . بل يعود شيء منه من حين الى حين فيغني في حياة نوابغ الزمان وفي آثارهم الادبية والفنية والعلمية

وبكلمة اخرى واجلي ان اعالي الاشياء في التاريخ وفي الآداب والفنون ، كما في الاساطير والاديان ، تظل بارزة من قرن الى قرن ، ويانة الاطراف في اتصالها بعضها ببعض . فقد يذهب ما كان فيها من نفع او سرور او تعزية لآبناء زمانها ، ولا يذهب ما فيها من خيال وشعر لمن يتذوقون الشعر والخيال . ولا يذهب ما فيها من عوامل الحقائق القديمة التي يستعان بها ، اقتداءً او استيحاءً ، في كشف حقائق جديدة

مثال ذلك عبادة النساء الفينقيات للرب تموز وحبهن له حباً يخالطه السر في شهوة يقدها الهيكل . وما تموز غير رمز للشباب الساحر ، والقوة الغالبة . بل هو رمز ثالث الجمال اي الحسن والبيان والقوة — الرمز الخالد في حقيقته الاولية البادي كل جيل في شكل جديد . لا نقدر اليوم ما قدسه الهيكل بالامس . ولكننا ، في الازياء والعادات الاجتماعية ، نقدر الشهوات ونموها بشيء من الحب

ولنا في جنون قيس بن الملوّح مثال آخر . فما جنون قيس غير حبه ليلي ذلك الحب الصافي صفاء ماء القدير ، الطاهر ظهور نار الهيكل ، القاهر المسترق بأشواقه العالية ، المالك



على صاحبه الجوارح كلها ، فلا يقبل بتحقيق جزء منه دون الاجزاء الاخرى ، بل لا يقبل بتحقيقه اذا ظل جزء واحد او جزء من الجزء الواحد خارج دار الشوق والاستمتاع وما مثل سقراط والمسيح ، وما احاديث افلاطون وبسكال ، وما مزامير داود ونشيد سليمان ، وما نيران اشعيا ، ودموع ارميا ، وقوافي ابي العلاء ، ورؤيا وليم بلايك ، وما تماثيل رودان ، وصور سيزان ، والحان شوبان ، غير مظاهر شعرية فنية فلسفية الهية لهذا الحب العظيم الخالد — حب الحقيقة الانسانية الملموسة في الحياة الدنيا ، والحقيقة الجامعة المجردة الاولية الالهية ، اي حقيقة الجمالين الزائل والازلي ، المادي والروحي وهذه الحقيقة تجدد في مظهر من مظاهرها كلما نشأ نابغة في العالم . ولكن الانسان لا يدرك حقيقة النبوغ في نشأته ناهيك في مولده . وقد تدركها روح العناصر الطبيعية الالهية ، وترسل انبائها مثل « الراديو » في الفضاء — فضاء التاريخ — فتأثر بها غرر الابداع في اساطير الاقدمين وفي آثارهم الفنية والشعرية والدينية

ذلك ما حاولت ان اصف في مطلع هذا النشيد . وان ما يبدو اليوم خيالا قد يكون غداً من الحقائق التي تدرك بعين العقل . ولنا ان نقول ، اذا آمننا بعلم الوراثة ، ان في النبوغ ، كما في انمايا البشرية الاخرى ، شيئاً من ماضيه القومي واشياء من النوابع الماضين . وبكلمة اوضح ان النبوغ يتغذى بما تقدمه من نبوغ مشابه اما روحاً واما غرضاً ووضعاً ومن هذا القبيل يصح ان نعكس ما قاله قس بن ساعدة . فالماضي يرجع بخبره وبشره ، ويبقى من الماضين بقية يفرلها الزمان ، فيحفظ خير ما فيها لخير الناس

### (١) ذكرى جبرائيل

١ — هو يوم من الايام في لبنان جهل الانسان السريه هي ساعة من الساعات مرت ، مرت مرور القُبيرة في سكينه الفجر هي بقطة عنصرية عند منعطف الوادي ، وقد هجمت فيه القلوب والاحلام همس الفجر ، فتناثب الليل ، فانقشع السحاب ، فتلاأت الربى . ان روحاً تستيقظ في لبنان ٢ — تحت صخرة شماء ، نثر عليها العليق مرجانه ، وأمر الغار فوقها ثماره السوداء ، وتراحم عند قدميها البطم والطيون ، نورّت الزنبقة الحمرية وسمع اذ ذاك صوت الزمان يقول : ان بين كل بقطة وبقطة ليلاً طويلاً عقيماً

(١) القصيدة النثرية التي اعدّها امين الريحاني لانشادها في الحفلة الكبيرة التي اقيمت ببيروت مساء ٢١ اغسطس لاستقبال جثمان جبران خليل جبران في طريقه الى مسقط رأسه بشري



وسمَّع صوت الاجيال : انَّ لِرثي مجموع ما تقدم من إنجائي  
وسمَّع صوت الخلود : في الفناء وفي البقاء ، كما في النور وفي الظلام تُقرأ كلاتي ،  
وتثمر اغراسي . انه لنبأ كريم ، ان روحاً تستيقظ في لبنان  
٣ — في الوادي المقدس ، تحت ظلال الارز ، هتفت الايام تمجيداً . عند مهد النبوة ،  
وحول مناسك العباد ، وقف الزمان خاشعاً محبوراً

وجاءت من الاودية الشذية عرائس الشعر ، يحملن كؤوساً من العاج ، فيها طيب  
من القلوب الجيارة قطَّرتُه الدهور وجاءت من المروج الندية عرائس الخيال ، يصفرن  
اكليلاً من الورد توارت اشواكه ، ومن العليق وقد اختفت بين اوراقه عناقيد المرجان  
وسمعت في فيثات الربى اصوات كالدمقس اذا لاعبته الرياح ، هي اصوات المرحبات ،  
اصوات الجذل . وسمعت عند السواقي اصوات كالحديد اذا سيَّرتُه الكهرباء ،  
هي اصوات الهاديات ، اصوات التمرد

ومن اعالي الجبال ، التي يرقد تحت ثلجها البنفسج رقدة الاطفال ، جاء الرعاة يسبحون  
ان روحاً تستيقظ في لبنان ، هي روح جبران  
٤ — على شاطئ البحر الابيض ، بين مصب النهر وجبيل ، رأيت نسوة ثلاث  
يتطلعن الى المشرق ، —

والشمس ، كالجلنار ، تنبثق من ثلج يكلل الجبل ، —

امرأة في ثوب اسود ، وقد قبَّلَ التهمك فيها الباسم ،

وامرأة في جلباب ابيض ، وقد نطق الحنان في عينها الدامعة ،

وامرأة ترفل بالارجوان ، وفي صدرها للشهوات نار تتأجج —

ثلاث نسوة يندن تموز ، ويسألن الفجر قائلات : هل عاد يا ترى ، هل عاد ؟

ومن جبال يهوذا اجابتهن قيثارة داود ، وابهجن صوت صاحب النشيد

ومن مروج الجليل سمعن صوتاً يهمس باسم الناصري العظيم . ومن وادي الاردن

صوتاً يردد اسمي ارميا واشعيا بن آموص ووراء الاردن ، في البادية دون النفود ، شدت

الورقاء وتغنى الحادي بذكر المجنون وابن ابي ربيعة

ومن معرة النعمان ، من السدة العلائية ، جاء خاتم الاصوات يقول : « لكل صوت

مجال في مسامعه »

مثلاً يسمع « الراديو » الاصوات المنتشرة في الفضاء ، سمع جبران الاصوات الخالدة

في تاريخ هذا الشرق الادنى ، وفي آدابه واديانه



سمع ، ووعى ، واذكر ، ثم ودع ، وما هجر  
٥ — حمل الارث القديم الى ما وراء البحار

فزاد البعد صدى الاصوات جمالاً ، وزادت الغربة بجلال المآثر والذكريات  
ظل يسمع اجراس الكنائس في لبنان ، وظل يطرب لرنات العود ، وغنات القصب  
ودامت الخيلة منه تريم في الاودية ، وترقد في ظلال الارز . واستمر يصوغ ، عند  
السواقي الفضية ، احلاماً من الابنوس والذهب  
اجل ، لقد رحل ، وما هجر

حمل الوطن في قلبه ، وقبل ان ينضج النبوغ كان الحمل في الغربة ثقيلاً  
بل كان قيداً لنفس طمحة مكدة

وما كان ليغنيه عن العلم ، او يؤاسيه في غمرات الاشواق الجديدة . وكان جبران مع  
ذلك ثابت القدم في ارض لم تعد تحت قدميه ، ارض حملها بين جنبيه  
وكان فوق ذلك وحيداً الا في ساعات الاحلام والابداع

٦ — رأيت في باريس ، مدينة النور ، بحبي الليلي على نور سراج ضئيل ورأيت  
بنات تموز — نسوة الخيال — يطفن حوله في سميرات باريسيات ورفيقات اميريكات ،  
فيزدنه بهجة وشوقاً والمأ ووجداً

البيضاء الجلباب ، منشدة الحقائق ومشعلة الاشواق ، تفتح له ابواب الفن والجمال  
والسوداء الثوب ، ربة الاحزان ، تقلب صفحات قلبه وتطويها بأنامل ناعمة باردة  
والارجوانية الوشاح تقف بين الاثنين ، وقد أفرغت الكأس ، وعمدت الى المراة  
والقلم القرمزي

وكانت الروح المستيقظة ترد موارد الفن والجمال وهي محفوفة بالاطياف وحقيقتان  
في المتاحف والملاهي ، وفي البساتين والحانات ، كن للرفيق الرفيقات المتباريات  
جناً وإيماناً

بل كن الشريكات بما تجسّد من حبور وروعة ، وما تجسم من الم واسى  
وكانت روح الرفيق في ورودها الموارد الذوقية والفنية تزداد شوقاً ووجداً  
تزداد ظمأً كلما شربت ، تزداد احتراقاً كلما ارتوت . فودعت باريس ، وما هجرتها  
٧ — حملت الارث الفرنسي طي الارث الشرقي الى مدينة حديثة المجد ، لا تكترث

لثراث الثقافة والفنون

مدينة في العالم الجديد ، قلبها من حديد ، وعقلها من معادن الذهب والفضة



هناك بين عجيج روع ، وضجيج بُصم ،  
حيث تزدحج الاصوات الودبعة ، ومختنق الاشواق العالبة ، في قلب التيار القهار ،  
المبدع المستعبد جبارة العمل . في ظلال لناطحات السحاب تستعيض عن الشمس  
بالكهرباء ، قريباً من الجادة الساحرة التي تلعب باعصاب العالم المالي فتثيرها وتسكنها ، —  
هناك في مدينة الحديد والذهب ، والاحلام التي يحققها الذهب والحديد  
في مدينة الانسان الحامل الساعة والميزان ،  
في المدينة التي تعد كل شيء ، وترن وتقيس كل شيء هناك ، في نيويورك أقام من لا يحسن  
العد ولا يحترم المقاييس والموازن

٨ — في ردهة قدسها الجهاد الاكبر ، جهاد الروح في سبيل الحق المطلق ، والجمال الأتم ،  
فغدت الردهة صومعة للفكر والفن والخيال ، وقد حجبت بحجارتها الشرق والغرب ، وفتحت  
شباكاً للشمال ، فحمل القطب اليها مع نوره السوي روحه الحشنة المنشطة <sup>(١)</sup> هناك في تلك  
الصومعة الودبعة ، القائمة الحيا ، اللامعة موطن العطف والترحاب ، بين الكتب والاوراق  
والصور والتحف والتماثيل — بين رُكّام من صفحات تصادمت فيها الفكر والحكم ،  
ومن شذرات ثناء بتحتها الاشواق والاشجان

ومن لوحات جالت فيها الريشة جولات كلية — بين دمي قدسية ، ورسوم رمزية ،  
وشموع على مائدة كنسية — هناك في تلك الصومعة الحافلة بالآثار الذوقية والفنية  
والادبية ، وبالاغيب الروحية

اقام جبران عشرين سنة . وهناك صارع العناصر التي كانت تتنازع فيه الروح والعقل  
والفؤاد . وكان سلاحه سيفين من الشرق ومن الغرب . فشجذ الواحد على ما تصلب من  
قلبه ، وصقل الثاني بذوب العقل والروح

لغة العرب ولغة الانكليز ، جاهد كليهما وذللهما ليانه وخلياله . عشر سنوات من  
الجهاد ، وعشر من حسن الثواب ، عشر سنوات مضطربة ، وعشر مطمئة مثمرة . فانتصر  
بالعربية على العقل ، وانتصر على القلب بالانكليزية

٩ — استعاذ جبران بخياله العربي من حقائق الحياة ، وسما ببيانه الانكليزي فوق

(١) لا يحسن المصورون التصوير في نور الشمس الذي يدخل المكان من الشرق او من الغرب  
فيختلف سطوعاً وضأة من ساعة الى ساعة . اما نور الشمال فهو النور السوي اذ لا يختلف في الصباح  
او في الاصيل وهو المول عليه



الخيال . وكان في الحالين مبدعاً ، طوراً انشاءً ، وتارة فكراً . فسمعت كلماته أممٌ تضنُّ<sup>١</sup> بسمعتها على الشرق . وردد حكمته من نشأوا ، ومن نشأن ، حول مهد الحكمة هناك وجلسوا وجلسن بعد ذلك على عروشها

وامسى جبران ذا عرش بينهم ، وذا جمرة بينهم ورأيت حول العرش النسوة الثلاث ، نسوة تموز في نسوة نيويورك ، خيالاً في حقيقة ، وحقيقة في خيال . وسمعتن يتناشدن الشعر ، وهن بحرقن الند ، ويقلبن صفحات الكتاب الخالد ، كتاب الاشواق المكسرة الاجنحة . ثم رأيتهن حول النعش ، وسمعتن يحدثن الليل ويسألنهُ قائلات : هل يعود ، يا ترى ، هل يعود ؟

تموز وداود واشعيا والفارص والمجنون ووليم بليك<sup>(١)</sup> — هل يعودون يا ترى ، هل يعودون ؟ دعهن يتساءلن ، ودعهن يتساءلون

١٠ — اخي ورفيقي وحيبي جبران ، ما احزنني شيء في حياتك وجهادك مثلما تحزنني هذه العودة منك عودتك الاخيرة الى لبنان — وددتها والله لنفسي

فحبذا الموت يعدل بيننا ، بين من تعددت عوداته ، ومن تكررت فيه لوعة الحرمان ولاعطيتك لو استطعت عيني وقلبي ، لترى الآن ما نراه عنك وفيك جبران اخي ورفيقي وحيبي

ان للشهرة يوماً ، وان للحزن يوماً ، والباقي للبنان لهذا الحيل العزيز الكريم الحنون الذي يضمك اليوم ، وغداً يضمني ، اليه ومهما يكن من رسالة حملناها الى الشرق والغرب ينصف الزمان ومهما يكن من ادب بدعناه ونشرناه رأفة بالناس ، يعدل المستقبل وان ترابي غداً في وادي الفريكة يناجي ترابك في الوادي المقدس ومن ظلال الصنوبر الذي سيظل ضربيحي ، سيمحمل النسيم قبلات عطرة صباح مساء ، الى ضريحك في ظلال الارز

امين الريحاني

الفريكة

(١) بعض من يمت الهم جبران بنسبه الروحي ، وقد عادوا فيه وفي ادبه الى العالم الناطق بل طم الشعر المدون المنشور بين الناس . فهل يعودون وجبران لينطقوا في ادب غيره من نوابغ المستقبل [ المقتطف ] وقع خطأ مطبعي في تنوين اسم جبران في عنوان بعض الصفحات فوجب التنبيه



# هل الانتحار حق أو جريمة

رأي أصحاب الفلسفة الرواقية فيه

واشهر حوادثه بين كبار اليونان والرومان القدماء

\*\*\*\*\*

[ الرواقيون فلاسفة هم اصحاب الفلسفة الرواقية — Stoicism واول من وضع اساس هذه المدرسة الفيلسوف « زينو » — Zeno — الذي يرجع انه ليس من اصل يوناني ولكنه هبط آتينا واخذ يعلم في الرواق — Stoa — ومن هنا اخذ اسم المدرسة واسم الفلسفة نفسها . ولما مات زينو خلفه في التعليم الشاعر « كليا تر » ثم الفيلسوف كريسيبوس الصولي . وفي القرن الثاني قبل الميلاد استطاع « پناقيوس » — Panaetius ، احد افراد المدرسة ، ان يثبت قدم الفلسفة الرواقية في روما حيث تخرج فيها من العظام امثال أبقطاط وسنيكا والامبراطور ماركوس أوريليوس المعروف ]

..

تتحدّر فكرة الانتحار عند الرواقيين ، او بالاحرى تتسلسل ، من فكرة اخرى ، تقوم ، كما تقوم كل المبادئ الرواقية ، على مبادئ الآداب . وهي فكرة ان الموت نهاية طبيعية للحياة ، وانه ليس عقاباً ينزل بالاحياء ، كمظهر من مظاهر الغضب السماوي ، مجازاة للفكرة التي شاعت في العصر الوثني ، وانتقلت بالقاح الى بعض الصور التي استحال اليها الفكر في العصور الوسطى . فقد علم الفلاسفة على مدار العصور التي اخذ ينظر فيها العقل الانساني في الكون نظراً فلسفياً ، ان الموت سنة طبيعية ، وليس عقاباً . اما بعض فلاسفة القرون الوسطى ، فقد زعموا ، محاذاة للفكرة الوثنية ، ان الموت عقاب ، فرضه الخالق على بني الانسان انتقاماً من خطيئة آدم ، تلك الخطيئة التي نُسبت اليها كل صور الالم والمرض والمصائب التي تنزل بالانسان في حياته ، بل تطرفوا فادعوا ان هذه الخطيئة هي السبب فيما يحدث في الطبيعة من اعاصير تحل نتائجها بالحياة البشرية ، وان نور الشمس قلّ سناؤه وضوؤه سناه منذ أن اكل آدم من الشجرة المحرّمة في جنة الفردوس

هذا في حين أن بعض الفلاسفة قد علموا ان الموت نهاية الاوصاف والآلام وهزؤوا بفكرة ان الآلام الطبيعية تنتظر في الآخرة اولئك الذين استباحات اجسامهم الى تراب ، بل قالوا ان الاعتقاد بمثل هذا انما يمثل احط السخافات التي ينزل اليها الفكر الانساني ، وعمدوا الى القول بان مثل هذه الخيالات قد حان حينها ، وانها لا بد زائلة سرّياً من مجال المعتقدات العامة



اما المقلدون منهم فقد علموا ان الموت فاتحة آلام ممضية مضنية سوف يقاسيها العديد الاكبر من ابناء آدم . آلام تتضاءل بجانبها افزع المآسي التي نزلت بالنوع الانساني في حياته الارضية . آلام تقصر عن تحملها ارقى ضروب الشجاعة والاقدام . آلام لا يحتملها الا الذوات الخالدة ، دون الذوات الفانية . اما الفرق بين المذهبين فظاهر في ان المذهب الاول يعتبر الانسان بريئاً صافياً حتى يخطيء بارادته . في حين ان المذهب الثاني يعتبره محكوماً عليه بالآلم منذ ان يرى ضوء الحياة طفلاً ، ومن ثم الى ابد الآبدين .

مثل المذهب الاول ما يقول بلوطرخوس :

« لا يجب أن تقدم توضيحات عن انفس الاطفال الذين يموتون في فجر حياتهم ، كما لا يجب ان يقوم الناس لهم بشيء من المراسم التي يباشرونها في جناز البايعين وعلى قبورهم لان المعتقد يجب ان يتجه الى ان الاطفال لم يفسدوا في الارض ولم يعالجوا شيئاً من الشهوات الارضية . ان القانون يمنعنا عن تكريمهم ، لان الدين لا يجيز لنا ان نحزن على تلك الارواح الصافية البريئة التي انتقلت الى حياة ارقى ، ومثوى افضل وأبقى »

ومثل المذهب الثاني قول من قال بان الاطفال انما يولدون ويموتون في ظل الدينونة التي أدانهم بها آدم منذ اول الخليقة حتى الآن

ويمكننا أن نستخلص من هذه الاقوال فرقاً آخر بين التعليمين . فالمدرسة الفلسفية الاولى قد حاولت ان تقيم قواعدها على اساس الطبيعة الأدبية الثابتة في قلب الانسان . فقالت بان الانسان قد ينال رضا الخالق بفضائله الشخصية ، وبفضائله وحدها ، وبذلك تصبغ كل الكفارات والتوضيحات والمراسم والصور التعبدية التي يباشرها اموراً لا قيمة لها ، وان العبادة الحقيقية تنحصر في معرفة الله والتشبه به باعتباره خيراً محضاً . واما المدرسة الثانية فقامت على قاعدة ان ارقى الفضائل الانسانية غير كافية لان تلغي حكماً أزلياً ، ما لم يشترك معها اعتقاد ثابت في صحة طائفة من التعاليم ومراعاة الرسوم والقواعد التي تتبعها . ومن هنا نرى أن رجال المدرسة الاولى قدنفوا عن الخالق فكرة الغضب والانتقام وتلقبى الآلم على يديه في الحياة الاخرى . اما اهل الثانية فاعتنقوا من المبادئ ما يصاد هذه الفكرة تماماً هذه ولاشك فروق واضحة كل الوضوح . اما وضوحها فراجع الى انها مستمدة من مبادئ اساسية قامت عليها صور الفلسفة القديمة

من الاغراض التي رمى اليها فلاسفة الوثنية ان يخرجوا من الافكار صورة تلك الآلام المفزعة التي حاكها الخيال حول حقيقة الموت ، حتى يستطيعوا ، اذا ما قضوا على آخر معقل يسكنه الخوف ، ان يحققوا حرية الانسان . اما الغرض الاساسي الذي رمى



اليه رؤوس من كبار الفلاسفة في القرون الوسطى بتصوير الموت في تلك الصورة المفزعة ويجعل الفرار من آلامه ومفازعه غير مأمول فيه . فهو ان يتخذوه أداة للاخضاع وكبت الفكر وقمع الشهوة للحرية .

ولست تجد هذا الفرق وحده قائماً بين الفكرتين ، من حيث المعتقد في الموت ، بل تجده قائماً حول الفكرة في الحياة ذاتها ، وفي الغرض منها وفي قيمتها . اما الفرق الاكبر بين النزعتين ، فلن تجده اوفى ، ولن تقع عليه اظهر واجلي ، منك اذا وازنت بين المذهبين اللذين ذهب فيهما كل فريق لتقاء فكرة الانتحار ، الى انها قائمة على انها حرية الانسان في التخلص من الحياة . ولا شك في اننا نغالي اذا ذهبنا الى القول بان الفكرة في الانتحار عند الرواقين كما عرفت في روما القديمة خلال عصرها ، الوثني والنصراني ، قد نابذت مبادئ الكنيسة وحدها ، بل نابذت كذلك كل المذاهب الأدبية التي قامت في أوروبا بعد ذبوع النصرانية ، وحتى بعد أن خلص الميدان لحرية الفكر في العصر الحديث

لم يكن القدماء على اتفاق تام لتقاء فكرة الانتحار وحرية الانسان في التخلص من حياته او التصرف فيها . فان « فيثاغورس » ، الذي ينسب اليه المؤرخون كثيراً من أحكم ما نقل الينا عن القدماء ، قد قضى بان الانسان ممنوع — « عن ان يترشح عن مكانه في الحياة من غير أن يأمره بذلك مرشده ، أي الله » .<sup>(١)</sup> وقد فاه « افلاطون » بمثل هذا ، ولو أنه اجاز الانتحار اذا قضى به القانون ، او اذا زلت بالانسان كارثة فادحة ، أو إذا أصبح فريسة لا قبح صور الفقر والخصاصة<sup>(٢)</sup> اما « أرسطوطاليس » فقد حرّم الانتحار على قاعدة مدنية ، إذ اعتبره جريمة ترتكب ضد النظام الحكومي<sup>(٣)</sup>

إن حوادث الانتحار التي يرويها التاريخ اليوناني ليست كثيرة ، ولكنها تحوي حوادث وقعت لافذاذ من امثال « زينو » رأس الرواقين ، والشاعر « كلياتيز » خليفة في المدرسة الرواقية<sup>(٤)</sup>

(١) مات فيثاغورس نفسه منتحراً جوعاً . على أن هذه الرواية التي نقلها ديوجينيس لايرتوس Diogenes Laertius مشكوك فيها عند بعض مشهوري المؤرخين

(٢) راجع القوانين الكتاب التاسع . اما في كتاب « فيدون » — Phaedon — فقد ذهب افلاطون مذهباً حرّم فيه الانتحار ، ويقول ليبيانيوس في كتابه (De vita Sua) ان البراهين التي اثبتتها افلاطون في كتابه « فيدون » تدفعه عن الانتحار بعد موت يوليانيوس . اما شيشرون فيذكر شخصاً يدعى « كايوميروتس » فد اخذه جمال البراهين التي اقامها افلاطون في كتابه هذا عن خلود النفس ، فالقى بنفسه في البم . اما « كاتو » — Cato — الروماني ، فاختار الاكباب على درس هذا الكتاب لئلا انتحر وتخلص من الحياة (٣) راجع الاخلاق الكتاب الخامس

(٤) وضع « لاكتانتيوس » النصراني المعروف جدولا باسماء المنتحرين من رجال اليونان ، غير ان كثيراً من الحوادث التي يرويها مشكوك فيها عند نقاة المؤرخين



أما في روما، حيث ذاعت حوادث الانتحار، واخذت الفسكرة نفسها صورة أخطر وأوفى أثراً، فإن تحريمها قانوناً لم يتقبل عند جميع المشرعين، على اعتبار أنه قاعدة أولية. وأما رواية «رجيولوس»<sup>(٥)</sup> Regulus سواء أكانت تاريخاً صحيحاً أم خرافة<sup>(٦)</sup> فإنها تدل على أن تحمل الألم، وعدم العبوء به، كان في عصر من عصور روما أرقى المثل الأدبية. أما الشاعر «فرجيل» Virgil فقد ألبس المنتحرين في العالم الآخر ثوباً قائماً صاغه في صورة شعرية ضمنها قصيدته «الأنيد». (الكتاب السادس ص ٤٣٤—٤٣٧) هذا في حين أن «شيشرون» أجاز ما ذهب إليه «فيتاغورس» تلقاء الانتحار، ولكنه امتدح انتحار «كاتو» وحَبَّذَهُ. كما ذهب «أبوليوس» في شرح فلسفة افلاطون إلى القول بأن الإنسان العاقل لن يتخلص من حياته أو يتصرف في جسده إلا بإرادة الله. أما قيصر وأوفيد فقد قضيا بانه في حالة اليأس الشديد قد يعتمد الإنسان إلى التخلص من حياته بسهولة، وإن الشجاعة الحقيقية، إنما تظهر في أن يقدم الإنسان على هذا الفعل.

أما الفلسفة الرواقية فقد جمعت بين فكرتين. فكما أنها تحضُّ على أن لا يَفِرَّ الإنسان من القيام بواجب من واجباته، فهي بجانب هذا تجبز للإنسان الحق في أن يتخلص من حياته وأن يتصرف فيها بكامل حريته. وكان «سنيكا» من أكبر المدافعين عند تجويز فكرة الانتحار، غير أنه لم يلبث أن عمل على أن يلطف مما سَمَّاهُ بنفسه «الشهوة للانتحار» بعد أن ظهرت هذه الشهوة على أشدها بين أتباعه. أما الإمبراطور «ماركوس أنطونينوس»، وكان من عمد الرواقين، فقد رآح بين تجويز الانتحار وبين تحريمه. فبينما تراءى يقول بأن لكل الحق في أن يتخلص من الحياة عند ما يريد إذا بك تجده في موطن آخر يذهب مذهب «افلاطون» فيقول أن الإنسان جندي من جنود الله، وأنه يشغل مقاماً، من الأجرام الفظيعة أن تخليه بإرادته. أما افلوطين السكندري، وفرفوربوس الصوري، فكلاهما ينحى على الانتحار بأقصى ما بلغ مستطاعهما.

(٥) Regulus — ماركوس أنيليوس رجيولوس — كان قنصلاً رومانياً سنة ٢٦٧ ثم سنة ٢٥٦ ق م. هزم الاسطول القرطاجي ونزل إلى البر فاتصر أولاً، ثم هزم هزيمة حاسمة وأخذ أسيراً سنة ٢٥٥ ق م. وظل في الأسر خمس سنوات حتى اضطرت الظروف أهل قرطاجنة إلى طلب الصلح، فخلّى سبيله على كلمة الشرف، وعاد إلى روما مع البعث البوني. ثم نجح في أن يجعل السناتو على عدم الأخذ بمقتراحات البعث البوني الذي فاوض في الصلح مع قرطاجنة. ونفّى الأسطورة في القول بأنه عاد إلى قرطاجنة فقتل وقسا أهل قرطاجنة في قتله تحت تأثير آلام يمس على الذهن تصورها (٦) راجع آدم سميث في كتابه «العواطف الادبية»



غير انه على الرغم من هذه الاقوال، فان فكرة الانتحار عند القدماء تختلف في اساسها وجملتها عن الفكرة عندنا فيه. فان اجازة الانتحار وتبريره، فكرة تنقلت على مدى العصور القديمة في اكثر مدارس الفلسفة ومذاهب الفكر، وحتى المدارس التي انحت على الانتحار وقاومته، فانها لم تبلغ من النظر في الانتحار مبلغ الشناعة التي تراها فيه المدارس الحديثة. ولقد كان هذا راجعاً في العصور القديمة الى ما ادرك القدماء من ظاهرة الموت، وما كوّنوا حولها من أفكار ومعتقدات. وكذلك لا يجب ان يغيب عنا ان جماعة من الجماعات البشرية، ان اجازت الانتحار، فان الفعل ذاته، ما دام قد اجيز، يفقد كثيراً من الفكرة الاجرامية التي تحوم حوله في عقول المحدثين. وحتى الذين يعتقدون ان الالم الذي ينزله الانتحار بمن يلوذون بالمتنحر، لا ينحصر فيه كل ما يدركون في الانتحار من جرم، يسلمون بدنياً انهم يمتقون الانتحار باعتباره من كبار الاثم. هذا في حين ان اعتبار الانتحار من كبار الاثم، لم يبق مطلقاً في عقول الاقدمين فان « ابيقور » مثلاً قد حرض الناس على ان « يوازنوا بدقة ويفاضلوا بين ان يأتهم الموت، وبين ان يذهبوا للموت بانفسهم ». ولقد انتحر كثير من اتباع « ابيقور » أمثال « لو كريبطوس » — Lucretius — شاعر الرواقيين المعروف، « وكاسيوس » — Cassius — وكان داعية شديد الوطأة ضد الطغاة يدعو الى قتلهم، و« أتيكوس » — Atticus — صديق شيشرون الخطيب الاشهر، « وبترونيوس » — Petronius — الشهواني الخليع، و« ديودورس » — Diodorus — الفيلسوف. أما « بلينيوس » — Pliny — فقد ذهب الى ان حظ الانسان من حيث قدرته على التخلص من الحياة، يفوق حظ الخالق، في ان للانسان قدرة على ان يذهب الى القبر باختياره، بل قال بانه من اكبر البراهين على كرم العناية القدسية، انها حبت الناس بكثير من صنوف الاعشاب المسمة التي يجد فيها المتعبون والمترمون بالحياة، موتاً سريعاً لا ألم فيه. ومن الشخصيات العجيبة التي يذكرها شيشرون عرضاً في خلال كلامه، شخصية « هجيسياس »<sup>(٧)</sup> — Hegesias — الذي نعتته القدماء بانه خطيب « الموت ». فانه على الرغم من اعتناقه المذهب السيريبي<sup>(٨)</sup>

(٧) خطيب يوناني عاش في القرن الثالث قبل الميلاد ويدعى هجيسياس المغنيسي — Hegesias of Magnesia — والف كتاباً في تاريخ الاسكندر المقدوني (٨) — الفلسفة السيريبيية وضعها الفيلسوف اليوناني ارستيبوس — Aristippus — السيريبي (٤٣٥ — ٣٦٠ ق م) فالمذهب منسوب الى مسقط رأس واضعه. وكان من اصحاب سقراط. وعلم ان الخير الاكبر ينحصر في تحصيل لذة الساعة، وان كل الاشياء الاخرى ذات القيمة في الحياة يجب ان تستخدم في سبيل ذلك. غير انه علم بجانب هذا ان الفلسفة والحكمة في استطاعهما ان يحررا الانسان من المتاعب الطبيعية



Cyrenaic في الفلسفة ، وهو مذهب يجذب الملاذ على اعتبار أنها الغاية العليا للكان العاقل المفكر ، قد علم أن الحياة مليئة بالمناعب ، وأن ملاذها وشيكة البقاء سريعة الزوال ولا حقيقة لها ، وأن الموت هو أسعد نهاية يمكن أن يبلغ إليها الإنسان . ولقد كان له من بلاغة التعبير وفصاحة اللسان ، ما مكنه من أن ينثر حول القبر من صور الترف والشغف ، ما جعل أتباعه يتسابقون إلى الوصول إلى الغاية من مذهبه ، حتى لقد تحرر كثير منهم بالموت من اكدار الحياة . ولقد انتشرت العدوى انتشاراً اضطر معه بطليموس ، ملك مصر أن ينفي الفيلسوف من مدينة الاسكندرية

غير أن فكرة الانتحار لم تباع مبلغها الأقصى إلا في عصر الامبراطورية الرومانية ، وعند رواقى الرومان ، حيث تحيزت فكراتها ومحددت صورتها الفلسفية . فنذ عهد من الزمان عهيد ، كانت فكرة التضحية بالذات ، كما فعل « كورتوس » <sup>(٩)</sup> ودبسيوس <sup>(١٠)</sup> قد حُبِّذت في بعض الاحوال كطقس من الطقوس الدينية ، وأن هذه الفكرة قد انتقلت بالقاح من الأزمان الاولى عن عادة التضحية بالخالق البشرية ، كما ذهب بعض الكتاب <sup>(١١)</sup> . وفي اواخر العصر الوثني تجمعت اسباب كثيرة قادت الناس إلى الاخلاص لفكرة التضحية بالذات . فإن مثل « كاتو » <sup>(١٢)</sup> الذي أصبح المثال المقتدى به عند الرواقين ، والذي كان انتحاره مورداً عذباً لبلاغتهم ومنهلاً يستقون منه فصاحتهم ، ثم مشاهد المصارعين بالسيف والاسرى الذين كانوا يقتلون انفسهم على مشهد من الناس بأن يغمدوا استنهم في رقابهم ، أو اتباع وسائل اخرى اشد نكايه وأفظع مورداً ، في سبيل « الحرية » ، وتلك العادة التي كانت تضطر المجرمين السياسيين ان ينفذوا بأنفسهم الاحكام التي تصدر ضدهم ، مضافاً إلى ذلك استبداد القياصرة وقسوتهم — جماع هذه الظروف جعلت للانتحار تلك القيمة الكبيرة في العصر الروماني . ولن نجد من الاشياء الدنيوية ما هو أكثر مساً للقلب من ذلك الجذل الشعري الذي استمسك « سنيكا » بأهدابه في عصر « نرون » المستبد الروماني ،

(٩) شاب روماني نبيل يدعى كينتوس كورتوس Quintus Curtius يقال انه في سنة ٦٣٢ ق . م . تردى راكباً على ظهر جواده في هوة ظهرت في الفوروم Forum الروماني ، وقد اعلن النجمون انها لن يملاً قراغها إلا بأمن شيء في روما

(١٠) امبراطور روماني ولد حوالي سنة ٢٠٠ ق . م . (١١) راجع كتاب السر « كورنيل لويس »

The Credibility of Early Roman History

(١٢) كاتو الاصغر - Marcus Porcius Cato - ولد سنة ٩٥ ق . م . ولما بلغه انتصار قيصر الحاسم في موقفه ثابوس - Thapus - سنة ٤٦ ق . م . - فضل أن يموت على أن يسلم ، فأمضى الليلة الاخيرة من حياته يقرأ كتاب « فيدون » تأليف افلاطون ، ثم انتحر بأن اعتمد خنجره في صدره . وكان في سنة ٦٧ ق . م . قد احضر معه من بلاد اليونان الفيلسوف الرواقى أئندوروس Athendorus



على اعتبار أنه الملجأ الأخير للمستبد بهم وللمظلومين ، والنهاية الحلوة التي يشدها العقل المضطرب الثائر ، قال : —

« بالموت وحده تعرف ان الحياة ليست عقاباً ، واني لاقف قوي الاصلاح تحت انواء الحظ والاقدار ، اذ استطيع ان احتفظ بعقلي غير مضطرب ، وان امضي به سيداً لنفسه . لان لديّ الملاذ الاخير . ولقد ارى الخلعة وارى السندان ، وغيرها من آلات العذاب مهيأة لان تلقم كل طرف من اطرافي وكل عصب من اعصابي ، غير اني ارى الموت ايضاً بجانب هذه الآلات . انه — اي الموت — يقف بعيداً عن ان تناله ايدي اعدائي المتوحشين وقصبا عن ان تمتد اليه قدرة عشيرتي . ان العبودية لتفقد كل ما فيها من مرارة ، ما دمت قادراً بخطوة واحدة ان اصل الى الحرية ، ومن كل متاع الحياة ، لي في الموت مهرب وملاذ » — « اينما ادرت بصرك رأيت رذائل ودنايا . وانك لترى ايضاً تلك الهاوية السحيقة . ففيها تستطيع ان تهبط الى الحرية . انك ترى البحر وذاك النهر وتلك البئر ، ففي قيعانها تسكن الحرية . هل انت تنشد طريق الحرية والخلاص ؟ انك لتجدها في اي شريان من شرايين جسدك الزائل » — « لو خيرت بين مئة عيفة ، واخرى هينة لينة ، فلماذا لا اختار الثانية ؟ وكما اختار السفينة التي اخر بها العباب ، والمنزل الذي اعيش فيه ، كذلك استطيع ان اختار الميته التي افارق بها الحياة . وليس من شيء يجب ان نكون اكثر حرية في اختياره ، منا اذا اردنا ان نموت بطريقة ما . فارق الحياة بالطريقة التي توحى اليك بها قواسرك كيفما كانت . بالسيف او بالحبل او بالسهم يسري في شرايينك . اقتحم طريقك وحطم سلاسل العبودية . يحاول الانسان في حياته ان يحوز ما يستحسن غيره . اما ميتته فذلك امر له وحده حق اختياره . ان القانون الابدي لم يدع من شيء اروع من ان للحياة مدخلاً واحداً ، في حين ان لها مخارج كثيرة . لماذا احتمل آلام الامراض ، وقساوة الاستبداد الانساني ، اذا كنت قادراً على ان احرر نفسي من كل اوجاعي ، وان التي بعيداً كل الاصفاذ والقيود ؟ لهذا السبب وحده ، ارى ان الحياة ليست شراً ، ما دام كل انسان غير مضطر لان يعيش . ان الانسان لسعيد ، طالما انه لا يعيش شقياً الا بارادته . اذا حسنت لديك الحياة فعش ، اما اذا لم تحسن لديك ، فلك الخيار في أن تعود من حيث اتيت »

من هذه الفقرات التي اختيرت من كثير من اشباهها ، تدرك اي حد بلغت شهوة اكبر ممثل للمدرسة الرواقية واعظم رجالها تأثيراً في العصر الروماني ، في الدفاع عن فكرة الانتحار . ولقد اعتبر القانون الروماني الانتحار كحق عام . غير انه قيده بعد بقيدين



اثنين لا قيمة لهما . فقد جرت العادة بين الرومانيين ان ينتحر منهم كل من توجه اليه تهمة سياسية قبل ان يقدم للمحاكمة ، ليتقي بذلك التمثيل بجهته ومصادرة املاكه . غير ان الامبراطور « دومتيانوس » قد اوصد هذا الباب بأن قضى بأن انتحار اي شخص لا يحلّيه من المسؤوليات التي تترتب على اتهامه ، ثم جاء « هدريانوس » فجعل انتحار الجندي الروماني مساوياً في الجريمة لفراره من صفوف الجيش . وفيما عدا هذين القيدتين كان الانتحار حقاً مباحاً ، يزاوله من اراد بالطريقة التي تحلّوه ، وللبواعث التي يراها كافية لان تجعل تخلصه من الحياة نعمة في نظره . فان انتحار « أوتو » — (١٣) Otho الذي فضل ان يفارق الحياة على ان تكون حياته سبباً في وقوع حرب أهلية أخرى ، كان في نظر المؤرخين وكتاب التراجم ، حادثاً يبلغ من العظمة والسمو مبلغ انتحار « كاتو » . وفي حروب « داسيا » المعروفة The Dacian Wars في تاريخ الرومان ، اسر قائد معروف اسمه « لونجينوس » (١٤) — Longinus — فحاول الاعداء ان يتوصلوا الى شروط مجحفة من الامبراطور « ترايانوس » — Trajanus — لتلقاء فك إيساره . غير ان القائد انتحر ، ليعطي للامبراطور الحرية في عدم التقيد بشروط مجحفة ثمناً لحياته . ولما انتحر « أوتو » تقدم نحو جثته عدد من جنوده الذين اخلصوا له وانتحروا امام الجثة الهامدة ، كما فعل احد عبيد « أغريпина » (١٥) — Agrippina — اثناء جنازة الامبراطورة

على هذا كانت الفكرة في الانتحار عند الرواقين في العصر الروماني الوثني . اما في المصور الحديثة فليس لهذه الحالات من مثاليات الا مثل الاميرال « توجو » الياباني — الذي انتحر امام جثة الامبراطور عند موته مظهراً بذلك انه اخلص للمسيك وبلاده الى الموت ، اي الى اقصى الحدود التي يمكن لفكرة التضحية البشرية أن تبلغها . وهذه مشاعر صادقة بحسب ان نقف امامها بقلوب مليئة بالاكبار والاعجاب ، لان الانتحار في ذاته وان كان فعلاً قاسياً ، الا أن بواعثه في مثل حالة كاتو ولونجينوس وتوجو ، لبواعث فيها من معاني الرقي الانساني ما يفوت الاقلام وصفه او تصويره [ ابن طفيل ]

(١٣) اوتو Marcus Salvius ولد سنة ٣٢ بعد الميلاد وعاون « غالبا » Galba في ثورته ضد نيرون ( ٦٨ ب م ) واعترف به امبراطوراً في كل أنحاء الامبراطورية الرومانية ، ما عدا جرمانيا ، التي زحف منها فيقيلوس Vitellus على ايطاليا وهزم قوات « أوتو » هزيمة حاسمة ، فانتحر « أوتو » في اليوم التالي لهزيمته بعد ثلاثة أشهر من ارتقائه عرش القياصرة ، ليتفادى حرباً أهلية (١٤) في الحرب اليابانية الروسية الاخيرة انتحرت والدته بجور لثلاث يكون بقاؤها في الحياة مانعاً بمنع ولدها الاوحد عن الذهاب الى ساحة القتال ليقوم بواجبه نحو وطنه (١٥) أم الامبراطور نيرون الروماني ، قتلها ابنها سنة ٥٩ بعد الميلاد





## اشعة اكس تلف شمارها

وتدخل ميدان الصناعة

نار مشبوبة في معمل من معامل تكرير النفط تلتهم الاخضر واليابس وتفنك بالخشب والحديد على السواء ! في المعمل يستخدم ضغط عظيم لتحويل النفط الخام الى غازولين — وتحت تأثير هذا الضغط انفصمت قطعة في الآلة، واذا انفجار مروّع، وبركان من اللهب، ومئات الالوف من الجنيهات تذهب الى الفضاء ناراً ودخاناً

وقد بلغ من كمال التدمير الذي تم في المعمل ان صهرت كل القطع المعدنية فلم يبق منها ما يستدل منه على سبب الكارثة . ولكن الشركة تملك معامل اخرى كهذا المعمل، وكارثة مماثلة في معمل ثان نكبة لا تقوى الشركة على تحملها فكيف تستطيع ان تحتجها ؟ مضى المهندسون يبحثون ويمتحنون فلم يجدوا شيئاً غير طبيعي فيما تناولوه من اجزاء الآلات . واخيراً ظنوا الظنون بعمود من الصلب . فقد كان يبدو متيناً ، فامتحنوه بكل وسائل الامتحان الطبيعية فلم يروا فيه ما يؤيد ظنونهم . على أنه كان يشغل في قلب المعمل ، حيث بدأ الانفجار ، مركزاً ممتازاً . فقالوا اذا كان ثمة ضعف خفي فيه ، فهو كافٍ لاجداث نكبة كالنكبة التي دمرت المعمل الاول . فقرروا ان يمتحنوا داخله

كانت الطريقة الوحيدة لامتحان داخل قضيب من الصلب ، ان تقطعه قطعاً وتنظر الى داخله ، ولكن ما الفائدة من عملك . لانك بعد ما تتأكد من متانة بنائه الداخلي — او ضعفه — تكون قد دمرت القضيب فلا تستطيع ان تستعمله ثانية . فهذه الطريقة

في الامتحان انما هي كاشعال عود كبريت لتعلم هل هو يشتعل او لا ومهندسو هذه المعامل لم يرقهم تقطيع هذا العمود لانه ثمين ولان صنع آخر يحل محله يقتضي وقتاً — والوقت ذهب — فبعثوا به الى معهد حكومي كان قد مضى عليه زمن قصير وهو يستعمل اشعة اكس في امتحان اجزاء الصلب في عربات المدافع . فمهد المدير الى احد خبائمه في امتحان هذا العمود وبعد بضعة ايام اخرج له صوراً بالاشعة ( راديوغراف ) . فلما اطلع عليها المهندسون سرى في نفوسهم الملح ، ان



رأوا فيها ، خطأ اسودمراً في قلب العمود — ورآهم الخبير مذعورين فقال لهم . هذا الخط يدل على وجود شرخ داخلي

شرح في عمود يجب ان يحتمل ضغطاً يقدر بالاطنان ! كان هذا العمود مثار ظنونهم ، ولكنهم لم يصدقوا الصور حتى رأوا بعيونهم ، اذ قطعوا العمود قطعتين وهناك وجدوا الشرخ كما دلت عليه الصورة . بعد ذلك لم يسمح مهندسو الشركة بوضع قطعة من الصلب في مكان معرض للضغط الشديد الا بعد امتحانها باشعة اكس

قد يعجب بعض القراء اذ يرون هذه الاشعة النافذة التي يستعملها الجراح في استطلاع كسر في العظم ، وطبيب الاسنان في الكشف عن علة خفية في سن او ضرس قد لفست شمارها ونزلت الى ميدان الصناعة . على ان الفكرة ليست جديدة في حد ذاتها ولكن تطبيقها جديد

\*\*\*

فقد اشار مكتشف اشعة اكس نفسه — رنتجن — الى امكان استخدامها في الصناعة إذ وصف الرسالة الاولى التي نشرها في هذا الموضوع سنة ١٨٩٠ بعض الاجسام التي كان قد صورها وبينها « قطعة من المعدن نستطيع ان نتبين عدم تجانسها باشعة اكس » وهذا هو العمل الذي يقوم به خبراء الاشعة في الدور الصناعية الآن لامتحان متانة الاجزاء المعدنية في الآلات المختلفة . وخير لاصحاب الصناعات ، في عصر يستعمل فيه ضغط شديد وحرارة عالية ، وسرعة عظيمة ، ان يكشفوا عن مواطن الضعف في آلاتهم ، قبل استعمالها وقد جلبت لنا الحرب الفائدة الصناعية التي تحبى من اشعة اكس من حيث هي اداة كشفة للاسرار . ففي مدينة جالفتستون في الولايات المتحدة الاميركية ، كان التجار يصورون بأشعة اكس كل بالات القطن الصادرة الى المانيا لكي يثبتوا لرجال الحكومة انها لا تحتوي على نحاس أو أية مادة اخرى من البضائع الممنوع تصديرها ، ولما خاضت الولايات المتحدة الاميركية غمار الحرب ، شرع رجالها يستعملون اشعة اكس في معامل الذخيرة الحربية لامتحان القنابل والمقذوفات المختلفة ، ليثبتوا ان اجزاءها تامة البناء والتركيب . ثم بعد رزمها وتعبئتها في صناديق وتسليمها للشحن ، كانت تتمحن من جديد للكشف عن أي نقص أو سرقة فيها

وفي أثناء ذلك ، بل وقبل ذلك ، كان علماء أوروبا معينين بدرس هذا الموضوع درساً علمياً ومعظم ما يعلم عن استعمال اشعة اكس في شؤون الصناعة انما يعود الى مباحث العلماء البريطانيين ، بولن وكاي ونوكس ومساعدتهم في قسم المباحث العلمية بوزارة الحربية ففي أحد الايام انقصمت ذراع في طيارة جديدة وُرِدَّت مع طيارات كثيرة من مصنع



واحد . ولدى البحث ثبت ان الانقصام في تلك الذراع حدث في مكان منها حيث حُفِر ثقب خطاء ثم ملى صلباً وصقل حتى لا يتبينه عين الخبير مهما دقق النظر . فاخذت كل الاذرع المقابلة لها في الطيارات الاخرى وامتنحت بأشعة اكس فثبت ان جانباً كبيراً منها كان فيه هذا الثقب المردوم فغيرت كلها منعاً لانقصامها في أثناء الطيران أو النزول الى الارض ودرءاً للنكبات التي تنجم عن ذلك

ولا تستعمل أشعة اكس في امتحان الاجزاء المعدنية فقط ، بل في امتحان القطع الخشبية كذلك . فتمه شق في دقل من الادقال ، صقله الصانع بالسبناذج فلم يبد لعين الخبير المدققة ، فلما صور الدقل بأشعة اكس بدا الشق خطاً قائماً في الصورة فلم يستعمل الدقل في الغرض الذي صنع لاجله . ثم ان قطع الخشب قد تحتوي على مواطن ضعف اخرى تنشأ عن عقد خفية أو جيوب صمغية أو ثقوب تنقرها الحشرات داخل الخشب . كل ذلك تبديه أشعة اكس ، فانه لا يخفى عن بصرها النافذ

وصناعة الطيارات الحديثة تفقد وسيلة من افيد وسائلها اذا جرّدت من أشعة اكس لذلك ترى الطيارين يلحسون في امتحان كل جزء من اجزاء طياراتهم بها . قاله الطيارة «برمن» التي طارت من المانيا الى شمال اميركا امتنحت كل اجزائها بأشعة اكس ، قبلها غامرت في خوض الهواء فوق عباب المحيط الاطلنطي من الشرق الى الغرب . ومعظم صنّاع الطيارات لا يقبلون ان يتسلموا أجزاء تصنعها معامل اخرى إلا بعد امتحانها بهذه الاشعة الخفية وما يقال في صناعة الطيارات ينطبق على صناعة السفن . نضرب على ذلك مثلاً باليخت «انربريز» الذي بارى «شمروك» بخت السير توماس لبتن ، فانه في أثناء بنائه كان القائمون عليه يمتحنون كل جزء من أجزائه بأشعة اكس قبل تركيبها في جرم اليخت وفي احد المعامل الاميركية التي تصنع مراجل للالات البخارية ، بنيت آلة نقالة للتصوير بأشعة اكس تنقل من مكان الى آخر في المعمل لتصوير المراحل التي يتم بناؤها ، ولا يخرج مرجل منها الا اذا أثبت انه سليم

\*\*\*

ولا تحصر فائدة أشعة اكس الصناعية في ما تقدم ، بل هي تستعمل في معامل الحين لمعرفة حجم الجيوب في داخل أفراس الحين ومكانها كأن ذلك من مقتضيات الحين الفاخر ، وفي معامل المطاط وما يصنع منه للثبث من الانظام الداخلي في كرات «الجولف» وسلامة بناء العجلات للسيارات ، ونفي الشوائب المعدنية من نفايات المطاط قبل صهره من جديد ، وفي مصانع الانابيب المفرغة وأسلاك التلفون وغيرها — في كل ذلك للكلمة التي تقوها أشعة اكس المقام الاعلى



وكل فن من الفنون يستمد من أشعة اكس عوناً كبيراً . ففي مؤتمر خبراء الفن الذي عقد في رومية سنة ١٩٣٠ تحت رعاية جمعية الامم صرح الدكتور پول جانز انه كشف بواسطة اشعة اكس صورة ثمينة لهوليين تحت صورة سخيفة لا قيمة لها . فاعلام المصورين القدماء كانوا يستعملون اصباغاً معدنية ، وهي اكتف من الاصباغ النباتية التي تستعمل الآن . فاذا اخذت صورة قديمة ورسم فوقها صورة محدثة ، أو غيرت معالمها اضافة ونحويلاً ، أمكن أن يعرف كل ذلك بتصويرها بأشعة اكس <sup>(١)</sup>

ومن أغرب ما استعملت له هذه الاشعة في سبيل الفن أن جيء بآنية برنزية قديمة من العراق الى اميركا ، فرغب صاحبها في ترميمها ، وكانت لقدمها تلوها طبقات من الرمل والدلفان الجاف والصدأ . والنجاح في ترميمها بطريقة التليس الكهربائي مرهون بمعرفة ماهو باق تحت هذه الطبقات من معدنها الاصلى . فصورت بأشعة اكس ، وبهذه الصور اهتدى الخبراء الفنيون في القيام بما يحسب ترميماً موفقاً

وقد استعمل رجال البوليس اشعة اكس في البحث عن لصوص الجواهر . ولا يخفى ان بعض العمال في مناجم الماس في جنوب افريقية يبلعون ، احياناً ، الماس لسرقته . فاستعملت اشعة اكس للكشف عنه في معدمهم او امعائهم . وضاع مرة خاتم ثمين في حديقة حيوانات في انكلترا ، فظن ان الفيل ابتلعه فصوّر الفيل ووجد الخاتم داخله

وقد حار علماء الاحياء من عهد قريب في مرض يصيب صنفاً من السمك في نهر النيو بالولايات المتحدة الاميركية ، فلما عجزت طرق التشريح والتشخيص عن معرفة العلة الخفية ، صوّرت الاسماك المصابة بهذه الاشعة فتمكن الباحثون من معرفتها على حقيقتها . أما استعمال اشعة اكس في تشخيص بعض الامراض التي تناب الانسان فاشهر من أن تحصى وخصوصاً في الشؤون الجراحية

وقد استعملت حديثاً هذه الاشعة في اتقان وسائل اللحام الكهربائي . فقد وجد مثلاً انه اذا كانت قوة القوس الكهربائية من درجة معينة كان اللحام على أتمه . فاذا زادت قوته أو نقصت ظهرت في مكان اللحام ثقب ومسام داخلية تضعف الفلز . وهذه الثقوب تكشف بصور الاشعة ( الراديوغراف ) كما اكتشف الشرخ في العمود المذكور في صدر المقال . وقدمضى المهندسون في تصوير القضبان الملحومة لحاماً كهربائياً بواسطة قوى متفاوتة من القوس الكهربائي حتى توصّلوا الى درجة الحرارة التي يكون اللحام عندها على أتمه



# التطور الاجتماعي والسياسي الحديث

في الشرق الادنى

خلاصة المحاضرة التي ارسلها الدكتور عبد الرحمن شهنندر بالانكليزية على بعثة  
خريجي جامعتي اكسفورد وكامبردج في نزل الجامعة الاميركية في القاهرة  
في الثامن والعشرين من يوليو سنة ١٩٣١ فكان لها وقع كبير عندهم

سيداتي وسادتي : قال احد رجال التصوف من العرب المتقدمين ما خلاصته : ( اعربنا  
في كلامنا فلم نلحن ولحننا في اعمالنا فلم نعرب ) وانني لأرجو انه اذا كان لا بد لي من  
اللحن ان يكون لحن في الكلام وتركيب الجمل لا ان يكون في الافكار والشعور  
ان انواع التطور في الامم من اجتماعي وديني واخلاقي وسياسي واقتصادي هو الى  
درجة بعيدة تلك الظواهر والعلامات الدالة على الطريقة الحيوية ذاتها التي تنمو بموجبها  
الاقوام ويتألف بحسبها كيانها الاجتماعي . وما اشبه هذه التطورات المتنوعة بالمصاييح  
الكهربائية ذات الالوان المختلفة المعلقة في الثريا الواحدة فانك اذا ماضغت على الزر الكهربائي  
ووصلت الجرى لاثبت ان ترى هذه المصاييح جميعاً قد اشتعلت وان لم يكن اشتعالها على  
نسبة واحدة ولون واحد

ولا بد لي اذا اردت ان ازودكم بنظرة شاملة تتناول الشرق الادنى في انقلاباته الحديثة  
من تقسيم التاريخ الذي اعجله الى ثلاثة ادوار على طريقة أمة التاريخ فأقول : « التاريخ  
القديم » و « التاريخ المتوسط » و « التاريخ الحديث » وتاريخنا القديم بالمعنى الذي نهجته  
هو تاريخ السلطان عبدالحميد العثماني واستشاره بالملك . واما التاريخ المتوسط فهو تاريخ الانقلاب  
العثماني الذي تم في شهر يوليو سنة ١٩٠٨ والتاريخ الحديث يبتدىء منذ اعلان الحرب العالمية الى اليوم  
واسمحوا لي الان ان اصف لكم العصر الحميدي وصفاً موجزاً واذين لكم الاسباب  
التي دعني الى تسميته بالتاريخ القديم :

ان معظم الشؤون التي قرأتم خبرها في تاريخ الاعصر الماضية تنطبق من اوجه عديدة  
على العصر الحميدي فهناك اتحاد في السلطين الدينية والدنيوية وكان الخليفة يدعى ظل الله  
في الارض وتمثل فيه هاتان السلطان تمثيلاً يشبه من اوجه عديدة ما كانت عليه الحال  
في اوربا على عهد البابوية . وكان انصار الخليفة بالاجمال اعياناً من الطبقة العظيمة وضباطاً  
من امراء الجيش ورجالاً ينتسبون في مظاهرهم ووظائفهم الى خدمة الدين فكان الخليفة



والحالة هذه قابضاً على ناصية الحال وكانت المراقبة على المطبوعات ، ولا سيما الكتب التاريخية والسياسية والاجتماعية ، ثقيلة لا تحتمل . واضرب لكم على ذلك مثلين يدلانكم على الذهنية التي كانت مخيمة في تلك الايام الواحدما وقع لي شخصياً والاخر ما سمعته من احداث اتذني كنت ذات يوم وانا تلميذ في الجامعة الاميركية في بيروت في مجلس وبجاني وكيل مراقب الصحف وهو شاب انيس من اصل دمشقي فرأيت بيده مجلة عربية يتصفحها فاذا المجلة هي مجلة « المشرق » للآباء اليسوعيين في بيروت وفيها بحث طريف عن الاسد والاستدلال على وجوده في ديار الشام . فظننت لأول وهلة انه كان ينعم النظر في هذه المقالة لتحقيق موضوعها لكنني فهمت منه انه كان يراقبها ليرى هل فيها ما تؤاخذ عليه المجلة من العبارات فأحببت أن اداعبه فقلت له انظر ان في هذه المقالة كلمة خيفة فان الكاتب يصف الاسد بقوله «سلطان الحيوانات» افيجوز ان تطلق كلمة سلطان ياترى على غير سيدنا الخليفة الاعظم ؟ فامتقع لونه وارتعشت اطرافه وقال ماذا ينبغي ان يكتب اذن ؟ فقلت له « امبراطور الحيوانات » فضرب على «سلطان» ووضع مكانها « امبراطور » لأن هذا من ألقاب الافرنج ! واما الحديث الثاني فان تلميذاً انتهى دروسه في البلاد العثمانية ثم قضى سنتين في اوربا في الدرس والتتبع ولما عاد كان يحمل في حقائبه الدفاتر التي جمع فيها ملاحظاته الفنية وفي احد هذه الدفاتر معادلة كيمياوية ورد فيها تركيب الماء بالصيغة العنصرية المعروفة «هيدورجين اثنان في اوكسجين واحد» وهي تكتب بالاختزال اللاتيني ( $H_2O$ ) فلما اطالع عليها الرقيب امر بتوقيف التلميذ بتهمة القذف في الذات السلطانية إذ أنه قال ان حميد الثاني ( $H_2$ ) هو رجل صفر لاقيمة له ( $O$ ) ولولا تدخل اناس من اهل العلم والفن ما كان خلاص هذا المسكين هيناً . ومن الاسف الذي ما بعده اسف ان الارهاق الذي تشن منه بلادنا في هذا العهد بسبب الاستعمار يحمل الكثير من ابنائها على الترحم على العهد الحميدي مع ما فيه من ترهات القرون الوسطى . ولكن ليس من السداد ان يحن الناس الى امراضهم القديمة بسبب الامراض الحديثة التي يعانونها

وان اكبر فضيلة يدعى اليها الناس في عصر الاستبداد ودور الاستعباد هي الطاعة والانقياد واعظم رذيلة ينفرون منها هي الاستقلال بالرأي وكثيراً ما اطلق اهل المنافع واتباعهم على هذا الاستقلال الفكري كلمة « الانشقاق » او « الخروج على الجماعة » لتقيحهم وتغيير الناس منه . ولم يعدم السلطان عبد الحميد من يفسرون له الآيات والاحاديث تفسيراً ينطبق على ارادته ويألف مع طراز حكمه لان التفاسير الدينية في الحكومات الاستبدادية كثيراً ما تستلهم وحيها من الظروف السياسية واوهام الحكام ، واذكر ان شهيداً من شهداء العرب المشهورين هو السيد عبد الحميد الزهراوي من مدينة حمص في سورية الف في سنة



١٩٠١ رسالة في الإصلاح الديني اعتمد فيها على اجتهاده الشخصي ومن الموضوعات التي طرقها وحمل عليها حملة شعواء اشتغال علماء الكلام عندنا في تلك الايام بجواز بيع العبد او بيع يده او بيع اصبعة كما يبيع الرجل حجرة من بيته مثلاً فقال ان الرق أصبح ملغياً بالصورة الرسمية فلا مجال والحالة هذه لبيع العبد كله فما بالك ببيع يده او بيع اصبعة ! عدّ المشتغلون بالكلام هذا النقد خروجاً على الدين فهو لذلك خروج على الخليفة الاعظم فقبض الوالي على السيد الزهراوي وعلى من اشتبه فيه انه من شركائه في التأليف فأصابني من ذلك رشاش ولولا صغر سني لسافرت مع السيد الزهراوي منفياً ومكبلاً بالحديد وقصارى القول ان الروح التي خيمت على تلك الادارة العتيقة كانت مشبعة بالسعي لحجز الناس في حجرات منيعة على النور بيد أن الاشعة الاولى التي اخترقت الجدران الكسيفة التي يمش وراءها السلطان اظهرته بهيئته المربعة وثوبه القشيب وهكذا شأن النور في كشف الظلم فان الجزء منه مهما كان صغيراً يكفي لتبيان معالم الطريق على من كان يتخبط في الدياجي

❖ الانقلاب الخطير في سنة ١٩٠٨ ❖

كانت الشعوب العثمانية مستغرقة في نومها على فرش وثيرة من استسلام وغرور وتصديق فأفاقت فجأة في صباح اليوم الرابع والعشرين من تموز سنة ١٩٠٨ على قرع طبول الحرية وانفجار سدود الاستبداد وكانت الاصوات تتعالى من هيئات جمعية « الاتحاد والترقي » السرية بان الشعب العثماني أصبح حراً مختاراً في تنظيم نفسه وتأليف حكومته منه وفيه واليه ولما كان حكم السلطان عبد الحميد القاهر قائماً على الزعم بأنه شخص مقدس يكاد يكون موجوداً في كل وجود وعالم بكل شيء ومسخرأ لكل قوة ففجزه عن اخضاع ثورة في الجيش ضئيلة ابتدأت في مكدونيا افضى الى سقوط ادارته الى الحضيض سقوطاً مريعاً وجميع الرأي القائل بقدسيته وعصمته وقوته الخارقة أصبح رأياً فاسداً ونظرية بالية لا جرم ان يكون هذا التغيير الدستوري من الوجهة الداخلية كما هو من الوجهة الخارجية ذا شان خطير من الطراز الاول . وفي الحق انه كان ثورة دينية اجتماعية كما كان ثورة سياسية وقد انتهت باتهامه تلك المباحث الكلامية وخمدت معه روح القرون المظلمة واصبحت الاقوام العثمانية من جرائه في بيئة جديدة واتجاه غير معهود

❖ وجهته الداخلية ❖

وما لم نخط بالادارة الجديدة على عهد فتیان الترك ونقدر شأن ثورة سنة ١٩٠٨ قدرها فمن المتعذر علينا ان ندرك التغيرات الاجتماعية الطارئة في الشرق الادنى في الالة الحاضرة والخلاصة ان ثورة ١٩٠٨ هي مفتاح سر الموقف الحاضر فقد عشنا على عهد السلطان او الخليفة في جو مشبع بروح الجامعة الدينية المخدرة



فبقيت العناصر العثمانية المهمة في حالة خضوع اختياري . ولكن ظهور قتيان الترك على المسرح غير وجهة هذه السياسة لان هؤلاء الاحداث كانوا ثملين بفكرة الغرب القومية الوطنية فلما سعوا لتطبيق منهاجهم في تترك العناصر وخلق امبراطورية كبرى متجانسة احدثوا رد فعل في الشعوب العثمانية الاخرى وفي مقدمة هذه الشعوب يأتي الشعب العربي طبعاً . ولكي تقدرنا المدى الذي ساروا فيه من هذه الناحية اضرب لكم مثلاً من تقديسهم اتبلا وجنكيزخان وهولاكو وتيمورلنك وغيرهم من اداة التخريب العالمي والمجازر البشرية ووضعهم اياهم في مصاف زعماء العالم وانبياء البشر بل لم يتورعوا عن الاشادة بذكر عبادة طوران الوثنية ووضع الذئب الايض معبود القبائل الموغولية الاولى في مقابلة الاله الحي الفرد الصمد معبود الساميين هذا من الناحية الايجابية واما من الناحية السلبية فقد رأى هؤلاء الاتحاديون قتيان العرب عثرة كؤوداً في طريقهم فتحينوا الفرصة من اعلان الحرب العالمية للقضاء عليهم فبعثوا طاغيتهم احمد جمال باشا فنكل بهم تنكيلاً سيدقى حجة دامغة بيد العرب على مظالم الاتحاديين ومغارهم وانتهت هذه المأساة الفظيعة بالمشانق في سني ١٩١٥ و ١٩١٦ ومن اغرب ماسيلا حظها المؤرخ في الاعصر القادمة ان تجري هذه الفظائع باسم الانتصار للدين والدفاع عن الخلافة الاسلامية وفي اقل من عشر سنوات ان تطرد تركيا الخليفة من بلادها وتعلن المذهب اللا ديني الحر

كانت الغاية من الجامعة التركية ضم جميع العناصر الطورانية في الاناضول وتراقيا والقفقاس واذربيجان والتركستان تحت لواء جامعة عنصرية جديدة تحل محل الجامعة الدينية القديمة وأما النهضة العربية فكان هدفها ادارة لامركزية تحفظ للغة العربية كيانها وتقضي ببقاء جزء من الموارد الحكومية في البلدان العربية ليصرف على التعليم والمشروعات الاقتصادية المحلية . ولكن المشانق البست النهضة العربية ثوباً جديداً فجعلتها جامعة قومية سياسية على طراز الجامعة الطورانية وغيرها من الجامعات الحديثة

وهكذا أضفنا الى التاريخ الاجتماعي من قضيتنا التركية العربية مثالا آخر . على ان التوصل باسم الاخوة الدينية في الظاهر لاستثمار المنافع من الاقوام الاخرى في الباطن عمل محكوم عليه بالفشل . وان الصراع في مثل هذه المعارك ينتهي بتفوق الفكرة القومية

### ﴿ وجهته الخارجية ﴾

هذه بعض النتائج التي نتجت من الانقلاب العثماني من الوجهة الداخلية فلننظر الى نتائجها من الوجهة الخارجية : — تحينت النمسا فرصة الضعف الناشئ عن دور الانتقال من العصر الحميدي الى العصر الدستوري فاعلنت ضم ولايتي البوصنة والهرسك مما سبب امتعاضاً شديداً في الاوساط السلافية وكاد ينتهي بإعلان الحرب بين النمسا والصرب ولكنه على كل حال



مهّد السبيل لجناية بوضه سراي ثم اعقب ذلك فتنة جزيرة كريت والحقها ببلاد اليونان مما أثار المطامع الاوربية في « الرجل المريض » من جديد فوثبت ايطاليا على طرابلس الغرب وثبة فجائية فلما سبق لها نظير ثم تحالفت دول البلقان فشنت غارتها على البلدان العثمانية في القارة الاوربية في سنة ١٩١٢ وفي اليوم الثامن والعشرين من شهر حزيران سنة ١٩١٤ اغتال تلميذ صربي الارشيدوق فرديناند ولي عهد النمسا في مدينة بوضه سراي انتصاراً للجامعة السلافية فاكفهر وجه السياسة وكانت هذه الجناية الشرارة التي اولعت براميل البارود في الحرب الكبرى

### ❦ التاريخ الحديث ❦

وكان من نتائج هذا الاتجاه القومي الجديد ان الحسين بن علي شريف مكة عاصمة الاسلام أبى الانضواء الى الاتحاديين محركي النعرة العنصرية والسير تحت لواء « الجهاد المقدس » الذي اعلنوه ثم دخل في مذاكرات حلفية مع بريطانيا ووثق كل الثقة بالعهود التي قطعتها له لاعتقاده ان دولة معظمة خاضت غمار الحرب للدفاع عن معاهدة تتعلق بسلامة البلجيك لا تنزل للحس معاهدتها مع العرب بل كان يظن ان تحقيق الوطنية العربية قاب قوسين أو أدنى وقد مكّن هذه العقيدة في نفسه تأليف حكومة عربية وطنية في دمشق حافظت على النظام وراعت شؤون الحرية والاستقلال . ولكن بين عشية وضحاها هاجمتها اعظم دولة عربية على وجه الارض فما كسبت في سحقها شرفاً ولا خلّدت ذكراً وانما اقامت لنا الدليل على ان الاستقلال انما يؤخذ كما اخذه الترك . ولا مرأ ان وجود هذه الدولة المستحدثة ولد في قلوب الاهلين طمانينة وثقة بوعود اوربا وتقديراً لحرمة عهودها ولكن ما بنته الحكومة الوطنية بالجهد الجهميد على السنة الخطباء واقلام الكتاب هدمه الجزائر غورو برؤوس الحراب

### ❦ الحالة الاجتماعية والدينية ❦

ويمكنني ان اصف الحالة الحاضرة في الشرق الادنى من الوجهة الاجتماعية والدينية بأنها قد تكون في بعض الاقطار مجلى المتناقضات فهناك المذهب الوهابي السعودي يحاول السير وراء طريقة السلف . وهناك الحكومة التركية الكمالية المجددة . ومن الخطأ الفادح أن أحسب أن هذا التجدد في قيان الترك حديث العهد بل كان في عصر الاتحاديين وانما كان مستتراً تغطيه الدعايات السياسية فيكون الغازي مصطفى كمال باشا قد أزاح الستار وأظهر جرأة في الحرية تليق بقيمته الحرية

وبلاحظ الباحث ، على ذكر هذا ، ميلين ظاهرين في الشرق العربي ميلاً الى الجامعة الاسلامية وميلاً آخر الى الجامعة العربية وحيثما كانت البلاد متمتعة بالحرية مستوثقة من النجاة كانت الجامعة القومية متغلبة . ولما كان الحسين بن علي مليكاً على الحجاز مستقلاً



قال جملة تناقلتها الالسن في مختلف البقاع وهي : « لقد كنا عرباً قبل أن نكون مسلمين » ولا شك ان البسطة الاستعمارية الاوربية تقوي الشعور بالحاجة الى الجامعة الدينية بين المغلوبين على أمرهم

وكما يوجد في بلادكم رجعي ورجعيون كذلك يوجد عندنا مثلهم . ودلني الدرس والتتبع على أنهم أنشأوا في البلدان العربية الناهضة إجمالاً ردّ فعل على التحكم الاوربي والسيادة الاجنبية . وأعرف زعيم حركة في العالم العربي يقول بتقوية التعصب الاعمى مخلصاً من الاسر! مع انه شخصياً من كبار المتسامحين . بل ان الاحاد في المسلمين كثيراً ما يكون نتيجته التحمس في المبشرين . فالمبشر الذي لا همّ له الا الطعن في الاسلام والحط من قدر مؤسسه قد يحمل بعض المسلمين في آخر الامر على الانضمام الى صفوف الملحدن في أوربا وأميركا لمحاربة الدين جميعاً فيخسرهم الاسلام ولا تربحهم النصرانية وهذا لعمرى من الهدم الذي لامصلحة للاديان فيه . وأهل الاديان التوحيدية ( على ما يدعونه من الفروق فيما بينهم ) هم في سفينة واحدة فاما أن ينجوا معاً وإما أن يغرقوا معاً

وأرى بين الرجعي والاحاد مذهباً جديداً أنصاره يدعون في العالم الغربي « مقابلين » وهم الذين يبنون عقائدهم الدينية وأحكامهم المذهبية على درس الدين بطريقة المقارنة . ولا بأس أن آتسّن لكم ملاحظاتي هنا على كلمة « الطريقة الحديثة » في مقابل « الطريقة السلفية » يعني تكيف الدين بحسب الحاجة الجديدة أو تركه على ما كان عليه حرقياً . فالحدثة بهذا المعنى تخرج التاريخ ولا تنسجم مع روح العلم لأن المندفين في هذا التطبيق قد يعدلون ويفسرون ويحولون بما يخرجهم عن دائرة الحقائق التاريخية القطعية . على أنني اذا حرّمت هذه الكلمة علمياً فلا أحرّمها اصلاحياً واجتماعياً لان جانباً مهماً من الإصلاح الديني هو تعديل على النمط تحت تأثير الضرورة الملجئة الحاضرة

والطريقة التقابلية التي أشرت اليها تبني حكمها على التاريخ ولا تأخذ بعين الاعتبار التعديلات والاضافات والتفاسير الطارئة فالدين يجب أن يبقى وحدة تاريخية كاملة كما وضعه صاحبه وقيمتة قائمة على ما فيه من خصائص أصلية فقط لا على ما أصابه من زيادة أو نقصان على أن درس هذا التعديل هو من ألدّ الدروس واشتغل في الآونة الحاضرة باستخراج الدستور الذي يسير بموجبه وينقاد لحكمه فهو عنوان الشعور بالحاجة الى التغيير ويكون مقداره على نسبة هذه الحاجة ويدل من جهة أخرى على القوة الحيوية الكامنة في الدين الذي يفسره أصحابه على مقتضيات الطارئة كما يجري في النصرانية عند أنصار التوفيق من تطبيق النصوص على قضية الطلاق المدني الحاضر مثلاً وفي الاسلام على قضية تعدد الزوجات من غير أي نظر الى الحقائق التاريخية القطعية بل الغاية فيه المصلحة الاجتماعية كما يراها المفسر



قلت كما يراها المفسر لا كما هي في ميزان الحق لأن ما نظنه اليوم مصلحة فنفسر نصوص الدين بحسبه قديماً يوم رجع فيه الى النص الاصلي فتتمسك به لأنه يكون أقرب انطباقاً على ما نراه يومئذ حقيقة جليلة

ومن البديهي أن لكل دين من الأديان مزايا خلاصة قضت ببقائه . وقد تسألوني وأنتم قادمون من الغرب مقر النصرانية ماهي مزية الاسلام الخلاصة في نظرك فاقول مزاياه كثيرة واحلاها البساطة — تلك البساطة العجيبة التي زارها اليوم في مضارب البدو في

الصحراء فتعلاً ذهن الرجل الحكيم منا بجلالها وقلب الشاعر بجملها

وانا محدثكم عن الهداية في الصحراء كما شاهدتها مما يثبت لكم طرفاً من هذه البساطة ويعيد الى خاطر ذكريات العصر النبوي وكيف كان يحدث الانتقال من الكفر الى الايمان في يوم واحد . فقد زلت في صيف سنة ١٩٢٦ على ماء منقطع يبعد عن آخر المعمور نحو مائة كيلو متر يدعى الازرق فوجدت بيتاً من الشعر صغيراً فيه رجلان مختلفان جد الاختلاف في نظافتها والبستما وحديثها وان هما لم يختلفا كثيراً في سحتتهما وتكوين اعضائهما فسألتهما من هما فقالا اخوان شقيقان من قبيلة تدعى الشرارات فقلت لم هذا الاختلاف في المظهر وعلى م هذا التباين في الحديث فقال الشراري النظيف الفصيح انه اهتدى الى الاسلام منذ سنة ولكن أخاه لا يزال على الجاهلية وكانت هدايته على يد الوهابيين فانقطع بتاتا عن جميع عاداته الاولى من سرقة وقطع طريق وزنا وكان من قبل لا يعرف الماء فصار يتطهر كل يوم للوضوء ويستحم ويغسل ثوبه في اليومين مرة وقصاري القول كان « خنزيراً » محتوناً كما قال عن نفسه فاصبح انساناً نظيفاً . ثم التفت اليّ وقال مامعنا: لو رأيتك في هذه الصحراء منفرداً لا نقضت عليك ومزقتك شر ممزق وسلبت منك هذا الحصان الذي ركبته وانزعجت منك هذه الثياب التي تلبسها اما اليوم فيحرم عليّ ديني التعرض لك بسوء ولكنني اذا اشتبهت في امرك ذهبت بك حالاً الى القاضي في قريبات الملح لاسمع منه حكم الشرع فيك وانا مستعد لتنفيذ ما امر به . وكنت اود لو كنتم تفهمون العربية ان اتلو عليكم حديثه كما دوتته في مذكراتي ولكني ارك ذلك لمن يتكلم هذه اللغة الطليّة

ان نظرة سطحية الى هذين الرجلين تكفي لبيان معنى الانتقال من الجاهلية الى الاسلام وانه لمن الخطأ الاخلاقي الفادح بل من الجنابة الاجتماعية الفظيعة ان يحاول مبشر متحمس اقناع مثل هذا المهتدي الحديث بخطاء الدين الذي اهتدى اليه وبطلان الشريعة التي استمسك بها واذا كان طول الاعمار كما اشار احد الشعراء لا يقاس بنظران الرقاص ولا بدوران الساعة بقدر ما يقاسم بالاناث والآهات وخفقان القلب وكثرة النهجارب ووفرنا



الاجتهادات فان رجلاً مثلي اضاف الى رؤيته الحرب العالمية وما جرّته من الويلات والمصائب انه عاش في امّة ناهضة نابهة تطلب عزّها من جديد يجب ان يكون شيخاً طاعناً في السن . فان عمري الاسمي خمسون سنة لكن عمري العملي في الاخذ والعطاء مائة وخمسون سنة بل الف وخمسمائة سنة ! لاني قد شاهدت بعيني في غضون التطور الحديث الذي تطوّرت به بلادى شيئاً من التاريخ القديم وشرطاً عظيماً من روح القرون الوسطى وتصوّراتها واني اعيش الان في لب المدينة الحديثة : اعيش بجانب الاسلامي وبمسمع الهاتف بل تحت اجنحة الطائرة الحربية وما ترسله من مفرقات تقتل الطامع والعاصي من غير تفريق . افلا احسبُ بعد هذا « عصرياً » صرفاً وعلى احدث طراز ؟

والان ارجو ان تسمحوا لي يا ابناء انكلترا وخريجي مدارسها الغالية وعماد مستقبلها الحافل بالممكنات ان اقول لكم بالصراحة التي تعهدونها من كل مخلص للحق ولبلاده ان ثقتنا بالانكليز وبعهدهم كانت ثقة عظيمة . وقد قلت « كانت » للدلالة على الماضي الذي مضى لا على الحاضر وبأيدي شباب ناهضين مثلكم ان يعيدوا الى نفوس العرب هذه الثقة وذلك يبيحكم في سجلات حكومتكم ايام الحرب العظمى عن تلك البقع السوداء والحرايش ومحوها . كنت امس في تأييد حليفكم الملك حسين بن علي وقد مات قهراً من الاختلاف بالوعود والعهود فاقترحت ان يُعمل له مائة سنوي تمثل فيه هذه المأساة كما تمثل مأساة الحسين بن علي في كربلاء الى ان يعود الحق الى اصحابه

واني في الختام اعرف ان بعض كبار رجال السياسة والاجتماع ينقدون بلادنا بقولهم انها اتون العقائد المختلفة التي لا يمكن التوفيق بينها لكن الحوادث علمتنا — والحوادث اعظم مدرسة — ان نتساح فلا نبيع مقومات حياتنا بدواعي اختلافاتنا . لا جرم انه ينشأ فيما بيننا — الا فيمن بقوا على عهد القرون الوسطى من ابناء الطوائف المتنوعة — شعور بالتألف نبيل يبشر بمستقبل باهر ولا خوف عليه مطلقاً الا من اوربا المستعمرة التي لا يقر لها قرار الا بتجريك النعرات التعصبية الكريهة التي تضمن لها سيادتها . وان المثل الاعلى الذي نشده في حياتنا الروحية قد وصفه وصفاً دقيقاً منذ عشرات الاجيال امام من آمننا وجدّ من اجدادنا مدفون بدمشق اسمه محي الدين بن العربي فقد قال والنصوف اخذ بمجامع قلبه :

لقد كنت قبل اليوم انكر صاحبي	اذا لم يكن ديني الى دينه داني
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة	فرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لاوثان وكعبة طائف	والواح تورا ومصحف قرآن
ادين بدين الحب انى توجهت	ركائبه فالحب ديني وايماني



# الحلية النباتية وتركيبها السيتولوجي

للدكتور سيد خربوش

مدرس علم النبات في مدرسة الزراعة العليا

تحتوي الحلية الحديثة النامية في النباتات الراقية على مادة حية كولويدية (غروية) شفافة تعرف بالروتوبلازما<sup>(١)</sup> تشمل أجساماً مختلفة شكلاً وحجماً أهمها النواة والبلاستيدات المتنوعة فأجزاء الكونديوم ثم الفايكوم كذلك مواد أخرى كيميائية تختلف تركيباً كالبلورات والاعسام الدهنية والزيوت الطيارة وغيرها يحيط بها جميعاً غشاء رقيق مقفل تكون من سيتوبلازما الحلية الوافي لها

والسيتوبلازما<sup>(٢)</sup> اصطلاح يشمل الكتلة الحية للحلية ما عدا النواة أي الروتوبلازما مضافاً اليها مجموعتي البلاستيدوم<sup>(٣)</sup> والكونديوم<sup>(٤)</sup>. وللقوف على ما للسيتوبلازما من الشأن في الحلية النباتية يجدر بنا أن ندرس كلاً من أجزائها درساً وافياً فيما يلي

(الروتوبلازما) : أهم أجزاء الحلية وهي مادة غروية تركيبها الكيميائي غير معروف تماماً ويظهر أنها تحتوي على مقدار عظيم من الماء حاملاً لكثير من المركبات البروتينية المتنوعة فهي اذن أشبه بكتلة غروية ترجع اليها عمليات التنفس والتمثيل والتغذية والنمو والتناسل في جميع الكائنات الحية نباتات كانت أو حيوانات

وقد تضاربت الآراء في هل للروتوبلازما تركيب خاص أو لا . فبعض الباحثين يقول بأن لها تركيباً خاصاً وبعضهم ينكر ذلك . فقال الفريق الاول بأربع نظريات يطول شرحها هنا ولذلك نكتفي بذكرها فقط لأن الابحاث الحديثة أثبتت خطأها وهي :

- |                     |                          |
|---------------------|--------------------------|
| ١ ) النظرية الشبكية | 1 La Théorie réticulaire |
| ٢ ) » الفجوية       | 2 ,, ,, alvéolaire       |
| ٣ ) » الخيطية       | 3 ,, ,, filaire          |
| ٤ ) » الحبيبية      | 4 ,, ,, granulaire       |

أما الفريق الثاني فقد أثبت ان الروتوبلازما وحدها ( مجردة عن باقي مجموعة الكتلة



الحية للخلية ) ليس لها تركيب خاص فتظهر حينئذ كمادة شفافة لالون لها متجانسة كالماء غروية التركيب . ومن خواصها الحركة المتولدة من التغيرات والتفاعلات الكيميائية العديدة التي تحدث فيها فتسير تياراتها في جهات مختلفة فضلاً عن أنها تتأثر بالحرارة والضوء والكهربائية وغيرها اذا زادت عن الدرجة الملائمة . أما المواد المخدرة مثل الكحول والايثر والكلوروفورم وما شابهها فتوقف عملها لا سيما اذا كانت مقاديرها مرتفعة نوعاً مما يثبت ان البروتوبلازما تبلغ من شدة الاحساس درجة عظيمة

تقوم البروتوبلازما بعمل هام في حياة الخلية لاعتبارها جزءاً هاماً من أجزاء كتلتها الحية . وهي لا تنشأ نشأة جديدة ولا يمكنها أن تقوم وحدها بحفظ حياة الخلية وكيانها بل يجب أن تكون متضامنة مع باقي طوائف السيتوبلازما كالبللاستيدات والميتوكوندري والنواة وعليه فتمت وجدت هذه الطوائف مجتمعة في الخلية وجدت الحياة ومعنى الموت انفصال إحداها عن باقي محتويات سيتوبلازما الخلية

وقد أجريت تجارب عديدة لفصل هذه الطوائف عن السيتوبلازما على حدة فلم تنجح لكن ما أمكن عمله انما هو فصل السيتوبلازما بمشتملاتها عن النواة . فمثلاً : اذا وضع نبات الطحلب الاخضر الخيطي المسمى *Zygnema* في محلول مخفف من سكر القصب بنسبة ١٦ ٪ . يحدث في خلاياه عملية البلازمة *Plasmolyse* التي تسبب تجمع السيتوبلازما في وسط الخلية من جهة والنواة مع قليل من المادة البروتوبلازمية من جهة أخرى . وقد وجد أن الجزء من الخلية المحتوي على النواة كَوْن له جداراً ثم نما وتكاثر نكليه عادية بينما الجزء الآخر منها المشتمل على السيتوبلازما المجرد عن النواة ظل حياً فترة قصيرة ثم مات . اذن لاهياة البروتوبلازما ولا للسيتوبلازما من دون نواة . ولا حياة للنواة من دون برتوبلازما على ما سينضح فيها بعد

(السيتوبلازما) : تشمل السيتوبلازما أجساماً مختلفة بعضها ذو وظائف معلومة والبعض الآخر لم تعرف وظائفه بعد . منها البلاستيدات المتنوعة والحبيبات الدهنية المختلفة شكلاً وتركيباً والحبيبات الالبرونية والميتا كروماتينية وهذه مختزنة في الفجوات الخلوية ولكل منها أهميتها بالنسبة لوجوده او عدمه في النباتات المختلفة فمثلاً : إننا نجد في أوراق السراخس عدداً كبيراً من البلاستيدات الخضراء بينما لانجدها في خلايا الفطريات . ثم ان خلايا بذرة الخروع تشمل حبيبات البرونية وأخرى زيتية بعكس درنات البطاطس فان خلاياها تشمل كثيراً من البلاستيدات الاميلية الحاملة لكثير من الحبيبات النشوية المختلفة الحجم ، أما الفجوات فكثيرة في النسيج العصاري للبرتقالة مثلاً



يتضح مما تقدم ان هناك اختلافات كثيرة في التركيب الداخلي لأنسجة النباتات المختلفة وأن هذه الاختلافات مضافاً إليها اختلافات أخرى خاصة بالجدر الخلوية والنوى ترشدنا إلى معرفة تركيب الأنسجة المختلفة وتميز بعضها عن بعض. ومن أجل أن نصل إلى معرفة ما تشمله السيتوبلازما من طوائف لابد من درسها باتقان متبعين جميع تطوراتها من البیضة حتى يبلغ النبات نضجه هذه هي الطريقة المتبعة في معامل السيتولوجيا الحديثة والتي بواسطتها توصل الباحثون إلى وجود أجزاء مستديمة وأخرى مؤقتة في سيتوبلازما الخلية النباتية والحيوانية معاً. فالأولى لها شأنها من حيث وجودها باستمرار في جميع خلايا أنسجة الأحياء أما الثانية فضعيفة الشأن لعدم دوامها في الأنسجة. لهذا ضرب عنها صفحاً ولتسكلم الآن على الاعضاء المستديمة (النواة): تحتوي أغلب خلايا النباتات الراقية على نواة واحدة وقد يكون أكثر من ذلك كما هي الحال في بعض الخلايا المستطيلة في كثير من الفطريات الدنيا وبعض أنواع الطحالب والخلايا المجاورة لجيوب اللقاح في النباتات البزرية المعدة لتغذيتها أما في البكتيريا فلم يثر الباحثون على نواة أو ما يشابهها حتى الآن

(شأن النواة فسيولوجياً): نعرف ان النواة أحد أعضاء المادة الحية في الخلية بل هي أهمها في الواقع بدليل ان الجزء المحتوي عليها من بروتوبلازما الخلية هو الجزء الذي يبقى حياً والذي يتجدد بخلاف الجزء المجرد عنها فإنه يموت. ويمكن اثبات ذلك بوضع نبات الماركانسيا<sup>(١)</sup> ذي الشعيرات الجذرية الصغيرة في محلول من ملح مركز فيتيدي. هذا المحلول في امتصاص الماء من بروتوبلازما الخلايا بواسطة الضغط الأسموزي فتتكور هذه في جهة متجمعة في جزءين أو أكثر أحياناً فالجزء المحتوي على نواة يفرز جداراً حوله ويبقى حياً بعكس الآخر المجرد عنها فإنه لا يفرز جداراً ولا يتكاثر بل يموت بعد زمن مما يبرهن على أهمية وجود النواة في الخلية الحية

لكن أثبت التجارب الحديثة ان وجود النواة فقط في الخلية دون جزء من سيتوبلازما لا يكفي لحفظ كيانها بل ينتهي أمرها بالانحلال ثم الموت. وقد ظهر ذلك بوضوح في شعيرات اسدية نبات التراديסקانسيا<sup>(٢)</sup> حيث أميتت سيتوبلازما الخلايا بالكوروفورم وبقيت النوى وحدها حية زمناً إلى حد أنها انقسمت ولكن اخذت في الاضمحلال التدريجي بعدئذ ثم ماتت. فيستنتج من ذلك ان النواة لا يمكنها ان تنمو وتتكاثر وحدها بل لابد لها ان تعيش مع السيتوبلازما الخلوية دائماً ولا يمكن للخلية أن تحيا وتنشط إلا بوجودها معاً (تركيب النواة): يحيط بالنواة غشاء شفاف خاص يسمى غشاؤها وفي داخله عصارة



فالوحدة لوجة تشبه الخط البروتوبلازمي تعرف بعصير النواة وثم شبكة كروماتينية معلقة فيه مركبة من اللين<sup>(٣)</sup> في شكل خيوط متفرعة متداخل بعضها في بعض تتخللها حبيبات من مادة أخرى تسمى كروماتين<sup>(٤)</sup>. وليس اللين في الواقع خيوطاً بل هو أنابيب دقيقة جوفاء تشغلها الكروماتين. والفرق بين هاتين المادتين هو أن اللين يتلون بالصبغات الحمضية بعكس الكروماتين فإنه يصبغ بالأصباغ القلوية

وقد اختلف العلماء في هل هذه الشبكة الكروماتينية مكونة من خيط واحد أو خيوط عديدة والمهم أنها تتجزأ عند انقسام النواة فنحصل الأجزاء بعضها عن بعض في شكل وحدات كروموسومية يمكن عدّها وعددها ثابت في كل نوع من أنواع النباتات أو الحيوانات ففي الإنسان مثلاً كل خلية بها ٤٨ كروموسوماً هما تباينت السلالات

وعدا ما ذكر يوجد في النواة جسم أو اجسام كروماتينية صغيرة معلقة في عصيرها يسمى كل منها نوية (تصغير نواة)<sup>(٥)</sup> وهي غير ثابتة عدداً وتختلف حجماً وتلاشي أثناء الانقسام ويظن أنها غذاء للكروموسومات

(انقسام النواة) لانقسام النواة ثلاث طرق :

(١) الانقسام المباشر :<sup>(٦)</sup> وهو أبسطها ويحدث بان تنقبض النواة في وسطها ويزداد الانقباض تدريجاً في المادة الكروماتينية حتى يتم انقسام النواة الى اثنتين متساويتين في الحجم أحياناً. وقد تكون إحدى الخليتين الجديدتين الناشئتين عن هذا الانقسام أصغر من الأخرى فيسمى الانقسام في هذه الحالة تبرعاً كما في الخميرة

(٢) الانقسام غير المباشر :<sup>(٧)</sup> تكون النواة اiban الانقسام في حالة سكون ويكون كروماتينها مبعثراً وخطوطها شبكية. فعند بدء الانقسام تتضخم النواة ويتحول جزء من عصيرها الى خيوط كروماتينية دقيقة ينما تأخذ نوية أو أكثر في التلاشي فينتج ماها من النيوكليولين الى الخيوط الكروماتينية فيزيدها ثخانة وهذه تأخذ شكل حبل ملتو على نفسه مرّات عديدة ويعبر عن هذا بالطور التمهيدي<sup>(٨)</sup> وبعدئذ يقصر الخيط الكروماتيني ويشخن ثم ينقسم الى اقسام عديدة تزداد سمكاً وتأخذ شكلاً خاصاً فيسمى كل منها كروموسوماً<sup>(٩)</sup> قد تكون من كروماتين النواة. ثم ان عدد الكر وموسومات يختلف باختلاف أنواع النباتات كما ذكرنا فهو قليل في الفنجاي<sup>(١٠)</sup> والميوسين<sup>(١١)</sup> وكثير في الطحالب<sup>(١٢)</sup> والنباتات

(3) Linin (4) Chromatine (5) Nucleole (6) Direct Division - Amitosis (7) Indirect Division-Mitosis (8) Sinapsis (9) Chromosome (10) Fungi (11) Muscinea (12) Algae



الجزرية واكثر عدداً في النباتات الكروتوجامية الوعائية

وفي المرحلة الاولى من هذا الانقسام تستطيل النواة فتأخذ شكلاً بيضياً وينحل غشاؤها فيتلاشى فيمتزج عصير النواة بالسيتوبلازما ثم ينقسم الكروماتين فيظهر جسم شفاف مستدير يعرف بالسنتروزوم<sup>(١٣)</sup> (أي الجسم المركزي) قد تكون من رسوب بعض اجزاء المادة البروتوبلازمية ولا يلبث هذا السنتروزوم طويلاً حتى ينقسم الى قسمين يتجه أحدهما الى القطب الشمالي لمغزل النواة المنقسمة<sup>(١٤)</sup> بينما يتجه الآخر نحو قطبه الجنوبي بحيث لا يصل بينهما إلا الخيوط الرفيعة المتقطعة المكونة للشكل المغزلي المنوّه عنه. ثم تتصل تلك الخيوط المغزلية بالكروموسومات التي ترتب نفسها في وسط المغزل<sup>(١٥)</sup> والى هنا ينتهي الطور الاول لانقسام النواة غير المباشر ويسمى الطور التمهيدي<sup>(١٦)</sup>

بعد تكوين المغزل واتصال خيوطه بالكروموسومات بتبديء الاخيرة ترتب نفسها بشكل خاص وينقسم كل منها اثناء هذا الطور انقساماً طويلاً فينتج عدد مضاعف لعددها الأصلي. بعدئذ يأخذ السنتروزوم في جذب نصف هذا العدد بواسطة خيوطه ناحية قطب والنصف الآخر اتجاء القطب المضاد للاول ليكونا نواتين جديدتين يحتوي كل منهما على عدد معين من الكروموسومات مساوٍ لعدد كروموسومات النواة الأصلية المنقسمة تماماً ويسمى هذا الطور المتوسط<sup>(١٧)</sup>

أما في الطور الاخير<sup>(١٨)</sup> فيشاهد وصول مجموعتي الوحدات الكروموسومية المتساويتين في العدد الى القطبين المتقابلين للمغزل وهناك يمتزج أفراد كل منهما بعضها مع بعض فتكون كتلة كروماتينية على شكل شريط ملتو على نفسه بينما يتبدى الجدار النووي في تكوّنهِ حول هاتين الكتلتين من الكروماتين المعلقين في « النيوكليوبرتوبلازما » المسكونة لعصير النواة الحديثة. وفي الوقت نفسه تتكون في وسط المغزل مكان الكروموسومات قبل انقسامها طويلاً رواسب تزداد تدريجاً حتى يتصل بعضها ببعض لتكون جداراً فاصلاً بين الخليتين الجديدتين. وتتركب هذه الرواسب من مادة بكتينية<sup>(١٩)</sup> ترسب فوقها طبقة من مادة اخرى سيلولوزية ثم يتلاشى المغزل تدريجاً ويحل محله نواتان جديدتان تحتوي كل منهما على عدد متساوٍ من الوحدات الكروموسومية مطابق لعدد كروموسومات النواة الأمية تماماً التي قد نشأتا منها ويسمى هذا الطور تلوفاً<sup>(٢٠)</sup>

(٣) الانقسام الاخرالي<sup>(٢١)</sup>: سبق ذكرنا ان عدد الكروموسومات ثابت في كل

- |                  |                                 |                       |
|------------------|---------------------------------|-----------------------|
| (13) Centrosomes | (14) Spindle                    | (15) Equatorial plate |
| (16) Prophase    | (17) Metaphase (Anaphase)       | (19) Pictin           |
| (20) Telophase   | (21) Reduction Division- Miosis |                       |



نوع من الحيوانات والنبات فلو فرض أن في حبة لقاح نوع من النباتات ستة عشر من الكروموسومات فبويضة هذا النبات يكون بها مثل هذا العدد أيضاً . وعند حصول عملية التلقيح باندماجهما ينشأ زيجوت به ضعف ما في كليهما أي (٣٢) ثم يتضاعف هذا العدد في الاجيال التالية حتى يصل الى عدد غير معقول . لكن فرضنا هذا نظري لحسن الحظ لانه في الواقع لا يحدث ذلك بل ينحزل عدد الكروموسومات الى النصف قبل تكوين الجاميطات وعليه فعندما تتحد جاميطة مذكرة باخرى مؤنثة ينتج عنهما زيجوت يحتوي على عدد من الكروموسومات مساوٍ للعدد الموجود في الجاميطتين الاصليتين معاً

والانقسام الاخرى الى يشبه الانقسام العادي أي ان النواة تنتقل من طور السكون الى طور الانقسام فتقطع الخيوط الكروماتينية الى جملة وحدات كروموسومية تأخذ في السهاكة وتقل في الطول ثم بعد ذلك ترتب نفسها في ازواج يحتوي كل منها على قطعتين متشابهتين تقاربان تدريجاً حتى تلتصقان انصافاً طويلاً بالتواء وعند اتجاهاها الى قطبي المغزل تنفصل ثانية ثم يشكش السيتوبلازما وتنقسم الخلية حينذاك الى اثنتين تحتوي الواحدة منهما على نصف عدد كروموسومات الخلية الاصلية المنقسمة

يلاحظ ان الكروموسوم الواحد في الجاميطة يكون فردي الجرعة لاية صفة مضادة فعندما يتحد جاميط مذكرة باخر مؤنث ينشأ زيجوت به زوج من الجرعات أي واحدة من الأب واخرى من الأم . وفي الجيل الثاني تعزل العوامل اثناء تكون الجاميطات فيكون في كل جاميطة جرعة واحدة كالجاميطة الاولى . لهذا اسست نظرية مندل<sup>(٢٢)</sup> على سلوك الكروموسومات وما تحمله من جرع او بعبارة اخرى ان الكروموسومات هي الحاملة للجرع (العوامل الوراثية) كما اكدت ذلك فيما بعد نظرية مورجان<sup>(٢٣)</sup> وكان ستون<sup>(٢٤)</sup> أول من أشار الى هذا الحل نعم ان كثيراً من علماء الوراثة يعتقد أن مادة النواة الكروماتينية المكونة للكروموسومات هي وحدها مصدر الصفات الوراثية لكن هناك عدد كبير من البيولوجيين لا يستهان به لايسلم تماماً بصحة تلك النظرية بل يعتقد أنه لا بد أن يكون للسيتوبلازما الخلوية نصيب في ذلك أيضاً وبرهن بصحة هذه الفكرة أنه أثناء انقسام النواة وعند تلاشي غشاها يتصل كروماتين النواة بسيتوبلازما الخلية وهناك يحصل تبادل بينهما ربما نشأ عنه فقدان بعض من خواص الكروماتين الوراثية بسبب هذا الاتصال وتغير البيئة لاسيما اذا كانت هناك علاقة ارتباط بين الخواص البيولوجية والكيميائية لكليهما

من أجل هذا كله لا يستغرب أن يكون للسيتوبلازما الخلوية ما للنواة في حمل الصفات الوراثية أيضاً خصوصاً أنها تعد من أهم أجزاء الكتلة الحية في الخلية



# مكتبة المقطف

لبشر فارس

رسالة من باريس

## كتب شرقية بالفرنسية

مجموعة نصوص في التصوف

Recueil de textes inédits concernant l'histoire  
de la mystique en pays d'Islam.

— Editions Geuthner —

ان الاستاذ (ماسينيون) Massignon في مقدمة المستشرقين، وله مصنفات من الطراز الاول ثم إن له جولات معروفة في البلاد الاسلامية . ومقامه في أنفس المسلمين من عرب وأعاجم رفيع ذلك بأنه يخالفهم الود ويأنس بهم ويُقرّ بجلالة ماضيهم وأما شغفه بأدبهم فليس له غاية

على أن الاستاذ (ماسينيون) يكاد أن يقف بحوثه على التصوف الاسلامي وله في هذا الباب تصانيف محكمة الوضع . ولا يسعنا إلا أن نشير إلى الكتاب النفيس الذي ألفه في الحلاج وعسى أن تنقده عاجلاً

والذي بين يدينا اليوم مجموعة نصوص في التصوف الاسلامي عني الاستاذ (ماسينيون) بنشرها فرتبها وشرح ما غرض منها وكشف عن مُقفل مسائلها . وهذه النصوص جامعة للفلسفة وعلم الكلام والأدب ومن يطالعها يلم بأصول التصوف ويستقص فروعه ويقف على دقائق اصطلاحاته ثم يعلم كيف يتأمل المتصوفة خلال قصائدهم واعترافاتهم وخطبهم ثم ان هذه النصوص تدل على أن لأصحابها بصائر نافذة تغوص على الحقائق ، وأفكاراً ناقبة تغلب المسائل ظهراً لبطن ، وأفهاماً سديدة تأتي بالبيّنات النواهض . إلا أن هذه النصوص يشوبها من حين الى آخر ولا سيما في العصور المتأخرة التكرار والاقباس المحض واللبس والخلل والركاكة والتعسف



## في الموسيقى العربية

Encyclopédie le la Musique. Editions Delagrave. Paris

ان الموسيقى العربية من العلوم الخفية الاعلام والسبب في ذلك انها جعلت تنتقل من حال الى حال حتى أوشكت أن تجمد في القرن السابع للهجرة فلم يقع إلينا الا الشيء القليل منها والغالب على الظن انه مدخول فيه ولا سبيل لنا في تهذيبه ولا في الزيادة عليه لأن العرب لم يخلفوا لنا ألحاناً مُدَوَّنة مثبته نرجع اليها فنستفيد بعض الفائدة فمن يعزم على الامام بنواحي الموسيقى العربية يحاول أمراً بعيداً على حين ان الذي يتأتى لها رجاء أن يتبصر فيها يخرج منها ببعض الفائدة

على أن جماعة من الموسيقيين الفرنسيين اشروا موسوعة تضم بين دفتيها رسالة في الموسيقى العربية ألفها أحد المستشرقين فذكر فيها أسماء الذين كتبوا في الموسيقى بين اخباريين ورواة أمثال ابن العورة واحمد بن المكي وأبي الفرج الاصبهاني وبين فنيين أمثال اسحق الموصلي والكندي وموسى بن شاكر والفارابي وابن سينا واخوان الصفا وغيرهم . ثم ساق شيئاً من تاريخ الموسيقى العربية فأشار إلى الحداة أيام الجاهلية والى الاصوات المنقطة الصنعة في عهد الامويين والى الالحن التي جُنَّ بها خلفاء بني العباس والى الموشحات التي اُفْتُتِحَ فيها الاندلسيون . ثم نوّه بالمغنيين المُقَدِّمين من سائب خاثر وابن سُريج وابن جامع وابراهيم الموصلي وابنه اسحق وابراهيم بن المهدي وزيارب وغيرهم . ثم عمد الى نواحي الموسيقى الفنية فحاول أن يُفسّر ما استغلق من اصطلاحات كتاب الاغاني مثل ثقل أول بالسبابة في مجرى الوسطى مستنداً في ذلك الى بحث أتى به مستشرق يدعى ( كولانجيت ) ولكنه لم يخرج فيما حاول عن دائرة الفرض . ثم بسط أسماء الاصوات من مثني وعماد وغيرها وضروب الايقاع rythmes من هزج ورمل وخفيف وثقل ثم أحاط بشتى الابعاد intervalles من بسطة بين متلاعة ومتنافرة ومن مركبة بين ذوات الاربع وذوات الخمس ثم شرح أجناس الالحن من لينة وقوية ومتصلة ومنفصلة وألوان الانتقال modulations من مستقيمة ولاحقة ومن راجعة رجوعاً فرداً أو رجوعاً متواتراً . ثم عرض الآلات فوصف آلات النقر فالآلات النفخ فالآلات العزف

هذا مجمل رسالة الرجل . فانك لترى انها جليلة حجة الفوائد . الا أن فيها من الخبط

ما يجمل بعض نواحيها في موضع للتكبر

ان صاحب الرسالة يكاد أن يقف الغناء الجاهلي على الحداة وهذا ابن رشيق يخبرنا أن



عرب الجاهلية ناسبوا بين النعمات مناسبة بسيطة فأتوا بنوع من الغناء يقال له السناد ثم ان صاحب الرسالة لم يحدثنا عن قراءة القرآن وعن تحويلها على أيدي عبيد الله ابن أبي بكره والاباضي وسميد العلاف ( راجع كتاب المعارف طبعة أوربا ص ٢٦٥ ) ثم انه زل زلة تاريخية حيث قال ان ابن مسجح أقبل على تلاحين الروم والفرس وأخذ منها ما تستريح له آذان العرب والحقيقة ان ابن محرز الذي عمل هذا ( راجع الاغاني طبعة دار الكتب ص ٢٥٠ ج أول )

ثم ان صاحب الرسالة وان حدثنا عن المغنين فرداً فرداً الحديث الطويل أهمل أن يذكر منافراتهم ومنافساتهم ومناقضاتهم ( راجع الاغاني طبعة دار الكتب ص ٧٤ وما يليها ) ثم انه رعى الموسيقى العربية بالجمود منذ القرن السابع للهجرة حتى اليوم ، فهل غاب عنه أن الترك ابتدعوا البشرف وزادوا في الموسيقى العربية ما شاء الله حتى بلغوا بها الى الرقي في عهد سليم الثالث ، وهل جهل أن أهل حلب أعاروا الى موسيقانا شيئاً من ترانيمها الماضية وان المصريين استحدثوا فيها التقاسيم والرقصات والانشيد ثم ان صاحب الرسالة علل إغراض العرب عن الموسيقى المؤلفة harmonie بعجزهم عن التأليف الجمعي Multiplicité . واسنا نرى رأيه فان فلاسفة العرب نظروا الى مناحي الحكمة نظرة شاملة والشمول أسّ التأليف الجمعي . ثم ان الاخباريين والمؤرخين يسوقون لنا أن الخلفاء كانوا يقيمون حفلات موسيقية يشترك فيها مائة من العازفين والمغنين . فلا سبيل لنا أن نتهم العرب بأنهم لم يعمدوا الى الموسيقى المؤلفة حتى تقع الينا أصواتهم وتلاحينهم مدونة مضبوطة فنتبصر فيها . وأما إرسال هذه التهمة استناداً الى قول (رينان) بأن السامي لا يقدر على أن يتمثل الاشياء مجتمعة فامر فيه من السفة ما فيه

### في الفن الاسلامي

Manuel d' art musulman : Editions Picard. Paris

ان أهل اوربا لم يفتنوا الى روعة الفن الاسلامي إلا لسبعين سنة خلت . غير أنهم ذهبوا الى أن في مظاهره الاندلسية والمغربية شيئاً يرجع الى الفن الغربي وقد وضع الاستاذ (مارسيه) (Marçais) المدرس بجامعة الجزائر مجلدين يتدبر فيهما تلك المسألة . فجعل موضوع بحثه البناءات التي شيدت في تونس والجزائر ومراكش والاندلس وصقلية منذ القرن التاسع للمسيح حتى القرن التاسع عشر . فخرج مما قدّم بنتائج هذه خلاصتها :  
نشأ الفن الاسلامي في جزيرة العرب وفي دمشق ثم هبط البلاد التي فتحها العرب .



ثم انه لما استقر المسلمون في بلاد الفرنجة استقلوا بانفسهم عن الخليفة أو كادوا فانقطعت الصلة التي كانت بينهم وبين اخوانهم المقيمين بالشرق ، غير انهم مازالوا يرجعون الى أساليب فتنهم ومظاهره. فانهم قاطعوهم سياسياً ولكنهم مبرحوا يخالطونهم ويتقبلون في بلادهم ثم ان مسلمي الغرب ومسلمي الشرق وردوا منها واحداً منهل الاسلام فاتحدت وجهتهم وتساربت اهواؤهم على تراحي اوطانهم فوافق بعضهم بعضاً على أساليب التشديد وانتهوا بما نشأوا عليه جميعاً الى آراء في الفن متشابهة ، ودونك مثلاً : — ان إعراض المسلمين كافة عن صور الطبيعة واقبالهم على معالجة علم المساحة وشغفهم بالافتنان حمل الاندلسيين واهل المغرب والمصريين وأهل العراق على أن يعمدوا في فنون النقش الى اساليب المساحة وهيئاتها وما يدل على ان المسلمين لم يعولوا على اصول الفن الغربي القديم انهم أهملوا مسألة القوة الدافعة والقوة المقاومة — على خلاف فرنجة العصور المتوسطة — معتمدين على حذقهم في البناء . ولكنهم عنوا بالنقش والحفر والنحت فبالغوا في تحلية البنايات وغالوا في تزينها فجعلوا لفنهم خاصية تدل على حضارة لا يلحق بها حضارة

هذا ما انتهى اليه الاستاذ (مارسيه) . وأما البنايات التي رجع اليها في بحثه فبعضها معروف من زمان ، وبعضها لم ترها الا عين إلا من زمن غير بعيد مثل منازل الخلفاء بجوار قرطبة واكتشافات مدينة الزهراء . على ان هنالك بنايات تونسية ومراكشية لم يستطع الاستاذ أن يتأملها لانها من المعاهد الدينية ولو استطاع لازداد بحثه متانة ولجاء كتابه الغاية التي ليس وراءها مذهب لطالب

## كتب في الادب الفرنسي

### تاريخ الادب الفرنسي

Histoire de la Littérature Française — Editions Larousse, Paris

إن الادب الفرنسي فسيح الرقعة شتى النواحي لم يعرض أحد للبحث فيه إلا بات مجهوداً وربما خذله نشاطه فأمسك أو فاته التدقيق فزل . ولقد فطن فريق من ادباء فرنسا في مقدمتهم الاستاذ النبيه (بيديه) Bédier ان الرجل المنفرد بنفسه يعجز عن الامام بتاريخ أدبهم فانفقوا أن يتعاونوا على تأليف كتاب غزير المادة مطرد التنسيق يجمع بين أطرافه المبتذلات والشوارد فاختص كل فصل من فصوله فجاء الكتاب محكم الا راء شديد التنقيب على أن هؤلاء الادباء لم يهجموا منهج من سبقهم من النقاد فلم يجعلوا همهم التبصير



في المصنّفات ولا الفحص عن دخلات الكتاب والشعراء ولكنهم عمدوا الى منهج أجل من ذلك المنهج شأنًا إذ تدبروا تحوّل الأدب ثم نقّبوا عن أسرار الفئات الادبية ( المدارس على قول نقادنا المُحدثين ) واستوضحوا الوجه الذي تواطأوا عليه والوجه الذي تشاققن فيه ثم قلبوا النظر في آراء المؤلفين ووقفوا منها موقف نقاد لا موقف مجادلين فلم يتشبهوا لها ولم يتعصّبوا عليها . ثم انهم عنوا بالبحث الشامل عنايتهم بالبحث التحليلي فجعلوا يبسطون كيف تتساق اجزاء الادب فيأخذ بعضها بأعناق بعض وكيف تتنافر فلا تتجاوب أوها وأخرها فتصبح وبعضها من بعض بمنزلة الضد من الضد ، ثم فخصوا عن الاسباب التي من أجلها يخرج الأدب من طور الى طور فاضطروا الى أن يصعدوا النظر ويصوبوه في الاحوال السياسية والشؤون الدينية والاضاع الاجتماعية من حيث انها تؤثر في الأدب فتدفع اصحابه الى الطائفة أو تحرضهم على التمرد ثم تسمو بهم الى ذرى الحكمة أو تنحدر بهم الى هوة الفحش

وجمل القول ان اصحاب هذا الكتاب لم يحصروا عملهم في سرد تاريخ أدبهم بل أخذوا يبسطون ارتقاء التفكير الفرنسي وتحوّل . وإن بدا لي ان الومهم في شيء لا يعني إلا أن أعيبهم في أمرين . أما الامر الاول فتبسّطهم في محاسن الكتاب والشعراء الى حدّ ذهلوا عنده أن يتنبّهوا الى مساوىء القوم . واما الامر الثاني فاهلهم أدب اليوم ظنّاهم بأن التروّي فيه لا يصلح إلا للنقاد الآتي . ومثل هذا الظن بعيد عن مرمى الصواب لان الادب في عهد كذا ليس بشيء اذا لم يمثل ذلك العهد . فالتناقد الحالي أبعد نظراً وأجدر بأن يتفهم أدب اليوم وينقده إذ يرى رأي العين هل يبلغ الادب الى الصدق في التمثيل وكيف يبلغ اليه

ومهما يكن في الكتاب من مطعن فانه والله لجليل . ودعني اصريح لك باني ازداد به عجباً كلما وليت فكري شطراً « الجمل في الادب العربي » ذلك المصنف الذي لا يثبت على النقد على ان تستثنى منه الفصل الاول والفصل الثاني

### مؤلفات كورتلين

Oeuvres de Courteline - Editions Le Trianon - Paris

لما تُوفي ( كورتلين ) لسنتين مضتا قال الفرنسيون انّا فُجعنا بأخف كتابنا ظلاً . والواقع ان الرجل ابتدع فناني الكتابة ذلك أنه يقص عليك القصة هازلاً متهاوناً بها ساخراً منك فتظنه ضعيف التأليف مأفون الرأي لا يبحث البحث البعيد الغور فاذا



قرأت ثانية ما قصه عليك أثبت أنه أتى بشيء عجيب جامع للفحص الدقيق والعلم الواسع والدراسة التي لا مغمز فيها

ولكورتلين أسلوبه فهو كلفٌ بالتشبيه يكاد لا يؤلف جملةً إلاَّ يردفها بأخرى تتقدمها الكاف أو كان . وليس بين التشبيه الذي يعمد اليه وبين التشبيه الذي سبقه إليه الكتاب الفرنسيون صلة من الصلات فهو يستحدث التشبيه استحداثاً ولربما اغرب فيه إلاَّ أنه يسحر به القارئ في الغالب

على أن من يقرأ تأليف كورتلين القصصية كمثل *Les Linottes* و *Boubouroche* يعجب للرجل كيف يُعنى فيما يكتب بأن ييسط نواحي الحياة الوضيعة وإذا بها بين يديه جليلة القدر

وأما حكم (كورتلين) *La Philosophie de Curteline* فلطيفة الاشارات بعيدة المعاني . ان الغموض يغشاها من حين الى آخر . والذي يلوح لي ان (كورتلين) خبر النساء والرجال الى حدٍ لا نهاية له ومن اقواله فيهم — يزعم بعضهم ان الرجل يمتاز بالبله والشراسة وفي هذا الزعم مغالاة : اما الشراسة فان الرجل لا ييسط يده إلا الى المستضعف الاعزل، وأما البله فان الرجل سرعان ما يفهم عند ما يهدد باللطم او يوعد بالكسع — متى يَدُنْ رجل من نساء يتساقطن الحديث يلزمن السكوت لساعتهم . فما السبب في ذلك ؟

— ان المرأة خير مما يزعمون . والدليل على ذلك انها لا تعبت بدموع الرجل إلاَّ اذا كانت سبب انهماكها

### مؤلفات شفالیه ده میریه

Oeuvres completes du Chevalier de Méré  
Editions Fernans Roches. Paris.

ما قولك في رجل لا يُقبل على التأليف إلاَّ بعد بلوغه الستين وحجته ان الرجل ما يزال ينظر في اعطاف الحياة ايام فتوته وكهولته حتى اذا شاخ وطد له اختبار اساليب التفكير وسد آراءه . فان كتب اتى بالشيء الصالح

ذلك شأن (الفارس دي میریه) الكاتب . ان الفارس دي میریه خالط عيون قومه في القرن السابع عشر ودأبه الفحص عن اخلاقهم ثم قرأ مصنفات الاغريق وهمة اقتباس دقته في التعبير . فلما أخذ يكتب بسط ما شاهده في اسلوب كله طلاوة  
ان (دي میریه) لا يتحدث الا عن الخاصة . ولكن حديثه ظرفاً لا نهاية له ذلك



أن فيه وصفاً دقيقاً لعواطف شتى ، وبحناً جليلاً عن اخلاق تغيب في الغالب عن الاعين ،  
واشارات لطيفة الى تقاوص منتشرة . واما آراؤه فيين الجد والهزل واما نظره الى الحياة  
فنظر رجل تغلب السباحة على نفسه وملك الرقة على قلبه

واذا عدلنا عن اسلوب الرجل الى الفحص عن « أخلاقياته » وجدناه يحمل الانسان  
على ان يراقب نفسه ويملك قيادها ويدفعه الى ان يكف عن التحمس في الرأي والتطرف  
فيه وينصح له ألا يستسلم الى احد عن غير روية وألاً يعزم على أمر يسلحق به العار

هل تغيرت العقلية الفرنسية

عهدنا الفرنسيين لا يقرأون إلا الروايات والاقاصيص ولا يخرجون من ديارهم إلا  
ليذهبوا في قرية من قرى فرنسا ابتغاء الراحة . والذي يدهشنا اليوم ان جماعة من  
الفرنسيين يغادرون اوطانهم ليسبحوا في البلاد وهامهم يكتبون عن سياحاتهم . والظاهر ان الناس  
مطمئنون الى قراءة ما يكتبون . والدليل على ذلك ان ناشراً فرنسياً Duchartre, Paris  
اذاع بين الناس ثلاثة كتب أحدها Les derniers sauvages يبحث عن قبائل جزائر  
المركز تلك الجزائر الكاثنة في اميركا الجنوبية . والكتاب الثاني Voyage de Siam  
حديث رجل رحل الى مملكة السيام . والكتاب الثالث Tahiti ذكريات رب سفينة  
الأ ان هذه الكتب لا تخلو من خصائص الروح الفرنسية . فإننا نرى في الكتاب  
الاول حديثاً مسهباً عن عادات القبائل يتخلله من هنا ومن هناك مجون لا غاية له . ثم انا  
نرى في الكتاب الثاني نقداً لطائفة من العادات كله لزع وتهكم في لطف وظرف . فان  
كان الفرنسيون قد تأثروا بالادب الانجليزي اذ عدلوا قليلاً عن الروايات الى كتب السياحات  
فانهم لا يزالون يحافظون على ميلهم للمجون ورغبتهم في التهمك

بشر فارس

## مؤلفات عربية جديدة

### رسالة النسبة

للامامة الخالد الذكر جبر ضومط فلسفة لغوية تحله في العلماء المتأخرين منزلة بن جني  
في علماء اللغة المتقدمين الا أن ابن جني كان يتجه بفلسفته في الغالب الى تلمس التكت  
والتعليقات الفلسفية لقواعد اللغة المتواضع عليها فكانه كان يعمل لتثبيت او تركيز هذه  
القواعد ! أكثر مما هي عليه . أما العلامة ضومط فقد جعل محور فلسفته يدور حول وجوب  
ماشاة بداهة الفطرة في اختيار الانسب من الصيغ والألفاظ لانه يرى أن لبداهة الفطرة



ادراكاً خفياً دقيقاً ترى به الحقيقة قبل ان يراها العقل بالبرهان. وعلى اساس هذه القاعدة التي هي للفلسفة الضومطية بمثابة الشعار صدرت كل تعاليم العلامة ضومط سواء أ كانت هذه التعاليم بحوثاً في مجالات ام في كتب ام في رسائل مثل رسالة النسبة هذه التي نستوحىها ما نكتبه الآن — فهذه الرسالة على صغر حجمها صالحة جداً لتقرر مركز مؤلفها بين امثاله من العلماء. انها فيما نعتقد صالحة جداً لتكون عنواناً حسناً للرسالة العلمية التي بُعثت العلامة ضومط فأداها على احسن وجه للحياة

حقيقة ان الرسالة من حيث مظهرها، طباعة وكمية، ليست مما يملأ العين ولاسيا في هذا العصر الذي يكاد في كل شيء ينظر الى الكم لا الى النوع الا انها من حيث مخبرها ومن حيث ما تحويه بين غلاقتها من جهود علمية وتحقيقات لغوية جديرة بالخلود بل هي جديرة ان تسمى بالرسالة اليتيمة ليس لانها آخر مؤلفات صاحبها العالم كلاً بل تسمى اليتيمة لانها كما جاء في مقدمتها بحق تبحث في نحو لم يسبق اليه

ان هذه الرسالة تقرر قاعدة فلسفية لغوية لا يصفها من يقول انها خطيرة وكفى. هي شيء اكبر من ذلك لانها (اي هذه القاعدة) لن تقف عند حدود موضوعها (باب النسبة) وانما هي اذا كتب لها الفوز سوف تخضع لدستورها قواعد اللغة جميعاً من النحو الى المعاني الى البيان الى البديع ايضاً.. فهذه الرسالة في اكبر الظن ليست الا قذيفة قد احكم اقوى سواعد المجددين رميتها وكانها اصابت قواعد القديم في الصميم

لقد اختار المؤلف الحكيم باب النسب موضوعاً لرسالته او مستودعاً لنظريته. ولقد كان هذا الباب ولا يزال مصدراً للخلاف بين جماعة الكتاب وبين القواعد المقررة. فاذا كان هذا الخلاف سيكون منسجماً عظيماً لاستخراج الامثلة والشواهد الكافيين لحياة النظرية الضومطية حياة قوية في منطقة باب النسب على الاقل، فان هؤلاء الكتاب الذين تشاققهم القواعد سيكونون دائماً في صف صاحب النظرية كجنود بل كمكروفونات من اقوى وأشد المكروفونات التي تملك اذاعة المذاهب العلمية في جميع الاوساط وناهيك بنظرية تنصر لبداهة الفطرة ان الكتاب الذين تابعوا بداهة فطرتهم فقالوا (تاريخ كئاسي) ولم يقولوا (كئسي) وايضاً الكتاب الذين لم يتابعوا فطرتهم وخضعوا لقياس بعض العلماء كالعلامة الصابونجي ان هؤلاء جميعاً عند ما يقرأون تحقيق العلامة ضومط لهذه النسبة في الفصل الذي عقده لها في صيفتي ١١ و ١٢ سوف يطلعون فيه على ما يجعلهم اشد تأييداً لمذهب ضومط الذي يمكن ان نسميه « بداهة الذوق العام »

محمود ابو الوفا



## الخيام

ترجمة السيد احمد النجفي الصافي

كثرت هافت ادباء العرب في هذه السنوات على ترجمة عمر الخيام فظفر الشاعر الفارسي من وراء ذلك بشهرة سلكته في مصاف اعظم الشعراء الفحول من بين ادباء العرب وسواء اكان الخيام هو الممثل الوحيد للشعر الفارسي ام لا وسواء اكان هناك من يستحق شيئاً من مثل هذه العناية ام لا فان شهرة الخيام مدينة في اتساعها هذا الاتساع العظيم للشاعر الانجليزي فتزجر الدبل لغة الانجليزية ذاتها. فان ترامي هذه اللغة ونفوذها وسيطرتها كلفة الاقوياء الغاليين ولا سيما في الشرق كل ذلك الى اشياء اجتماعية اخرى هو العامل الاول في اقبال هذا العصر على الخيام

ومها يكن من شيء فانا نرجو ان تكون ترجمة الاستاذ الصافي للخيام بكل هذه الدقة التي قرظها العلامة القزويني (صحيفة ١٤) وبكل هذا التهيؤ الذي يقرر الاستاذ الصافي نفسه انه لا أجل لهذه الترجمة قضى ثمانى سنوات في دراسة الفارسية والنقل عنها واليها - نرجو ان تكون هذه الترجمة التي اتاحت لها كل هذه الظروف فاتحة عهد جديد لدراسة العلاقة بين الاديان العربي والفارسي . فانا نعتقد ان تاريخ تطور الادب العربي بحاجة الى الشعاع الكشاف الذي يلتقي على هذا الموضوع الخطير بل نكاد نذهب اكثر من ذلك ونقرر ان بلاغة الاديان قريبة قريباً يبعث الى وجوب دراسة علاقة احداها بالآخرى ولا يستبعد ان هذا البحث قد يرينا ان كثيراً من قواعد علم البيان العربي موضوعة على انماط فارسية او ان لها على الاقل اشباه ونظائر عند الفارسيين

وبعد فانا نشكر للاستاذ الصافي جهوده ونرجو لترجمته ما يستحقه جهده العظيم من التقدير والاقبال. والكتاب مطبوع طبعاً متقناً فكل صفحة من الترجمة يقابلها صفحة من الاصل الفارسي ضمن اطار جميل . والمطبعة التي تولت هذا العمل هي مطبعة التوفيق بدمشق الشام

## المجمع المصري للثقافة العلمية

الكتاب السنوي الثاني - صفحاته ٢٩٨ عدا ٢٢ صفحة صور - طبع بمطبعة المقطم ثمنه ١٥ غراً

المجمع المصري للثقافة العلمية ، مجمع حديث النشأة ولكنه جُمّ النشاط . فلم تكد تتألف هيئته في يناير سنة ١٩٣٠ حتى عقد مؤتمره السنوي الاول في شهر مارس من تلك السنة فألقيت فيه إحدى عشرة محاضرة في موضوعات علمية مختلفة جمعت كلها في كتابه السنوي الاول . وقد سمعنا أحد كبار الاساتذة الذين تلقوا علومهم العالية في جامعات أوروبا وانتظموا



في سلك جمعياتها العلمية ان هذا الكتاب السنوي يضاهي كتب الجمعيات العلمية التي من قبيله  
وغرض هذا المجمع نشر الثقافة العلمية . وقد قال الدكتور علي باشا ابراهيم رئيسه الاول  
في الكلمة التي افتتح بها المؤتمر السنوي الثاني : « ان القيام بنشر الثقافة العلمية ضرب من  
الحسبة والمحاسب للخير . لا ينبغي أن يلتقي في سبيله عسراً . وذو الموهبة لا يتصدق بها على  
الانسانية ولكنها حق للانسانية عليه »

وهذا هو الكتاب السنوي الثاني يشتمل على اثنتي عشرة محاضرة ، كل محاضرة منها  
خلاصة كتاب ، بل ان منها محاضرة هي كتاب كبير ونعني محاضرة الدكتور شاهين باشا  
رئيس المجمع المنتخب للسنة المقبلة . فان صفحات محاضراته في «إطالة العمر وتجديد الشباب»  
تتألف من ١٢٠ صفحة وقد أحاط بسعادته بالموضوع من جميع أطرافه وضمنه من الرأي الصادق والارشاد  
العلمي المتزن ، ما يجعل الكتاب ، بصرف النظر عن سائر المحاضرات ذا قيمة كبيرة للجمهور  
ولكن المحاضرات الاخرى تعالج موضوعات علمية وعملية خطيرة . فالرئيس حسين بك  
سري والدكتور عبدالعزيز احمد بك ، عالجا في محاضرتيهما ، موضوع كهربة القطر المصري ،  
وما يحتاج اليه من القوى الكهربائية في القرن المقبل ، ثم تناولوا مسألة توليد القوة الكهربائية  
اللازمة من مشروع القطارة ( محاضرة سري بك ) ومساقط خزان اسوان ( محاضرة  
عبد العزيز احمد بك ) تناولوا علمياً هندسياً ، يحملك على الإعجاب بهما الواسع

ثم ان الموضوعات الطبية الصحية لها قسط كبير من العناية . فعدا محاضرة شاهين باشا  
تقرأ خطبة بيولوجية فلسفية للدكتور عبد الخالق بك أستاذ الطفيليات في كلية الطب ، وقد  
بحث فيها موضوع الطفيليات وأثرها في صحة الناس الجسدية والعقلية وقيام حضاراتهم وانحطاطها .  
ثم هناك الخطبة البديعة التي ألقاها الدكتور شوشه بك في موضوع العراك اليومي بين الجسم  
وأعدائه وقد صورها تصوير معركة حربية لها من المعارك كل وسائلها من هجوم ودفاع

ولا يتسع هذا الباب للكلام عن موضوعات المحاضرات الباقية وانما نشير اليها اشارة .  
فتمة محاضرة « المباحث المائية » للدكتور حسن زكي مدير أعمال قناطر الدلتا و « توارث  
الصفات الجسدية المكتسبة » للدكتور محمد ولي الاستاذ المساعد للتاريخ الطبيعي بكلية العلوم  
و « النحالة والعلم » للدكتور ابوشادي . و « الحثائر والانزيمات » للدكتور علي حسن .  
و « تعيين الذكرو والانثى » للدكتور كامل منصور . و « مقام الانسان في الكون » لمحرر هذه المجلة  
وعلى المجلة فان الكتاب السنوي الثاني يؤيد كل الآمال التي بنيت على هذا المجمع في  
نشأته . واملنا كمجلة تسعى سعي المجمع أن يقبل قراؤها على كتابه السنوي هذا فانه من  
خير ما يطالع أبناء العربية



## تفسير القرآن الحكيم

المعروف بتفسير المنار

أتمَّ حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار، تأليف عشرة أجزاء من تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار وأهدى إلينا الجزء العاشر من ذلك التفسير الذي نال حظوة عظيمة لدى جمهور من اكبر العلماء المصريين والشرقيين فقرأوه وأثنوا على مؤلفه المفضل. ولقد سبق المقتطف ان نوه بفوائد هذا التفسير وما امتاز به صاحبه من علم غزير في الشريعة الاسلامية. ولذلك نرى انما للفائدة هنا ان تنقل زبدة من بعض اقوال علماء الشريعة الاسلامية في التفسير فهم أعلم من غيرهم بهذا الامر

قال الاستاذ الشيخ محمد العدوي مدرس الحديث والتفسير في الازهر الشريف :

« تفسير المنار فيما أعلم هو أمل تفسير يتناسب مع روح العصر الحاضر يتجلى فيه لقارئه عظمة التشريع الاسلامي بأسلوب جذاب يفيض على قارئه هداية ويبعث فيه روح الحياة العملية ويعدّه لان يكون عالماً دينياً وباحثاً اجتماعياً واستاذاً اخلاقياً »

وقال الاستاذ الشيخ احمد ابراهيم استاذ الشريعة الاسلامية في كلية الحقوق : « وان خير تفسير لكتاب الله على ما نعلم من حيث هو كتاب هداية وارشاد هو تفسير المنار .. فرأيت روح الهداية الربانية قد فاض عليه فغمره من اوله الى آخره »

وقال الشيخ مصطفى نجما مفتي بيروت ... « ... لم أجد له نظيراً في سهولته وبلاغته وطلاوته واتقان اسلوبه وترتيبه وحسن ارشاده فهو افضل الكتب التي الفت في هذا العصر لحفظ الدين وتأييده وليان ما ترشد اليه الايات من العقائد والعبادات والاديان ومكارم الاخلاق والعمل للدين والدنيا والتعاون على البر والتقوى »

ولو شئنا الاسترسال في النقل لما اتسع المقام لذلك. ولا شك ان اجماع كل هؤلاء العلماء على التنويه بفضل هذا التفسير فيه أنصح دليل على فوائده وما امتاز به من مادة غزيرة واسباب الهداية مع سهولة في اللفظ تقربه من افهام العوام فضلاً عن المتعلمين. ولقد صدر من التفسير عشرة اجزاء كل جزء في مجلد كبير قائم بذاته ووضع لكل مجلد فهرس مرتبة هلى حروف المعجم لتسهيل على الباحث الرجوع الى ما يشاء البحث عنه فهو أشبه بدائرة معارف اسلامية جامعة لاصول الشريعة الاسلامية وهداية المسلمين. فنثني على فضيلة مؤلفه ونحث القراء على اجتناء فوائده وهو يطلب من مكتبة المنار بشارع الانشاء بمصر وعن كل جزء منه ٢٥ قرشاً



## رجال العلم ومكتشفاتهم

أصدر محرر هذه المجلة ترجمة « رجال العلم ومكتشفاتهم » المقرر بالانكليزية لطلاب البكالوريا في القسم العالمي ليكون عوناً لهم على تفهم الاصل الانكليزي وهو يشتمل على ٢٣ فصلاً تبدأ بروجر بايكون زعيم الاسلوب العلمي في البحث الذي ذاق في سبيله الاسر والعذاب ، الى غيليو ونيوتن وهرشل رواد علم الفلك الحديث بما كشفوه من النواميس وصنعوه من آلات . الى المجموعة الشمسية وأعضائها الى الحيوانات وقصتها والبحر وحاديثه والنباتات واسرار تكوينها . الى الابطال الذين عانوا الامرين وضعوا بحياتهم في سبيل مكافحة الامراض الاستوائية كالملاريا والحمى الصفراء ومرض النوم وغيرها . الى خالتي طرق العلاج الحديثة جز وباستور ومن تقدمهما او جرى في اثرهما . الى الراديو والعنصر السحري الذي كشفته مدام كوري فكان مفتاحاً بيد العلماء يفتحون به مغاليق اسرار الكون

ولا يقتصر نفع هذا الكتاب على الطالب الذي يدرس الاصل الانكليزي فحسب ، بل انه كتاب جدير بان يطالعهُ الاحداث جميعاً وان يدرس في المدارس لما توخاه المؤلف والمترجم من ايراد الحقائق العلمية بمنهاج واضح وبيان جلي

## الآداب العربية وتاريخها

بحسب منهج البكالوريا في الجمهورية اللبنانية ودولة سوريا الفخمتين تأليف جرجس كنعان مدير كلية الشرق في طرسوس واستاذ الآداب العربية فيها . ابتداءً الاستاذ الفاضل مؤلفه بمقدمة فصيحة أوضح فيها الدستور الذي وضعه نصب عينيه في تأليف كتابه وقفي ذلك بتوطئة مختصرة مفيدة في جغرافية بلاد واخلاق وعادات العرب وانتهى من هذا الى تمهيد عرف فيه الادب مرجحاً صدق نظر ابن خلدون في قوله عن الادب انه الاخذ من كل شيء بطرف ثم يخلص الى ما وصل اليه من الشعر الجاهلي وترتيب طبقاته فقال في صفحة ١٣ وقد قسم منهاج البكالوريا اللبناني هذا الشعر وشعره الى قسمين الشعراء الاقدمين واقتصر على شاعرين هما الشنفرى والمهلل وشعره المعلقات ومن يلحق بهم . قال المؤلف وسنجرى على هذا التقسيم . والكتاب في مختاراته وتوجيهاته من الكتب الوافية بأغراضها الصالحة لتوجيه نحياء الطلبة الى البحث والاقبال على ارتشاف مناهل الادب الصحيح



## مطبوعات جديدة اخرى

ضاق نطاق هذا الجزء عن درس كل المطبوعات الجديدة التي تكثر اصحابها باهدائها الينا فنذكرها هنا وسوف نمود اليها في الاعداد التالية

﴿ الدليل الثاني ﴾ مبادئ واصول في تعليم اللغة العربية وخلاصة مطالعات واختبارات غير قليلة بقلم الاديب الفلسطيني الكبير خليل سكاكيني

﴿ عَبْدَةُ الشيطان في العراق ﴾ مجموعة مشاهدات وتبوعات شخصية في المذهب اليزيدي بقلم السيد عبد الرزاق الحسني . وقد طبع طبعة ثانية منقحة ومضاف اليها بمطبعة العرفان بصيدا

﴿ الصابئة قديماً وحديثاً ﴾ وهذه رسالة نفيسة بقلم السيد الحسني لها مقدمة بقلم احمد زكي باشا وقد طبعت بالمطبعة الرحمانية بمصر

﴿ البايون في التاريخ ﴾ وضع الاستاذ الحسني هذه المقالة التاريخية لمجلة العرفان الصيداوية فنشرت فيها في المجلد العشرين سنة ١٣٤٩ هـ ثم طبعت في رسالة مستقلة بمطبعها

﴿ الانتدابات في العراق وسورية ﴾ بقلم محمد جميل بهم وهو بحث عمراي اجتاعي سياسي اقتصادي تولاه المؤلف بنفسه في دار السلام وتطرق الى المقابلة بين احوال العراق والامصار العربية الاخرى . صفحاته ١٣٧ قطع المقتطف بنط ٢٤ وقد طبع بمطبعة العرفان بصيدا

﴿ ذكريات باريس ﴾ وهي صور لما في مدينة النور من الصراع بين الهوى والعقل والهدى والضلال . بقلم الدكتور زكي مبارك دكتور في الآداب من الجامعة المصرية ومن جامعة باريس . ورئيس قسم اللغة العربية في جامعة القاهرة الاميركية . صفحاته ٣١٩ قطع المقتطف بنط ٢٤ وقد طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر

﴿ الرسالة العذراء ﴾ لابراهيم بن المدبر صححها وشرحها وجعل لها مقدمة مفصلة باللغة الفرنسية موضوعها فن الانشاء ومذاهب الكتاب في القرن الثالث الدكتور زكي مبارك . وهي جزء من الدراسات التي قدمها الى جامعة باريس لنيل شهادة الدروس الادبية العليا . صفحاتها ٥٢ بالقطع الكبير وصفحات المقدمة ٣٢ وقد طبعت طبعة ثانية بمطبعة دار الكتب المصرية

﴿ قصص وادب وفكاهة ﴾ كتاب بليغ متقن الطبع بالروتوغرافور على نسق كل ما تخرجه ادارة الهلال ، يشتمل على قصص مختارة وصفحات طريفة في الادب والفكاهة والنوادر . جعلته ادارة الهلال الهدية الاخيرة من هداياها السنوية لمشتركيها . وهو في ١٤٤ صفحة من القطع الكبير محلاة بصور ورسوم كثيرة وثمنه ١٠ غروش



# بَابُ الْاِخْتِلَاطِ الْعِلْمِيَّةِ

## اختلاط السلالات وعظمة الامم

الشمال الغربي ، والى البلقان في الجنوب. واذ اكتسح العرب اسبانيا ، واختلط أرقاء الرومان بعامة الشعب ، واتسعت رقعة الاستعمار الروماني في بلدان البحر الايض المتوسط. ثم ان زعماء الحياة الاوربية وثقافتها الآن انما هم تناج هذا الاختلاط الواسع النطاق . وفي وسع الباحث ان يثبت ان نبلاء البلدان الاوربية نشأوا من اصل خليط . بل ان سكان فرنسا والمانيا وايطاليا نشأوا من كل الاطرزة الاوربية الصريحة . ومن المتعذر ان ترد علة اي انحطاط فيهم الى التزاوج والاختلاط بينهم

اما الانحطاط البيولوجي فلا تقع عليه الا في البيئات المحصورة والجماعات التي يكثر التزاوج بين اسرها جيلا جيلا لما تنطوي عليه عترات الدم من مواطن ضعف في بناء الجسم فيشتد فعلها بالتزاوج

وهذه الملاحظات في رأي الخطيب لا تتناول موضوع التزاوج والاختلاط من حيث اثرها في صحة بناء الجسم وحيويته ، بين سلالات تختلف احداها عن الاخرى

ليس اختلاط السلالات شراً كما يومهم رجال السياسة ودعاتهم . بل على الضد من ذلك قد يكون هذا الاختلاط منشأ للحيوية القومية ومصدراً للارتقاء . ولا يتطرق الانحطاط الى قوم الا اذا اوصدوا ابوابهم دون غيرهم واستقروا على ما هم فيه

هذه هي خلاصة الرأي الذي دارت عليه خطبة الرئاسة في مجمع تقدم العلوم الاميركي الذي عقد في الصيف الماضي بكاليفورنيا تحت رئاسة الاستاذ بواس الانزوبولوجي المشهور واحداً من اساتذة جامعة كولومبيا. وعنده ان عظمة اسبانيا ازدهرت بعد فترة اختلاط السلالات فيها اختلاطاً عظيماً ، وانها بدأت تنحط اذ استقر شعبها على طراز معين وانقطع ورود المهاجرين اليها . وما هو حادث في اميركا الآن انما هو تكرار لما حدث في اوربا في العصور الخالية اذ اكتسح الكلتيون غرب اوربا الى ايطاليا فاسيا الصغرى. واذ هجرت القبائل الجرمانية ضواحي البحر الاسود الى ايطاليا واسبانيا. واذ اتجه الصقالبة الى سهول روسيا في



من الشلل ثم يعالج بالكينا وما اليها لشفائه من الملاريا . ولكن الملاريا داء وييل فقد يستعصى شفاؤه ولا يندر ان يكون مميتاً لذلك عني الدكتور فردريك ايرسن (Eberson) والدكتور وليم مُسمن (Mossman) من اطباء مستشفى جبل صهيون في سان فرانسيسكو ، بادخال مكروب لولي الى دم المصاب بالشلل بدلاً من ادخال طفيليات الملاريا ، فيحدث هذا المكروب في الجسم حمى عالية تفعل ضد الشلل العام فعل الملاريا الآن . وهذا المكروب لولي غير مؤذٍ ، وهو ابن عم مكروب الزهري ، لانهما كلاهما من الفصيلة اللولبية (spirochete) فكان هذين الطبيين يسلطان المكروب على ابن عمه لمكافحته وقتله

والحمى التي يحدثها هذا المكروب السليم تستغرق سبعة أيام ثم تنتهي من تلقاء نفسها ولا تحتاج الى علاج ما . ثم اذا قضت الحاجة امكن احداثها ثانية بادخال هذا المكروب الى الجسم من جديد . أضف الى ذلك ان هذه المكروبات يمكن ازدياعها في انايب زجاجية وحفظها الى حين الحاجة اليها . وهذا يسهل على الاطباء استعمالها . اذ لا يخفى انهم اذا احتاجوا الى طفيليات الملاريا وجب ان يتناولوها من دم مصاب بالملاريا او من دم مصاب بالشلل في حالة معالجته بها . وفي الحاليين لا نأمن نقل مكروبات أدواء جديدة من مصاب الى سليم

من الوجهة البيولوجية اكثر من الاختلاف بين سلالات اوربا . اذ يصعب علينا الآن ان نأتي بالدليل الحاسم ، وانما اذا بنينا حكمنا في هذا على النتائج العامة التي نشهدها ، لم نرمأ يشير الى ان هذا الاختلاط يفضي الى نتائج ضارة ، في الاجيال الاولى او التي تلتها

حجم سديم الجبار وبعده

صرح الدكتور ترومبلر (Trumpler) احد علماء مرصد ذلك أمام الجمعية الفلسفية الاميركية المنتهية في باسادينا ان بُعد السديم الكبير في كوكبة الجبار ثلاثة اضعاف ما كان يُظن . وقد استعمل ثلاث طرق لتقدير بُعد قافضت به ثلاثها الى ان بعده ١٨٠٠ سنة ضوئية . والسنة الضوئية كما لا يخفى هي المسافة التي يجتازها الضوء في سنة سائراً بسرعة ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية . وبعد معرفة البُعد سهل تقدير حجم السديم . فهو يشغل من الفضاء رقعة لا يجتازها الضوء الا في ٢٦ سنة . ولكنه اذا قيس بالسدم الغمامية التي في المجرة كان من اصغرها

مكروب يكافح ابن عمه

من ابداع الوسائل التي استتبها الطب الحديث استعمال الملاريا لعلاج الشلل العام الناشئ عن مكروب الزهري . ذلك ان المصاب بالشلل العام يحقن بطفيليات الملاريا فيصاب بها ، فتقضي الحمى العالية التي يصاب بها على مكروب الزهري في دمه . فيشفى



## علاج جديد للانيميا الخبيثة

ثبتت للطباء فائدة الكبد النيئة او خلاصتها في علاج الانيميا الخبيثة ولكن بعضهم وصف اصابات بها لم تتحسن بهذا العلاج ووصف غيرهم اصابات تحسنت ثم اصبحت بنكسة اذا مضى الطبيب المعالج في تغذية المصاب بالكبد او حقنه بخلاصها بانتظام . ثم ظهر من عهد قريب ان نسيج المعدة ، ومعدة الخنزير على وجه خاص ، تفيد فائدة الكبد . وتتساوى المعدة المجففة والمعدة الجديدة في فعلهما . ومن اعراض الانيميا الخبيثة التي لا تخطئ فقدان الحامض الهدوركلوريك من العصارة المعدية . فهذا جعل كاسل Castle يظن ان الداء سببه عدم افراز المعدة لعنصر يكون في الطعام مادة مقاومة للانيميا ، او يكون هو نفسه مصدراً اساسياً لهذه المادة . ويؤخذ من تقارير الباحثين ان المعدة المجففة تفعل فعل الكبد ، او هي اشد فعلاً منها ، في علاج الانيميا الخبيثة لذلك عنيت شركة العقاقير الانكليزية British Drug Houses باعداد مستحضر قوي الفعل يدعى جاستر سيكانا Gaster Siccata تؤخذ منه جرعة قدرها ٣٠ مليغراماً لمنع الانيميا الخبيثة وعشرة مليغرامات للاحتفاظ بصحة الدم . ومادة هذا المستحضر خالية من الدهن تقريباً ، لا طعم لها ولا رائحة ، واذا اذيت في اللبن تكون منها سائل سهل التناول

## تطبيق مبادئ اليوجنية

وضع المسيو الفرد داشير Dachert خطة لانشاء بلدة لا يقطنها الا ازواج يرجح انهم ينشئون اسراً سليمة الجسد والعقل . وفي سنة ١٩٢١ ادركت مدينة ستراسبورغ فائدة البحث العملي في هذا الموضوع ، فوضعت تحت تصرفه بقعة من الارض ، فأنف شركة وبدأ في بناء ١٤٠ بيتاً عليها ، جعل تصميم كل منها بحيث يوفر على ربة البيت كل عمل غير ضروري . وكان لا بد من ان يختار لغرضه ازواجاً في حالة صحية تامة ، وعلى جانب كبير من النشاط والحيوية والجمال وأن يكون كل زوج منها رغباً في تنشئة اسرة متوسطة . وللحال وضع نظاماً لاختيار هؤلاء الازواج بناءً على تقديم الطلب ، ومقابلة الطالبين ، فزيارة الدور التي بنيت ، فالفحص الطبي الدقيق

والظاهر أن تجربة المسيو « داشير » قد أحرزت نجاحاً عظيماً ، فعدل المواليد في هذا البلدة أعلى جداً منه في مدينة ستراسبورغ نفسها وحسن تصرف السكان يضرب به المثل

ولتحقيق الغرض من التجربة ، لابد من اخراج الازواج المصابين بالعمى واحلال غيرهم محلهم ولكن هذا كان نادراً ، ففي أثناء تسع سنوات من القيام بهذه التجربة لم تضطر الشركة الا الى اخراج سبعة ازواج فقط



## الكهارب وزرقة الجو

يرى الدكتور ولي كون (Cohn) أحد أساتذة جامعة برلين ان الكهارب المنطلقة من الشمس قد تكون سبباً في زرقة الجو ، وقد أعلن هذه النتيجة بعد تجربة قام بها في معمله ببرلين اسفرت عن تولد ضوء ازرق زرقة قريبة جداً الى زرقة الجو

فقد كان الدكتور كون يجري التجارب بأشعة المهبط ( السلية — الكاثود ) في انبوب مفرغ فجعل تياراً من الكهارب ( وهو اشعة المهبط نفسها ) ان يصطدم بدقائق كهربائية اكبر منها تدعى الايونات . فظهر الضوء الازرق حيث اجتمعت الكهارب بالايونات . والتعليل الذي يقترحه الدكتور كون ، لزرقة الجو ، بناء على هذه التجربة ، هو ان تيارات الكهارب المنطلقة من الشمس ، تجتمع في طبقات الجو العليا بالايونات التي تتولد من غازات الجو ، فيتولد الضوء الازرق من اجتماعها في الفضاء ، كما تولد في فضاء الانبوب المفرغ . ولا يريد ان يجزم بان هذا يعلل كل زرقة الجو ، وانما يريد ان يقول ان جانباً منها يحدثه هذا الاجتماع بين الكهارب والايونات

وقد مضى العلماء منذ عهد نيوتن الى عهدنا في محاولة تعليل زرقة الجو . ولعل أوفى تعليل لها باعتراف جماعة العلماء هو تعليل السرجون تدل والورد راليه الانكليزيين . قالوا ان سبب الزرقة تكسر ضوء الشمس

بطريقة خاصة ، على ذرات كروية دقيقة في الهواء . على ان الدكتور كون لا يزعم بان رأيه الجديد يتعارض ورأي تدل وراليه من حيث ضوء الشمس ، وانما يقول ان نظريتهما تقتضي أن يكون ضوء الشمس مستقطباً . وان الضوء الذي تولد في معمل كون لم يكن مستقطباً . وان جانباً فقط من ضوء النهار مستقطب والجانب الآخر غير مستقطب

## علاج جديد للانكلستوما

الانكلستوما مرض استوائي سببه دودة معقوفة الفم ( hookworm ) توجد في الامعاء الدقاق وتمص الدم من جدران الاثني عشري فتحدث أنيميا شديدة . وهو كثير الانتشار بين فلاحى القطر المصري . وقد قرأنا الآن ان الدكتور فيدر لند أحد اساتذة مدرسة الهيجين والصحة العامة في جامعة جوز هيكز الاميركية صرح أمام قسم الطب الاستوائي في المؤتمر الاميركي العام الملتئم في عاصمة المكسيك ، ان علاجاً جديداً للانكلستوما قد كشف وهو المطهر المعروف باسم « هكسيلرزورسينول » المركب تركيباً صناعياً ( بطريقة التأليف ) . وقد وصف الدكتور لند أولاً خواص هذه المادة وبوجه خاص فعله في قتل البكتيريا . فقد ثبت أولاً بالتجارب ان هذا المركب الكيماوي من الوجة البكتيريولوجية يفوق الحامض الكربوليك ٧٠ ضعفاً في قوة قتله للمكروبات وانّه في الوقت



لتجنب فعل الدواء ، فيسفر عن ذلك  
اضطراب خطير في جسم الانسان

\*\*\*

اما الدواء الجديد «هكسيلرزورسنول»  
ففعال في قتل كلا الطفيلين ، بل وفي قتل  
طفيلي ثالث من قبيلهما . وهذا الدواء سهل  
التناول لا يحدث رد فعل في الجسم ، ويظهر  
انه فعال (مائة في المائة) اذا اتبعت  
التعليمات في تناوله . وهو فعال كذلك اذا كان  
مبلوراً موزعاً في حبوب مغلفة بالسكّر .  
فاذ كان المصاب طفلاً في السادسة كفته  
جرعة منه قدرها خمس الغرام . واذا كان في  
الثانية عشر أو فوقها وجب تناول جرعة  
قدرها غرام واحد . ويجب تناوله على خلاء  
المعدة ثم يجب الامتناع عن الاكل بعد تناوله  
مدة أربع ساعات

ولا يعلم الدكتور لندهل يكون هذا  
العلاج فعالاً في الطفيليات الاوربية وغيرها  
فعله في الدودة الاميركية . والبحث في هذه  
الناحية قائم الآن في اليابان والصين وجزائر  
الفيلين والهند وسيام ومصر وجنوب الولايات  
المتحدة الاميركية والمكسيك

فمسي ان مهم معهد الامراض  
المتوطنة في مصلحة الصحة بهذا الاكتشاف  
الخطير ، ويجري تجاربه على انواع الانكلستوما  
التي تصيب المصريين وليس ما يمنع أيضاً  
تجربته لمعرفة فعله بسائر الديدان الطفيلية  
لا سيما البهارزيا

نفسه لا يسم الانسان اذا تناوله . وقد مضت عليه  
بضع سنوات وهو مستعمل كمطهر عام ، أو داخلي  
ثم كشف الدكتور پول لامسن Lamson  
استاذ الصيدلة بمدرسة الطب بجامعة فندربلت  
الاميركية فعله الشديد في مرضي الانكلستوما  
والاسكاريايسس في اثناء بحثه عن العقاقير التي  
لا تضر متناولها . وهذا البحث كان تحت  
رعاية قسم الصحة الدولية في معهد ركفلر  
ومرض الانكلستوما قديم ورد ذكره  
على ادراج المصريين القدماء . ويقال ان  
نصف سكان العالم الآن يقطنون بقاعاً منتشرة  
فيها عوامل هذا الداء . وملايين الناس  
مصابون به . راجع (خطبة الدكتور محمد  
خليل عبدالحالقي في مقتطف مايو ١٩٣١ صفحة  
٥٣٧ وكتاب المجمع المصري للثقافة العلمية  
صفحة ١٧٥ سنة ١٩٣١

ويقول الدكتور لند (Leonard)  
ان مشكلة الطب في اميركا فيما يختص بهذا المرض  
هي السيطرة على نوعين من الطفيليات الدودة  
المعقوفة الفم (اونسيناريا) ، ودود الاسكاريس .  
فترا كلوريد الكربون وزيت الشينبوديوم  
دواء نوعي في مكافحة احد الطفيلين . ولكن  
معظم المصابين بالانكلستوما يكونون مصابين  
بالطفيلين معاً

اضف الى ذلك ان المعالجة بترا كلوريد  
الكربون تكون خطيرة احياناً فاذهي تقتل  
الدودة المعقوفة الفم ، تثير دود الاسكاريس  
وتحملها على الهجرة من مكان الى آخر



## امتحان الدم لمعرفة الوالدين

إذا وقع خلاف على نسب طفل ،  
ففي يد العلماء الآن أداة قد تمكنهم من  
الفصل في موضوع الخلاف . والتجارب  
الاولى التي أفضت الى استنباط هذه الأداة  
العلمية ، تمت في القطر المصري على يدي  
الدكتور طُدْ (C.Todd) والدكتور  
هوينت (C.G.white) إذا جريا تجاربهما في  
الماشية ثم استأنفها الدكتور طُدْ في انكلترا  
في الطيور الداجنة

والطريقة قائمة على تفاعل الدم والاجسام  
الغريبة التي تدخل الاوعية الدموية . فاذا  
دخلت أوعية الدم ، مكروبات ، أو كريات  
دم آخر ، أو أي أجسام غريبة عن الدم ،  
تولدت فيه أجسام لمحاربتها . وهذه الاجسام  
تعرف لدى العلماء بـ « الاجسام المضادة »  
والمواد المستعملة في الوقاية من بعض الامراض  
مبنية على هذه الحقيقة

فاذا دخلت أوعية الدم كريات دم آخر  
هاجما صنفان من الاجسام المضادة . أحدهما  
يحاول أن يحلّ الاجسام الغريبة ويعرف  
بالمزّن ( تعريب شوشه ) - والثاني يلبّدها  
ويعرف بالمبسد ( ترجمة اجلوتين ) - وقد  
استعمل الباحثان الانكليزيان هاتين الطريقتين  
في مباحثهما ، فالاولى استعملت في تجارب  
الماشية . والثانية في تجارب الدواجن

وجرياً على نتائج بعض المباحث السابقة

وجد الدكتوران « طُدْ وهوينت » ان  
الكريات التي تدخل دم حيوان معين تحدث  
تفاعلات مختلفة فيه إذا كانت من دماء حيوانات  
مختلفة . وان الكريات التي تؤخذ من دم حيوان  
من فصيلة الحيوان الذي تدخل في دمه ،  
لايسهل على الاجسام المضادة حلها أو تليدها  
ومفتاح الاكتشاف تمّ لها لما وجدنا  
انه في الامكان استنفاد المواد المضادة لحجم  
غريب معين في مصل الدم . ذلك انهما  
أخذوا قدرًا من مصل دم ، وأضافا اليه قدرًا  
كبيرًا من كريات دم آخر فخلت المواد المضادة  
هذه الكريات أو لبسدها ، ولكن لما زاد  
مقدار الكريات المضادة عن حدّ معين نفدت  
قوة الاجسام المضادة في مقاومة هذا الصنف  
من الكريات ، ولكنها ظلت محتفظة بقوتها  
على ابادة كريات اخرى أضيفت اليها من  
دماء حيوانات أخرى

بعد ذلك حضر الدكتوران نموذجاً من  
مصل مركّب من مصول دماء حيوانات  
مختلفة وأضافا اليه كريات حيوان معين حتى  
استنفدا منه قوة الاجسام المضادة الخاصة  
بهذه الكريات . فأصبح هذا المصل المركّب  
بذلك قادراً على مقاومة الكريات من دم  
أي حيوان الا كريات هذا الحيوان المعين  
أو أقاربه الادين . وفي حالة كريات الاقارب  
لا يكون الإبقاء عليها تاماً ولكن الاجسام  
المضادة لا تليدها تماماً كما تفعل بكريات  
الحيوانات الغريبة





بدائع التصوير الشمسي — غورلا وانبها



اذن يحضر مصل مركب من هذا القليل يضاف اليه من كريات صوص معين مثلاً ما يستفد الاجسام المضادة فيه الخاصة بكريات هذا الصوص ، ثم تضاف كريات ديك نظنة والد الصوص ، فاذا لم تبدها الاجسام المضادة الباقية ثبت لنا ان هذا الديك هو والد الصوص اكتشاف بكتير يولوجي خطير

اثبت الدكتور ارثر كندل Kendall احد اساتذة مدرسة الطب بجامعة نورثوسترن الاميركية انه اذا غذيت المكروبات بالبروتينات البشرية انقلبت اطوار حياتها فيظهر منها ما كان خافياً ويخفي منها ما كان ظاهراً . وبحسب هذا الاكتشاف اعظم خطوة خطاها علم البكتيريا من عهد باستور لانه يشير الى ان معظم المكروبات — بل كلها — يتحول من ظاهر الى خفي او من خفي الى ظاهر بحسب الاغذية التي تغذيها بها فقد كان من المتعذر حتى الآن ان

زدرع مكروبات خافية مثل مكروبات الانفلونزا والجدرى والحصبة خارج الجسم الحي . والاستاذ كندل يعتقد ان السبب في ذلك ان الباحثين في المعامل البكتريولوجية كانوا يغذونها بالغذاء الذي لا يلائمها . فمعظم الاغذية المكروبية كان المرق او الهلام او غيرها محتوية على المواد التي تنشأ من انحلال المواد البروتينية . ولكن في جسم الانسان والحيوان ، وهو مرتع المكروبات ، لا يوجد شيء من هذه المواد . فالمكروبات هناك

تغذي بالبروتينات في حالتها الطبيعية فقد حضر الاستاذ كندل غذاء بروتينياً خالصاً بأن أخذ قطعاً من المعى الدقاق من اجسام الانسان والكلب والخنزير والارنب وبعد ما عالجها علاجاً كيمياوياً لكي يزيل منها كل المواد التي تنشأ من انحلال بعض البروتينات فيها حضر منها مزدرعاً نظيفاً من الشوائب . ثم اخذ قطرة دم من مصاب بالانفلونزا وزرعها في هذا المزدرع البروتيني فتعكر صفوه مما دل على تكاثر المكروبات فيه . فاخذ قطرات قليلة من هذا المزدرع العكر وحقن بها ارنبا فأصابت بكل اعراض الانفلونزا ثم نقل الاساذ كندل قطرات من مزدرعه العكر ( ويدعوه مزدرع K ) الى المزدروعات المكروبية القديمة فنمت فيها طوائف كثيرة من مكروبات كروية دقيقة . ويظهر ان هذه هي مكروبات الانفلونزا

وبعد ما فاز كندل في اظهار مكروب الانفلونزا الخفي عاجل غير ففاز باظهار مكروب شلل الاطفال ، ومكروب الحمى القرمزية وكلاهما من فصيلة الستر بتوكوكس ثم اظهر باشلس الحمى التيفودية وباشلس الحمى الباراتفودية ومكروب الدمايل والمكروب المعوج الذي وجده الدكتور نفوشي في دم المصابين بالحمى الصفراء . وقد اخذ ميل الى الاعتقاد ان كل البكتيريا تحيا حياة مزدوجة ، جانب منها خفي وجانب منها ظاهر



## يوم البعوض

في ٢١ اغسطس الماضي أدبت مأدبة فاخرة في معهد رس للأمراض الاستوائية ، قرب لندن ، للاحتفال بذكرى اليوم الذي تمكن فيه السير روندل رُس من العثور على طفيليات الملاريا في جدران معدة البعوضة المعروفة بالانوفيليس في سنة ١٨٩٧

أما قصة متاعب رُس وإيمانه الذي لا يقهر وشجاعته فن أروع القصص في تاريخ الشعب البريطاني . كان امامه سيل واحد ممكناً ، وهو ان يمضي في تشريح البعوض تحت عين الميكروسكوب حتى يفوز أخيراً بالعثور على طفيلي الملاريا . هذا عمل كان يتطلب قوة عشرة جبابرة وصبر كثيرين من امثال ايوب . وكان على رُس ان يشتغل في حر استوائي من دون نسيم البنكا « مروحة الخيش » العليل لانه ينثر قطع البعوض التي على مائدته . وكان عليه كذلك ان يقضي نحو ساعتين في تشريح كل حشرة وفحصها ، في حين ان اقاربها الاحياء كانت تهاجمه من غير مهادنة . والهنود الذين كانوا على وشك ان يستفيدوا من مكتشفاته اكثر من اي شعب في العالم ، كانوا ينظرون اليه شزراً ، يتوهمون فيه السحر ، وكانوا يترددون في مد اصابعهم لوخزها لكي يأخذ دمهم لامتحان ، على انه كان ينفجهم بمبلغ حتمي في نظرهم ، وهو نحو ريال لكل وخزة

واخيراً ، في ذلك اليوم الخالد ، يوم ٢١ اغسطس ، اي من نحو ٣٤ سنة لمح الجنسدي ، العدو الذي خرج لقتاله . في ذلك اليوم رأى روندل رُس ، على جدران غرفته بعوضة من صنف لم يمتحنه قبلاً فقبض عليها وكانت من فصيلة تعرف بالانوفيليس — والاسم يطابق المسمى لان انوفيليس باليونانية معناها « المؤذي » او « الضار » . ثم بعيد ذلك جاءه احد جامعي البعوض بنحو ١٢ بعوضة من الصنف نفسه في زجاجة . فوضع البعوضات واحدة اثر واحدة تحت الميكروسكوب وشرحها ، ميكرونًا ميكرونًا ( الميكرون هو جزء من الف جزء من المتر ) ولكنه لم يجد شيئاً جديداً ، يسترعي الانتباه . حتى وصل الى البعوضة الاخيرة . وهنا ترك الكلام للمكتشف ، يقص نهاية بحثه الاخاذة بكلامه هو : — « كان التشريح تاماً . ففحصت الانسجة بعناية ، بعدما صارت معروفة لدي باحثاً في كل ميكرون بنفس اللفظة والعناية اللتين يبحث بهما في قصر خرب عن كنز مدفون . لا شيء ! كلا ان هذه البعوضات الجديدة سوف تخيبي . فلا بد . من خطأ في النظرية — ولكن نسيج المعدة لم يفحص بعد . رأيتُه ملقى هناك فارغاً رخواً ، على شريحة زجاجية ، وهو امتداد فسيح ايض من الخلايا كدار كبيرة مبلطة ، وكل خلية يجب



وهذه الطريقة التي تخالف ماهو مجمع عليه بين اطباء اليوم ، استعملها الدكتور راينوتش (Rabinowitch) أحد أطباء مستشفى منتريال العام ( كندا ) فأسفرت عن نجاح باهر

وقد سرد نتائجها في رسالة تلاها أمام أعضاء الجمعية الاميركية الكيماوية التي التأمت حديثاً في مدينة بفلو بالولايات المتحدة الاميركية

وقد أكد الدكتور المشار اليه الى ان داء الديابيطس مليتس ليس له علاج بالمعنى الصحيح . وكل ما تستطيع طرائق العلاج الحديث هي إيقاف سير الداء وإطالة عمر المصاب به . وقد وُجد ، بعد اكتشاف الانسولين ، ان غذاء مؤلفاً من العناصر اللازمة ، وخالياً من العناصر الضارة ، يكفي

لايقاف سير المرض في معظم الاصابات وكان الاستاذ مكلم الفسيولوجي الكندي المشهور ، وأحد زعماء البحث في الانسولين ، قد اورد الادلة الفسيولوجية على ان المواد التي تتألف من انحلال الدهن في الجسم أشد ضرراً بمرضى البول السكري من المواد التي تتكوّن من انحلال السكر . وإذن فلمنطق يحكم بتدبير غذاء للمصاب تحذف منه الادهان جميعها ، وهذا ما فعله الدكتور راينوتش .

ويظهر من خلاصة رسالته التي نشرت في مجلة « الرسالة العلمية الاسبوعية » ان النتائج التي اسفرت عنها تبشر بالنجاح

ان تمّحن بدقّة . عمل نصف ساعة على الاقل . كنت متعباً وما الفائدة من البحث . واظن اني كنت قد فحّصت اكثر من الف بعوضة قبل ذلك

« ولكن ملاك القدر وضع لحسن الحظ يده على رأسي ، فرأيت امامي دائرة صافية فطرها نحو ١٢ ميكرونأ . كانت جليلة اكثر من العادة ، والخلية اصغر من ان تكون خلية عادية في معدة بعوضة ، فخذت قليلاً . ها هي خلية اخرى ، تشابه الاولى كل الشبه . كان الجو حاراً معتماً ، واذكر انني وسعت فتحة الميكروسكوب لاستجلاء الاشباح . ثم غيرت ضبط العدسة وفي كل من هذه الخلايا وجدت مجموعة من حبيبات صغيرة سوداء كالجبر »

هذه كانت خلايا ملارية . وبعد يوم رؤيت وقد كبر حجمها . ومن ثمّ ، تتبع رؤس دورة طفيلي الملاريا ، درجة درجة ، من معدة الانوفيليس ، الى مصّيه ( وهو كالخرطوم ) وبه يدخل الى مجرى الدم في فرائس البعوضة ، اي الذين تلسعهم

### السكر لمرضى البول السكري

يؤخذ من نتائج احدث المباحث في مرض البول السكري ( الديابيطس مليتس ) ان المصابين به يستطيعون ان يتناولوا اغذية سكرية ونشوية اذا ازيل منها الدهن



## أكبر بلونات العالم

يبني الامير كيون بلوناً ضخماً ليكون في خدمة بحريتهم ، وقد احتفلوا في أوائل أغسطس الماضي باطلاق اسم « اكرون » عليه ، وينتظر أن يبدأ تجاربه قبل وصول هذا العدد من المقتطف الى قرائه .

سعة هذا البلون ٦٥٠٠ ر ٦٥٠٠ قدم مكعبة ، حجمه ضعف حجم البلون « غراف زبلين » ويبلغ طوله ٧٨٥ قدماً وأطول قطره ١٣٢ قدماً وتسعة أعشار القدم . وهو ممتلئ بغاز الهليوم الذي لا يلهب ، وفي استطاعته أن يرفع من الركاب والملاحين والبضائع ما وزنه ١٨٢٠٠ رطل أو نحو تسعين طنّاً . أما محركه فتولد ما قوته ٤٤٨٠ حصاناً وهذه القوة تمكن البلون من بلوغ سرعة ٨٤ ميلاً في الساعة . فاذا سار بسرعة خمسين ميلاً أمكنه أن يقطع ١٠٥٨٠ ميلاً من غير أن يحتاج الى تجديد وقود .

ومن الاشياء التي يمتاز بها هذا البلون ان آلاته داخل هيكله وانما مراوح المحركات خارجة وذلك لتقليل مقاومته للهواء . ثم ان له مكناً خاصاً يستعيد من الغازات الناجمة عن الاحتراق ماء يستعمل لتعويض ما يفقده البلون من الثقل باحتراق الوقود . وله كذلك سطح خاص لتزول الطيارات الصغيرة عليه وقيامها منه وهو مخلق في الجو . وينتظر أن يجهز بمدافع سريعة الانطلاق

## حول الارض بالطيارة

في مساء اليوم الذي صدر فيه مقتطف يوليو الماضي ( أول يوليو ) وصل الى نيويورك الطياران الاميركيان بوست وغاتي بعد ما طارا حول الارض في تسعة أيام . وكان خط طيرانهما دائرة صغيرة في نصف الكرة الشمالي طولها نحو ١٦٠٠٠ ميل . وأطول مسافة قطعها في يوم واحد كانت ٢٥٠٠ ميل إذا طارا من بلدة خباركسك بسيريا الى بلدة سامون في الاسكا مجتازين مضيق بيرتغ الفاصل بين طرف اميركا الشمالي الغربي وطرف آسيا الشمالي الشرقي . وقد هلت الصحافة اليومية وكبرت لهذا الفتح المجيد ودعت رحلتها رحلة حول الارض . وفي هذا خطأ اذا تجاوزنا عنه في الصحف اليومية لم تتجاوز عنه هنا . فان طيرانهما حول الارض في دائرة كبيرة أي حول خط الاستواء مثلاً يجعل المسافة التي يجب قطعها ٢٤ ألف ميل . وأما الدائرة الصغيرة التي طارافوقها فطولها ١٦٠٠٠ ميل فقط كما تقدم . ولكن هذا لا ينقص من قيمة عملهما كمغامرة تستدعي الصبر والجهد وحضور الذهن . على أن أمام الرحلة في طيارة بنيت خاصة لرحلة طويلة سريعة لا يعني ان اتمامها على وجه تجاري مستطاع ، ولا ان اتمامها بما فيه تعريض النفوس للخطر مستحسنة . ولكنها في الوقت نفسه شهادة تقدم هندسة الطيارات وصناعة محركاتها



سبتمبر الماضي ولكن اضطراب الجو حمل القائمين به على تأخيرهم الى اليوم التالي . ولما كانت فرنسا وإيطاليا قد انسجبتا من المباراة في آخر ساعة فلم يبق على الانكليز الا أن يطير أحد طيارهم المسافة المئينة وهي ٣٥٠ كيلو متراً لكي يفوزوا بالكأس للمرة الثالثة المتوالية ، فتصبح ملكاً قومياً لهم . واذا كان الجو صحواً في يوم الاحد ١٣ سبتمبر طار الملازم بوثن بطيارة سورمارين S 6 B المجهزة باللاترولزرويس فقطع المسافة وهي في شكل مثلث بسرعة متوسطة ٣٤٠.٨ في الساعة

ثم حاول الطيار ستاينفورت أن يبلغ بطيارته البحرية أقصى سرعة بلغها الطيارون فطار أربع مرات فوق مسافة طولها ثلاثة كيلو مترات فبلغ متوسط سرعته ٣٧٩.٥ في الساعة وبلغت سرعته في إحداها ٣٨٨.٦٧ في الساعة . وقد قرأنا ونحن نكتب هذه السطور ان هذا الملازم نفسه أعاد كرتة على قصب السرعة فطار كذلك أربع مرات فوق مسافة طولها ثلاثة كيلو مترات فبلغ متوسط سرعته ٤٠٨ أميال في الساعة وبلغت سرعته في احداها ٤١٥ ميلاً في الساعة

\*\*\*

ان الطيران بسرعة أربعائة ميل في الساعة أشد خطراً من ان يستعمل لاغراض النقل والاتقال العادية . فالسيطرة على هذه الطائرات السريعة يتعذر اذا قامت سرعتها

سباق كأس شنيدر ومعانيه

جاء شنيدر من رجال الطيران والالاب الرياضية المشهورين في فرنسا . صنع سنة ١٩١٢ كأساً من الذهب والفضة والبرنز قيمتها نحو الف جنيه وجعلها جائزة دولية يفوز بها السابق في سباق للطائرات المائنة يقام كل سنة او سنتين . والغاية منها ترقية الطائرات البحرية وزيادة سرعتها باذكاء نار المزاحمة بين الامم الخلفة . وقد تحققت غايته كما ترى من الجدول التالي وفيه اسماء الفائزين بهذه الجائزة النفيسة والامة التي ينتمون اليها وسرعتهم في السباق الذي تفوقوا فيه والسنة التي تفوقوا فيها

السنة	الاسم	جنسيته	السرعة بالاميال
١٩١٣	بروثنو	فرنسي	٤٥٥ و ٧٥
١٩١٤	بكتن	انكليزي	٨٦ و ٧٥
١٩٢٠	بولونا	ايطالي	١٠٧ و ١٢
١٩٢١	ده بريغاتي	ايطالي	١١٠ و ٨٤
١٩٢٢	بيارد	انكليزي	١٤٥ و ٦٢
١٩٢٣	رتهوس	اميركي	١٧٧ و ٣٨
١٩٢٥	دولتل	اميركي	٢٣٢ و ٥٧
١٩٢٦	ده برناردي	ايطالي	٢٤٦ و ٤٩
١٩٢٧	وبستر	انكليزي	٢٨١ و ٦٥
١٩٢٩	اتشرلي	انكليزي	٣٢٨ و ٦٣
١٩٣١	بوثن	انكليزي	٣٤٠ و ٠٨

فكان ميعاد السباق هذه السنة في الساعة الثانية عشر والدقيقة الثلاثين من يوم ١٢



مراجع الدكتور عبد الخالق

الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك من طراز العلماء الذين تفاخر بهم الامم . فهو باحث مدقق منقطع الى فرعه في مناصرة وهدوء . وهو علاوة على ذلك مستنبط لمستحضر القوادين المستعمل في علاج البلهارزيا . وقد قرأنا في مجلة نايتشر العلمية عن مؤلفه الضخم الذي جمع فيه كل المراجع العلمية التي تتعلق بموضوع البلهارزيا من كل وجوها مبنوبة تبويبا علميا في ما يزيد على ٥٠٦ صفحات وهي قسمان احدهما فهرس باسماء المؤلفين بملا ٢٣٢ صفحة والاخر فهرس بالموضوعات . وقد قالت نايتشر ان جمع هذه المراجع عمل كبير يعود بالفخر على المؤلف ومديري الجامعة ( مدرسة القصر العيني ) ومطبعة بول باريه بمصر

سلاحفة ذات رأسين

وجد المستر باركر احد سكان غابزفيل بفلوريدا من اعمال الولايات المتحدة الاميركية في احد المستنقعات سلاحفة ذات رأسين . وكلا الرأسين كامل التكوين سويين ، ينظر ويسمع ، ويأكل ويشرب ، وينام ويتنفس ويتحرك على حدة . ولكل من الرأسين عنقه . واسنانه وأما فيما عدا ذلك فالجسم جسم سلاحفة واحدة ويؤخذ من الصور التي صوّرت بأشعة اكس ان لها معدة واحدة كذلك

عن مائة ميل في الساعة ، مما يجعل الطيران بها صعباً جداً ، دع عنك محاولة النزول بها الى مطار مكنتظ بالطيارات . فان نزولها على أي سطح ، غير سطح مائي رهو ، ينطوي على خطر كبير . ثم ان هناك مسألة الحمل الذي تستطيع طائرة من هذا القبيل أن ترتفع به الى الجو . فالطيارات التي تتبارى في سباق كاس شنيدر ليست اكثر من آلات مجنحة حذف منها كل شيء إلا مقعد غير مريح للسائق ، لتقليل مقاومة الهواء ابتغاء للسرعة . فاذا استطاعت الطائرة ، لشدة قوتها ان ترفع حملاً ما ، لم يوجد مكان فيها يتسع له . يقابل ذلك ان المهندسين الذين انشأوا هذه الطيارات أنشأوا كذلك طيارات النقل ولكنهم ضحوا فيها بسرعة الطائرة ( قلما تزيد سرعة طائرة النقل والانتقال على مائة ميل في الساعة ) لتدير مقاعد مريحة للركاب ويمكن لأمتعتهم

وزير ورئيس جمعية فلسفية

انتخب السر هربرت صموئيل وزير الداخلية البريطانية في وزارة مكدونلد الوطنية رئيساً لمعهد الفاسفة البريطاني خلفاً للورد بلفور وينتظر أن يكون بين خطباء المعهد في الفصل المقبل السرجيمز جينز المكي الرياضي المعروف والاستاذ الكسندر أستاذ الفلسفة في جامعة منشستر والاستاذ هولدين البيولوجي المشهور



والصحافة ... ماظنك بها؟ عائلة الامس  
والمدينة والقرية، أعني أقلية أمس وشدة  
تحكمها وسلطانها بالافراد والجماعات انتقلت  
اليوم الى الصحافة . فليقت رجال القلم ربه  
في كل ما يكتبون

وجوب انشاء متحف للتاريخ الطبيعي  
تابع المنشور في الصفحة ١٥٨

فتخرج منها ضباب هائلة وفيلة ماثلة واسماك  
تقطن الماء بيوضة وولودة ، وبرمائيات  
استحوذت بسلطانها على البر والماء، مقعدات  
وغير مقعدات، وطيورها من صفات الزواحف  
القديمة اكثر مما لها من صفات الطيور في هذا  
الزمان ، وذوات ثدي موحدة الخارج ، ثم  
قوارض ثم سباع ثم ميامين ثم قرود عليا تمت  
الى الانسان او يمت اليها الانسان بأكثر  
الاسباب . ناهيك بعالم الحشرات ما انقرض  
منه وما بقي ، ثم بعالم النبات ما علم منه وما  
خفي ، ثم بأحياء الزمان الحاضر وضروبها  
وانواعها واجناسها وفصائلها ومراتبها وقبلها  
ثم ممالكها وعوالمها . وهناك ترى ان عصا  
العلم قد استقوت على عصا السحر ، اذ تعرض  
عليك تاريخ الكون من السديم والحواء ،  
الى المادة والنظام ، ومن الخلية الحية الى  
الانسان ، وتطوف بك في ساعات ، على ما  
كدت الطبيعة في ابرازه الى عالم الوجود  
الملايين ثم الملايين من السنين

فلسفة السعادة في الحضارة الحديثة

تابع المنشور ص ١٥٢

وليذكر الافراد الموهوبون ان الرأي  
العام والكلاب سواء ، وأنت حين تلتفت  
الى الكلب يزداد نباحا وصراخا فاذا أهملته  
الزئ الصمت وعاد كلباً بعد أن استأسد  
قلنا ان المدنية حملت معها أسباب التباين  
والاختلاف ، وبالتالي أسباب عدم السعادة  
عند البعض من جراء التصادم والتنافر ،  
وزيد أن نذكر ان هذه المدنية عنها هي التي  
حملت معها علاج هذا الرأي ، ان أحسن  
الناس الاستفادة منه

حين كان المرء بالامس يتنافر في آرائه  
مع أفراد أسرته أو عشيرته من أهل القرية  
أو المدينة لم يكن من السهل أن يجد له وسطاً  
آخر فيه جو يتساقق وما يأخذ به من الآراء  
والمعتقدات

أما اليوم فحين أجد أنا ان جماعي متنافرة  
في أفكارها مع أفكاري فليس أسهل عليّ من  
أن أجد لنفسني وسطاً آخر اطمئن اليه  
ويطمئن هو إليّ دون حاجة الى الزوج  
وهجران الاوطان ، فلمواصلات ربطت أنحاء  
العالم بعضها وبعض

نفهم من هذا ان الوسط الاجتماعي اليوم  
تعدى حدود العائلة ، وحدود القرية أو المدينة  
فأصبح أعم من ذلك ، فهل ترى ان الفرد  
تخلص بذلك من سلطان الاقلية الظالمة ؟



## الجزء الثاني من المجلد التاسع والسبعين

صفحة	
١٢٩	المذاهب الكونية الجديدة . للسرجيمز جينز (مصورة)
١٣٤	مبدأ قوة الحياة . في فلسفة برنارد شو (مصورة)
١٤٠	التجربة التي قضت على الاثير . لشارل مالاك (مصورة)
١٤٨	فلسفة السعادة في الحضارة الحديثة . لبرتراند رسل
١٥٣	وجوب انشاء دار للتاريخ الطبيعي . للاستاذ اسماعيل مظهر (مصورة)
١٥٩	قبل الزلزال . (قصيدة) لاليس ابو شبكة
١٦٢	فراداي (مصورة)
١٦٧	امير اموي من سلالة مسيحية . للعلامة بارتولد
١٧٧	حيرة . (قصيدة) للاستاذ محمود ابو الوفا
١٧٨	مجدو وآثارها . لنقولا زيادة
١٨٦	الديمقراطية والخبراء
١٩١	علاج داء ادمان المخدرات . للدكتور فرأ
١٩٦	منعوك . (قصيدة) لحسن كامل الصيرفي
١٩٨	امين الريحاني يستقبل جبران ويودعه
٢٠٤	هل الانتحار حق او جريمة . لابن طفيل
٢١٢	اشعة اكس تلف شمارها
٢١٦	التطور الاجتماعي والسياسي الحديث . للدكتور شهنيدر
٢٣٤	الخلية البنائية وتركيبها السيتولوجي . للدكتور سيد خربوش

